وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحي فارس المدية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

الصراع الثقافي في الرواية الجزائرية

"جرس الدخول إلى الحصة لعبد الله خمار أنموذجا"

مكملة لنيل شهادة ماستر في اللغة العربية وآدابها

تخصص أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين

- حليمة بن زرقة
- بركاهم بن عداد

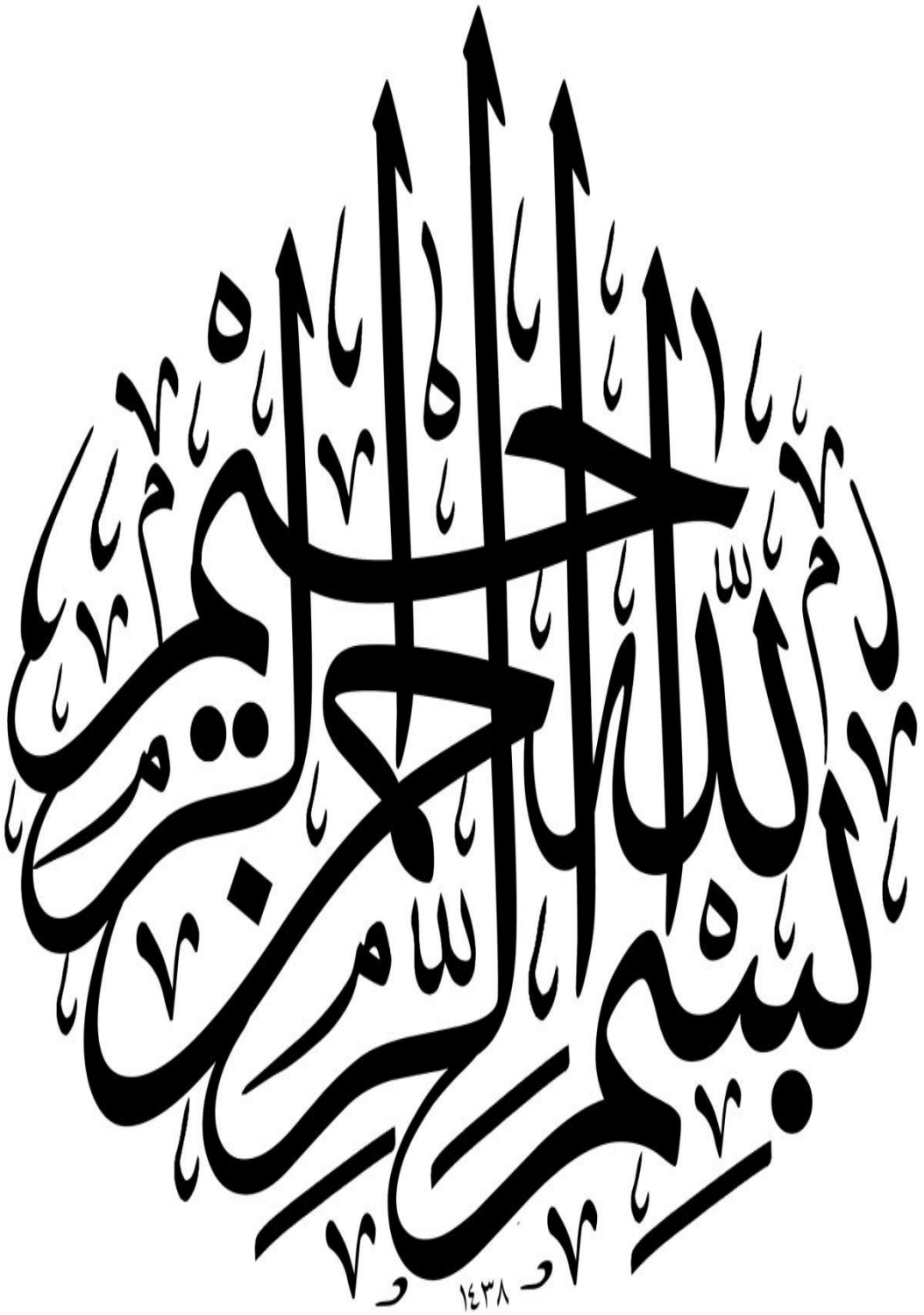
إشراف الدكتورة:

* فطيمة بن ربيعي

أعضاء اللجنة المناقشة:

د. فطيمة بن ربيعي	جامعة المدية	مشرفا ومقررا
د. العربي حسين	جامعة المدية	رئيسا
د. بلال لكحل	جامعة المدية	عضوا مناقشا

السنةالجامعية 2020/2019


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

الشكر والتقدير

نحمد الله ونشكره على فضله وعلى نعمته.

نتوجه بالشكر والتقدير الخالص للأساتذة المشرفة الدكتورة "**فطيمة بن ربيعي**"، التي حرصت على اكتمال العمل و إعطائه القيمة العلمية بفضل توجيهاتها وإرشاداتها.

وإلى كل أساتذتنا الذين صادفناهم في مسارنا التعلمي،

وإلى كل من ساندنا في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد،

وشجعنا لمواصلة العمل من الأهل وزملاء العمل والدراسة.

فشكرا لكم

الإهـــــداء

إلى سند حياتي والديّ الغاليين.

إلى الروح الطاهرة عمتي "خيرة"

إلى كل أفراد عائلتي

إلى كل الأحبة وزوملائي في العمل والدراسة

إلى كل من جمعتني بهم الأقدار

حليمة بن زرقة

الإهـــــداء

إلى روح والدي الطاهرة

إلى أمي الغالية حفظها الله وأدام عليها نعمة الصحة والعافية

إلى كل أفراد عائلتي

إلى كل الأهل والأحبة

إلى كل من كان له فضل عليّ في هذه الحياة

بركاهم بن عداد

مقدمـــــــــة

مقدمة

كانت (الجزائر وحُرقة الاستعمار الفرنسي) من المواضيع التي أثارت الاهتمام والجدل في الرواية الجزائرية الحديثة والمعاصرة، حيث ظهر مجموعة من الأدباء الجزائريين الذين عبروا بصدق وإخلاص عن قضيتهم، وأدركوا أن مقاومة الاستدمار تكون بواسطة القلم سلاح الدفاع عن ثقافة الشعب ومعتقداته وحريته وهويته، وقد شكل موضوع الهوية في الأدب الجزائري نقطة اهتمام بالغة من طرف الأدباء و النقاد ، إذ انتهج هذا الأدب أساليب وتقنيات ومعالجات أدبية مغايرة لما سبق ،في محاولة رسم هوية واضحة المعالم ، وبالتالي التخلص من تبعات ما خلفه المستعمر.

فقد قاوم الشعب الجزائري الاستدمار الفرنسي بشتى الوسائل وأهمها سلاح العلم والقلم، حيث عانى أبشع طرق التخريب وأسوء أنواع التعذيب ، لرفضه جعل الجزائر قطعة فرنسية ، حيث مورست عليه جميع سياسات التعذيب المادية والمعنوية : التجويع ، التفقير، التجهيل، القتل ... ولم تكتف الإدارة الاستعمارية بهذا وحسب، بل لجأت إلى طمس هويته، من خلال محاولة القضاء على كل المقومات الشخصية والوطنية للفرد، وتحطيم كل معالم الدولة الجزائرية ومؤسساتها، ومن أهم سياساتها هو تغريب اللغة العربية في موطنها، والقضاء عليها بممارسة سياسة الفرنسة ، ومحاربة الدين الإسلامي بالحملات التبشيرية التنصرية ، وتزوير الحقائق التاريخية من أجل التشكيك في حضارة الجزائر وهويتها ، فالهوية هي الروح المعنوية والجوهر الأصيل لكيان الأمة ، وتكمن هوية الفرد في عقيدته ولغته وتاريخه وحضارته وثقافته، فاستعمار الجزائر لم يكن عسكريا

وحسب، بل تجاوز إلى الاستعمار الثقافي بانتهاج سياسة التجهيل وسياسة الإدماج لكل من استطاع تناول العلم سبيلا.

عليه، حاولت الرواية الجزائرية بعد الاستقلال تأسيس رؤية مختلفة عن الآخر في إطار الحوار الثقافي والتعايش الحضاري ، وهذا ما نسجله في العديد من الأعمال الروائية التي عالجت الصراع الثقافي، وتعد رواية **(جرس الدخول إلى الحصة)** لـ"**عبد الله خمار**" من النماذج التي تناولت هذا الصراع ، بموضوعها الذي يتناول حقبة زمنية حاسمة من تاريخ الجزائر الثقافي وهي مرحلة السبعينات وما امتازت به من تحديات وما تخللها من صراعات، لذا اتخذناها نموذجا لدراستنا المعنونة بـ :

(الصراع الثقافي في الرواية الجزائرية، جرس الدخول إلى الحصة لعبد الله خمار أنموذجا)

كما تكمن أهمية هذا البحث في تتبع آثار الصراعات الثقافية التي خلفها المستعمر الفرنسي على الساحة الأدبية، حيث انعكست على البنية الطبيعية للمجتمع الجزائري الذي يتميز بتنوع في بنيته الثقافية، إلا أنه طرقت عليها تغيرات عميقة نتجت عنها سلوكيات وأنماط دخيلة على المجتمع جراء محاولة الاستعمار طمس الهوية الوطنية، فقد أدى ذلك إلى شقاقات وصدامات غداة الاستقلال ، وخاصة ضمن طبقة النخبة التي لعبت دورا هاما في بناء الوطن ، حيث تأثرت بعدة مبادئ واتجاهات حسب

التكوين الذي فرضته الظروف عليها، امتد أثرها إلى الأجيال الجديدة ، وعلى الجزائر المستقلة، وهذا ما عالجه "خمار" عبر متن روايته.

ومن أسباب اختيارنا لهذا البحث هو رغبتنا في تناول موضوع الهوية الجزائرية ، وأيضا لفت انتباه الدارسين إلى الصراع الثقافي في مرحلة حاسمة من تاريخ الجزائر، وضرورة معرفة أسبابه، و كذلك محاولتنا استيعاب آليات اشتغال الذات على مقوماتها داخل النصوص الروائية .

أما عن الدراسات التي تناولت قضية الصراع في الرواية نجد منها: **الصراع الحضاري في الرواية الفرانكفونية المغاربية** لإسماعيل حاجم ، و أطروحة دكتوراه موسومة بـ **الصراع الحضاري بين الشرق والغرب في ثلاثية ياسمينة خضراء** لحورية بومدين، ومقالة **صراع الأنساق الثقافية في رواية شهرزاد تقطف الزعتر في عنبتا** لحورية روانق ومفيدة ميزان، وغيرها من الدراسات، إلا أن الرواية محل الدراسة (جرس الدخول إلى الحصة) لـ"عبد الله خمار" لم يسبق تناولها من زاوية دراستنا.

ولقد حاولنا أن نصيغ إشكالا لبحثنا كان بمثابة نقطة الانطلاق في الدراسة مفاده :

- كيف تجلى الصراع الثقافي في رواية جرس الدخول إلى الحصة لعبد الله خمار؟

حيث حاولنا معالجة الاشكال بالوقوف على مجموعة من التساؤلات أبرزها :

- هل استطاعت الرواية الجزائرية رسم صورة واضحة عن الهوية الوطنية بعد الاستقلال ؟
- كيف تجلى الصراع الثقافي في "رواية جرس الدخول إلى الحصة "؟
- ما هي أهم رؤى الذات في بناء الحضارة في الجزائر من خلال رواية "جرس الدخول إلى الحصة " ؟
- ما هي أبرز ملامح الحوار الثقافي التي رسمها الكاتب في روايته؟

وعليه كانت الفرضيات على النحو التالي:

- لانتقال الرواية الجزائرية إلى مرحلة جديدة من تاريخ الجزائر، يفترض أن يقدم الروائي الجزائري، صورة واضحة عن الهوية الوطنية بعد الاستقلال.
- قد تكون "رواية جرس الدخول إلى الحصة " تعالج موضوع المناهج التعليمية والصراع القائم في مرحلة التعريب.
- التنوع الثقافي لدى الفرد الجزائري يفترض بروز عدة رؤى الذات في بناء مستقبل الجزائر.
- من خلال رؤية الروائي "عبد الله خمار "إلى التعايش بين الأنا والآخر قد يتبين وجود صراع ثقافي لتنوع الثقافي.

أما عن المنهج المعتمد في هذه الدراسة فقد بدا لنا **المنهج البنيوي** أكثر ملائمة لطبيعة بحثنا، لاتسامه بالوصف و التحليل ما مكننا من التعمق في بنية النص الروائي

ووصف أهم مكوناته، كما وظفنا أيضا **المنهج التاريخي** الذي ساعدنا على تتبع حركة التطور الذي عرفه موضوع الهوية الوطنية التي عالجتها الرواية الجزائرية عبر مراحل نشأتها ، وتطور مضامينها.

ولإنجاز هذا العمل، ارتأينا أن نقسمه إلى فصلين، مستهلين بمقدمة ، أما الفصل الأول الموسوم بـ "**الصراع الثقافي في الرواية الجزائرية** "، جعلناه متفرعا إلى ثلاثة مباحث، تطرقنا في المبحث الأول إلى **مفهوم الهوية ومقوماتها**، حاولنا من خلالها الوقوف على المفهوم اللغوي والاصطلاحي، كما عالجنا أهم مقومات الهوية، وانتقلنا إلى المبحث الثاني المعنون بـ **الصراع الثقافي في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية** ، حيث تحدثنا عن الخطاب الكولونيالي من حيث مضامينه وأهدافه، كما تطرقنا فيه إلى الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية معرجين على نشأتها و مضامينها في مسألة الهوية الوطنية، أما المبحث الثالث فتناولنا فيه **الرواية الجزائرية ما بعد الكولونيالية** وطرحها لمسألة الهوية والصراع مع الآخر.

وبخصوص الفصل الثاني الذي خُصص للجانب التطبيقي عنوناه بـ **تجليات الصراع الثقافي في رواية (جرس الدخول إلى الحصة)**، وقد قسمناه بدوره إلى مبحثين، تحدثنا في المبحث الأول عن **تمثّل الصراع الثقافي في رواية جرس دخول إلى الحصة** من خلال الصراعات التالية : اللغوي، الديني ، التاريخي ، السياسي، والحضاري والتي مثلتها أبرز الأقطاب الحضارية في الرواية (وطنية وعربية وأجنبية). أما المبحث الثاني

تعرضنا فيه إلى **الحوار الثقافي من خلال الرواية،** متجسدا من خلال العلاقات التي ربطت شخصيات مجتمع الرواية والتي تمثلت في **الصداقة والمحبة والزواج.**

وذيلنا الفصلين بخاتمة هي ثمرة البحث، حيث تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال الدراسة في محاولة للإجابة عن الإشكالات المطروحة.

لإثراء عناصر خطة دراستنا اعتمدنا على مجموعة من أهم المراجع أبرزها : **الأدب الجزائري باللسان الفرنسي(نشأته وتطوره وقضاياه)** لـ أحمد منور ، **وصورة الجزائري في الرواية فرنسية** لـ الطيب بودربالة ، وأطروحة دكتوراه **صورة بلاد المغرب في كتابات الروائيين في القرن التاسع عشر "موباسان" "ولوتي" جيد" أنموذجا** لـ فطيمة بن ربيعي، وأطروحة دكتوراه **الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيو نقدية** لـ جبور أم الخير، وسلسلة محاضرات بعنوان **دور الثقافة في بناء الحوار بين الأمم** لمحمد سعيدي.

وككل بحث علمي يفرض علينا مواجهة صعوبات ومشاكل ونحن بصدد إنجازه، فقد واجهتنا بعض المشاكل في هذا الصدد، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- عدم مقدرتنا الحصول على بعض المراجع المهمة، نظرا لظروف الصحية التي تعيشها البلاد.
- صعوبة مهمة التواصل بين أعضاء البحث أحيانا لنفس الظروف، إلا عن بعد.

- صعوبة التعامل مع الصراعات المتواجد في الرواية لتشابكها وتكاملها، لارتباطها بأيديولوجيات متباينة.

في الأخير، لا يسعنا إلا أن نحمد الله العلي القدير أن ألهمنا الصبر والقدرة لإنجاز عملنا، كما نتقدم بجزيل الشكر والامتنان، للأستاذة الدكتورة **فطيمة بن ربيعي المشرفة** عليه والذي يعجز اللسان عن الوفاء بحقها لما قدمته من موافقة مباشرة على الإشراف، وما بثته فينا لمحبة البحث العلمي ، ولا ننسى ما قدمته لنا من النصائح والتوجيهات، وندعو الله أن يجازيها خيرًا، والشكر موصول للدكاترة أعضاء اللجنة المناقشة لتفضلهم بمناقشة العمل وتقويمه، كما لا ننسى أن نشكر كل من كان عوناً لنا في إنجازه.

الفصل الأول:
الصراع الثقافي في الرواية الجزائرية

1- الصراع الثقافي في الرواية الجزائرية

1-1 مفهوم الهوية ومقوماتها.

1-1-1 مفهوم الهوية

2-1-1 مقومات الهوية

1- 2 الصراع الثقافي في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.

1-2-1 الخطاب الكولونيالي المضامين والأهداف

2-2-1 الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

3-1 الرواية الجزائرية ما بعد الكولونيالية.

1-3-1 نظرية ما بعد الكولونيالية .

2-3-1 مضامين الرواية الجزائرية ما بعد الكولونيالية.

1_ الصراع الثقافي في الرواية الجزائرية:

إن الحديث عن الصراع الثقافي في الرواية الجزائرية يستدعي منا الخوض في مفهوم الهوية لغة واصطلاحا، ليتسنى لنا الخوض في مقوماتها مع التركيز على الهوية الثقافية، باعتبارها تجمع باقي المقومات، ثم نعرج على مظاهر هذا الصراع في الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية والتي جاءت كرد فعل من أجل ترسيخ معالم الهوية الجزائرية التي حاولت الرواية الكولونيالية طمسها. لننتقل بعدها إلى الرواية لجزائرية ما بعد الكولونيالية لنقف على مدى تعزيز هذه الأخيرة لمعالم الهوية الوطنية ومقوماتها بلغتيها (العربية أو الفرنسية).

1-1-مفهوم الهوية ومقوماتها:

ليس من السهل الوصول إلى مفهوم جامع لمصطلح (الهوية)، إذ تتعدد معانيه بتعدد مجلات دراسته (فلسفي، نفسي، اجتماعي...)، لذا سنحاول الوقوف على معناه لغة واصطلاحا لمقاربة مفهومه.

1-1-1-مفهوم الهوية

✓ **لغة:** المتصفح للمعاجم العربية القديمة كـ (لسان العرب)، أو (القاموس المحيط) يجدها تخلو من هذه الكلمة بمعناها الحديث واقتصر الحديث فيما على جذر الكلمة: (هـ.و.ي)،

جاء في (لسان العرب):«هَوَى، يَهْوِي، هَوِيّاً وهُوِيّاً: سقط من الفوق على الأسفل.. والهَوِيُّ: الحين الطويل من الزمان أو الساعة الممتدة من الليل .. والهُوَةُ: الحفرة البعيدة القعر..، وهُوَيَّةٌ تصغير هُوة، وقيل الهَوِيَّةَ: بئر بعيدة المهواة »[1]، أما في (القاموس المحيط) فما ذكر فيه هو كلمة «الهُوَّة بمعنى ما انهبط من الأرض أو الوهدة الغامضة منها ، و الهَويّة: البئر البعيدة القعر».[2]

كما لم يخرج معجم الوسيط عن المعاني السابقة فعرف الهَوية بأنها « البئر البعيدة القعر».[3]

نرى أن هذه التعاريف تشترك في معنى الهوية وهو البئر العميقة أو الحفرة البعيدة القعر، وحتى وإن دلت على الزمن الممتد فإنها تشترك مع المعنى السابق في دلالته على الغموض والبعد والعمق.

وكلمة الهوية مترجمة عن كلمة (Identité) الفرنسية و(identity)الإنجليزية، وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية (Edém) والتي تدل على « كون الشيء نفسه، أو علاقة تشابه وتماثل بين شيئين أو أكثر تطابقا تاما مع الاحتفاظ بتمايز بعضها عن

---

[1] أبو الفضل جمال الدين إبن منظور، **لسان العرب**، دار الحديث، القاهرة، مج9 باب (الهاء)، مادة (هـ.و.ي)، ص.ص.169 .173 .

[2] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آيادي، **مؤسسة الرسالة**، بيروت، ط8 ،2005، باب(الياء)، فصل (الهاء)، ص. 1347.

[3] إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط.4 ،2004، باب (الهاء)، ص. 1001.

البعض في الوقت نفسه »[1] فهي تعني اشتراك الأشياء والكائنات في مماثلة بعضها البعض، مع الاحتفاظ بالاختلاف فلكلٍ جوهره المميز له.

كخلاصة، نجد أن المفهوم اللغوي للهوية يدور حول معاني منها: أنها تحمل صفة التفرد والتميز والغموض والعمق، كما تحمل معنى المماثلة والتجانس والتطابق.

✓ **اصطلاحا:** عند البحث عن المفهوم الاصطلاحي للهوية تواجهنا تعاريف متعددة، نظرا لتجاذب هذا المصطلح بين الدارسين، فكل واحد يعرفها حسب تخصصه، ووفقا رؤيته الخاصة، لذا سنقف في مفهومها على ثلاثة مجالات أساسية وهي (الفلسفة) و(علم النفس) و(علم الاجتماع).

إنّ كلمة الهوية من حيث المبنى مشتقة من الضمير المنفصل " هو" الذي يدل على « ذات الشيء أو الشخص المستقلة عن ذوات الأشياء أو الأشخاص الآخرين ».[2] وهذا المعنى نجده بارزا في معجم التعريفات (التعريفات) "للجرجاني" إذ يقول عنها أنها" الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق «أي أنها جوهر الشيء وحقيقته وصفته الثابتة التي لا تتبدل ولا تتأثر.» [3]

---

[1] Identité in" Petit Larousse en couler" .Edition1984 .

[2] أحمد منور، **الأدب الجزائري بلسان فرنسي**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط.2 ،2017، ص.12.

[3] علي بن محمد الشريف الجرجاني، **معجم المعاني**، تج محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة ، ص.2016.

✓ **الهوية في الفلسفة:**

مصطلح الهوية دخيل على ثقافتنا العربية ، و ارتبط ظهوره مع نهاية القرن 19 ، و بداية القرن 20 ، لما ساد هذا العصر من توارث و شعارات منادية بالحرية و المساواة والعدل ، و عند التفتيش عن أصول الكلمة نجد أن هذا المفهوم نشأ من الفلسفة اليونانية القديمة إذْ يُعرفها أرسطو في كلامه « إن قولنا عن الأشياء أنها في هوية يعني أنها واحدة سواءً كان ذلك من حيث النوع أو العدد أو هي تلك التي جوهرها واحد » [1] ، فربط هوية الأشياء بالجوهر الواحد حتى وإن تعددت وتنوعت، يعني أن لها أصلا واحد ثابتاً تشترك في الانتماء إليه.

أما عند " الفارابي " فيرى أن « هوية الشيء وعينيته وشخصه ووجوده المتفرد له، كلٌ واحد، وقولنا إنه هو إشارة إلى هويته وخصوصيته ووجوده المتفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك»[2]، أي أن الهوية متعلقة بجوهر الشيء ووحدته مع ما يحمله من خصوصية تميز كيانه عن بقية الأشياء الأخرى، وهذا التعريف يحيلنا إلى مفهوم الهوية في استعمالنا الحديث باعتبار تلك المعلومات المسجلة في بطاقة التعريف أو بطاقة الهوية، والتي تشمل الإسم واللقب وتاريخ الميلاد ومكانه وعنوانه والعلامات الجسمية المميزة للشخص.

---

[1] مصطفى النشار، **جدل الهوية والاختلاف في الفلسفة الهيلينية**، بحث محكم، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، 2ماي2016، ص.4.

[2] د. جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج.2، 1982، باب (الياء)، ص.530.

وبهذا، نستخلص أن التعريف الفلسفي للهوية عمم هذا المفهوم على الأشياء ولم يقتصر على الفرد، إذْ جعل هوية الشيء مرتبطة بجوهره أو بوحدته أو بعلاماته المميزة له، كما أن الهوية ثابتة بما أن جوهرها واحد رغم تغير العوامل والظروف المحيط بها.

الهوية في علم النفس

يعد الفيلسوف الإنجليزي "جون لوك " JOHN LOKE أقدم من أضاف إلى معاني الهوية البعد النفسي لدى الإنسان في العصر الحديث حين قال: «إنّ الذات أو الـ "هو" ذلك الشيء المفكر، الواعي الحساس نحو المتع، والألم أو الواعي بها، الخليق بسعادة أو الشقاء الذي يكون اهتمامه فيه»[1] ، فهي مرتبطة عنده ب (الذات) أو (الهو) أي أن الهوية هي الذات المفكرة الواعية والحساسة بالمؤشرات المحيطة بها.

ثم جاءت دراسات عالم النفس الألماني" إريكسون" ERIKSON حملت إضافات جادة لمفهوم الهوية وقد بنى دراساته على أبحاث ودراسات شاهدها على الجنود المشاركين في الحرب العالمية الثانية، إذ رأى أن هؤلاء الجنود واجهوا صعوبات في الاندماج مجددا في المجتمع، ثم عمل على تطوير هذا المفهوم ليعرفه بأنه: « إدراك الحقيقة، وأن هناك تماثل ذاتي واستمرارية من طرف الأنا التكاملية وفي نمط الفردية الشخصية وأن هذا النمط يتوافق مع التماثل والاستمرار للمعنى الشخصي كما يدركه

[1] أحمد منور، **الأدب الجزائري بلسان فرنسي**، ص.14

الآخرون المهمون بالنسبة للفرد في وسط الاجتماعي »[1]، فالهوية عنده تتعلق بما يميز الفرد ويحدد انتمائه لمجتمع معين في حد ذاته أي تركيب الأنا وكفاحها الداخلي مع معايير هوية المجموعة التي ينتمي إليها الفرد.

ومن هنا نرى أن الهوية في علم النفس جمعت بين مكونات وخصوصيات الفرد المميزة له عن غيره، وكذا علاقة التأثير والتأثر بينه وبين ما يحيط به من عوامل مختلفة في مجتمعه.

الهوية في علم الاجتماع

ارتبط مفهوم الهوية في علم الاجتماع بعلاقة الفرد بمجتمعه، باعتباره النواة الأولى لتأسيسه، وبعلاقة التأثير والتأثر بين هذا الفرد والأفراد المشكلة للمجتمع، وما يجمعهم من ارتباطات عقائدية وإيديولوجية.

ويرى "ميلر" MILER أن الهوية هي « نمط الصفات الممكن ملاحظتها أو استنتاجها، والتي تظهر الشخص وتعرفه وتحدده لنفسه وللآخرين »[2]، إنها تتمثل في مجموع الصفات المميزة للفرد كالسمات الشخصية (العمر، الجنس ...)، والسمات الاجتماعية (الأصدقاء، المكانة الاجتماعية..) والسمات الثقافية (اللغة، الدين، القومية...)، والسمات الإقليمية (البلد، المدينة، المنطقة..) السمات الاقتصادية (الوظيفة، القطاع الاقتصادي...) وحتى السمات السياسية (الحزب، الإيديولوجية...) فهذه الصفات تمكن الشخص من إدراك نفسه

[1] فتيحة كركوش، **إشكالية بناء الهوية النفسية الاجتماعية**، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة بليدة 2،ع.16، سبتمبر 2014، ص.268 .

[2] رشاد عبد الله الشامي، **إشكالية الهوية في إسرائيل**، عالم المعرفة، الكويت، 1997 م ، ص.8 .

في نظر الآخرين وما يتصوره الآخرون عنه من خلال هذه الصفات. وهذه العناصر يوضحها العالم الاجتماعي " ماكس فيبر" M .WEBER " إذ يعرف الهوية أنها «إحساس الجماعة بالأصل المشترك"، وهي التعبيرات الخارجية الشائعة مثل الرموز والألحان والعادات التي تميز أصحاب هوية ما عن سائر الهويات الأخرى وتظل هويتهم محتفظة بوجودها وحيويتها مثل الأساطير والقيم والتراث الثقافي»[1]، فتلك التعبيرات الخارجية والممارسات والطقوس هي ما يميز مجتمعا عن آخر، كما تضمن احتفاظه بوجوده وحيويته واستمراريته وانتمائه. فالهوية ـ حسبه ـ مختلفة في مظاهر ثقافة المجتمع فمثلا المجتمع الجزائر تحكمه عادات وتقاليد وطقوس وممارسات تجعله يتميز عن باقي المجتمعات.

كما يقدم " محمد عابد الجابري" فهما معمقا للهوية ، فهي « كيان يتطور وليس نمط معطى جاهز ونهائي. فهي تتطور إما في اتجاه الانكماش أو الانتشار وهي تعني بتجارب أهلها ومعاناتهم وانتصاراتهم وتطلعاتهم» [2] ، وقد ركز على فكرة انفتاح الهوية أو انغلاقها والذي تتحكم فيه العوامل والتجارب التي تعيشها المجموعة أو الفرد المنتمي للمجموعة أو المجتمع، حيث تثبت على مقومات معينة كما يمكن أن تطرأ عليها تغيرات نتيجة عوامل داخلية و خارجية وبالتالي تضمن تجددها باستمرار عبر الأجيال.

---

[1] هدى درنوني، زينب شنوف، **القطيعة الأبستمولوجيا لمفهوم الهوية**، مجلة السراج، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة بسكرة ،ع.3 ،2017، ص.81.

[2] هنية جوادي، السرد و تشكل الهوية قراءة في رواية البحث عن العظام للطاهر جاووت ، مجلة المخبر، ع.13 ،2017 ،ص.88 .

إذن فالهوية في علم الاجتماع التعاريف السابقة تخضع لنوع العلاقة المبنية بين الفرد ومحيطه، ولتراكم المظاهر الثقافية المميزة لمجتمع عن آخر، كما أنها تتميز بصفة التجدد والتفاعل مع الواقع المتغير رغم ثبات جوهرها.

لقد تم استخدام مفهوم (الهوية) على نطاق واسع من طرف كثير من العلماء، وتنوع المفهوم بين دلالة العمق والتفرد والتميز وجوهر الأشياء ، ليتخذ بعد ذلك منحى كبيرا في تنوع معانيها، خاصة عند احتضان هذا المصطلح من طرف علماء النفس وعلماء الاجتماع، إذ أصبح للهوية وظيفة ديناميكية تمكن الفرد من التوازن مع ذاته والبقاء والاستمرارية داخل المجموعة التي ينتمي إليها، كما أن قدرتها على التغير تساعده على إيجاد توازن جديد كلما تغيرت الظروف المحيطة به.

1-1-2 مقومات الهوية :

لتحديد هوية فرد ما يتعين علينا العودة إلى مكوناتها التي تكمن في عناصرها المادية والتاريخية والنفسية والاجتماعية والثقافية .

إلا أن الهوية تجمع تحت لوائها وحدة المجتمع المتقاربة والمتكاملة، فهي الروح المعنوية والجوهر الأصيل لكيان الأمة وتمكن هوية الفرد في عقيدته ولغته وتاريخه وحضارته وثقافته، لذا تتحد مقومات بعينها لتحديدها وهذا ما سنقف عنده فيما سيأتي من العناصر.

√ **اللغة:**

تعتبر اللغة وسيلة تواصل بين الأفراد ومن أهم آلياته، فهي الأداة التي يستعملها الإنسان للتعبير عن تفكيره، وخلجات وجدانه وبواسطتها يفهمه الغير.

كما تتأثر اللغة بالمجتمع، ونظمه وعقائده، وتقاليده وتعتبر مرآة تعكس ذوات الناطقين بها في شؤونهم الاجتماعية العامة.

لدراسة وظيفة لغة من اللغات يجب أن نطلق من مظهرين الأول متمثل في أن اللغة وسيلة تواصل بين الأفراد وتبادل المعلومات مع بعضهم ، أما المظهر الثاني يتمثل في الجماعة اللغوية ، لأنها جماعات بينها تفاهم لغوي يمكن ربطه بعناصر اجتماعية،لأن اللغة اذا كانت تصلح لتواصل فهي تصلح أيضا للوجود، فالفرد يشيد هويته داخل هذه العلاقة من تواصل والوجود.[1]

يمكن القول أن اللغة وظيفتها التواصل بين الأفراد ويكمن هذا التواصل داخل الجماعات (المجتمع) الذي يفهم هذه اللغة؛فهي تعبير وإفصاح عن رؤى الفرد وتعكس ثقافته فهي تمثل هويته،التي تنقل أفكاره ومعانيها وتجاربه وبذلك تسهم اللغة في تشكيل الهوية الفردية، وإنها تنمي شعور الفرد في الانتماء لمجتمعه، «هذه اللغة تدخل الفرد في

[1] ينظر ، نعمة دهش فرخان الطائي ، **مقاربات سوسيولسانية**، دار المنهجية بغداد ، ط 1، 2016،ص.80.

علاقته في المجتمع ، وتدخله في عملية مزدوجة ، إذ يعترف له بهويته – هوية عضو داخل المجتمع – ويحصل على اعتراف مقابل قبول قانون الجماعة[1].

وهنا يمكن أن نستخلص أن تعريف هوية الفرد يتجلى من خلال انتمائه لمجتمعه لأنه عضو فعال فيه ، فالمجتمع يتكون من مجموعة من الأفراد الذين تجمعهم خصائص مشتركة تدعى هوية اجتماعية وهي التي تميز مجتمعا عن آخر .

وعلى الرغم من انحصار ماهية اللغة في وظيفتها التواصلية التي تؤديها إلا أن تعريفها تعمق من خلال الامتزاج الوشائجي للهوية واللغة.

«وقد مر هذا التعريف بأطوار ثلاثة:

1-**التعريف الأول** : اللغة رموز ترتضيها الذات لنقل أفكارها ومشاعرها في قالب يتناغم مع هويتها.

2-**التعريف الثاني**: اللغة هوية معبرة عنها برموز مفهومة.

3-**اللغة**: هوية ناطقة »[2]

إن هذا التعريف يشير إلى وجود علاقة وطيدة بين اللغة و الهوية ، فاللغة مكون أساسي لهوية الأفراد ويمكن اعتبار اللغة من الركائز الأساسية للتدليل على مفهوم الهوية ، فهي أقدم تجليات الهوية والارتباط بينهما يكون متماسكا وملزما لا يمكن الفصل بينهما.

[1] نعمة دهش فرخان الطائي، مقاربات سوسيولسانية، المرجع السابق، ص.80.

[2] عبد الله البريدي، اللغة هوية ناطقة، كتاب المجلة العربية، الرياض،ع.197،ص30.

فاللغة « إذا كانت هي تلك الخاصية الإنسانية التي تعكس العقل الجمعي لفئة من البشر،وتعبر عن رؤيتهم للعالم من حولهم، وإذا كانت الهوية الحقيقة والذات والماهية ... فإنه يمكن القول إن اللغة تعد صورة حية لحقيقة أصحابها وذواتهم وماهيتهم »[1]

نلاحظ مما سبق أن كلا من اللغة والهوية متعلقان بفكر الإنسان ذاته فلا شيء كاللغة يعبر عن هوية الأفراد، فالواقع أن ارتباطهما وثيق كارتباط الجسد بالروح لهما وجه واحد، ومكون الإنسان ما هو إلا اللغة والهوية.

فاللغة تتولد من صميم الجماعة وتستمد معاني ألفاظها من استعمالهم لها، فهي تواضع واصطلاح، وهي بذلك تعكس معاني وجودهم وانتمائهم وخصائص تفكيرهم وبالتالي مقومات هويتهم.«الهوية واللغة موضوعان مرتبطان، يتفاعلان في سلوك الفردي و الاجتماعي، داخل الأوطان ،يؤثر كل منهما في الآخر قوة وضعفا إذا قويت اللغة قويت الهوية وإذا ضعفت اللغة ضعفت الهوية فاللغة تعبير عن الهوية »[2]

إن اللغة هوية وليست الهوية لغة بمعنى أنها مقوم من مقومات الهوية بل من أهم مقوماتها فالهوية تشمل اللغة وهي جزء منها.

ويمكن أن نلمس وحدة الجماعات والشعوب من وحدة اللغة التي ينطقون بها، فاللغة الفرنسية تحيل على الهوية الفرنسية، والروسية تحيل إلى الهوية الروسية والعربية تحيل

---

[1] كريمة محمد كربية ، اللغة والهوية ، مجلة الآداب ، الرياض ، مج 27 ،ع.1 ، جامعة الملك سعود ،2015،ص.51.

[2] أحمد حسين عبد السادة، اللغة وأثرها في ترسيخ الهوية الوطنية، مجلة أوراك للعلوم الإنسانية، العراق، مج 12، ع.2، جامعة مثنى، 2019، ص.1245.

إلى هوية الشعوب العربية.. وكثيرا ما تغيرها مجموعات غير ناطقة بلغة المجموعة الكبرى أو الشعب نقطة فاصلة بينها وبين هويتها الخاصة.

كل أمة متماسكة لها لغتها القومية التي تعبر عن هويتها لأن «اللغة التي ينشأ عليها الإنسان تكيف تفكيره بكيفيات خاصة ، كما تؤثر على عواطف أيضا تأثيرا عميقا، وكذلك نجـد أن وحدة اللغة توجد نوعـا مــن الوحـدة في التفكير وفي الشعور وتربط الأفراد بسلسلة طويلة معقدة من الروابط التي تربط الأفراد بالجماعات»[1]

فاللغة هي نتاج تفكير الأفراد، فلا شيء كاللغة يعبر عن هوية الأشخاص ويميزه عن الآخرين وبالانتماء الفرد للمجتمع يماثله و يشتركون في خصائص يكونون الهوية الاجتماعية، فمن المؤكد أن إتقان اللغة الواحدة يولد أفكار وثقافة مشتركة ،فكل لغة قومية تعبر عن هويتها ، وتنقل مورثها الثقافي الفكري وهنا يكمن اختلاف وتمايز بين الأمم فكل محاولة لطمس هذه اللغة أو تشويها هو طمس لهوية تلك الأمة وتشويه لها.[2]

[1] عبد الله بوراي ، اللغة العربية وإشكاليات الهوية ، المؤتمر الدولي الثامن للغة العربية، دبي، يوم 2015/5/8 ، 9-12:30 ،ص. 195 .

[2] ينظر ،عبد الله بوراي، المرجع نفسه، صفحة نفسها.

√ **الدين:**

يرتـبط الدين بذات الإنسان وفطرته يغـذي روح الفـرد، فالديـن الطاعة والعبادة الخالصة لله فمسألة الدين فهمه مرهون بالشخص وعلاقته بالله عز وجل.

فالدين «هو الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة، هذا إذا نظرنا من حيث هو حالة نفسية، بمعنى التدين »[1].

من خلال هذا التعريف يتجلى لنا أن الدين معتقد منبعه هو قوة مرتبطة بذات المعبود وهذا يعبر عن أهمية الدين في تشكيل شخصية الفرد فهو حالة وجدانية روحية،يمكن القول أن الدين شعور داخلي للفرد منفردا بتصرفاته اتجاه علاقته بالإله في عزلته الروحانية« فالدين الذي أعنيه هنا، هو الأحاسيس والخبرات التي تعرض لأفراد في عزلتهم وما تقود إليه من تصرفات وتتعلق هذه الأحاسيس والخبرات بنوع من العلاقة ، يشعر الفرد بقيامها بينه وبين ما يعتبره الاهيا »[2] *

فالدين هو الإحساس داخلي التي تترجمه تصرفات الأفراد من خلال علاقتهم بالإله، فهو شعور ذاتي لا يمكن رصده أو إحصاءه فهو يمثل ذاته وهويته الشخصية.

---

[1] محمد الزحيلي ، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس اليه، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ط خ ،1991،ص.29.

[2]فراس السواح ، دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني ، دار علاء الدين ، سورية ،ط 4،2002 ، ص.23.

*فراس السواح ،توجهه علماني.

«هذا الحس الديني أو الخبرة الدينية الفردية، ليست ظاهرة يمكن مراقبتها ووصفها من الخارج وإنما هو أمر ذاتي يختبر فرديا »[1]. وعليه يكون واحد من المكونات الأساسية لهوية الفرد.

والتدين يقال عنه « فطرة الإنسان وهو جزء من كيانه ووجوده ، مثل بقية الغرائز التي تتكون منها النفس البشرية حتى تقوم الساعة.. »[2].

فهو ما فطرنا الله سبحانه على عباده إذا التدين جزء من كيان الإنسان وهو ضروري حتى يدرك ذاته ودليل على أن الإنسان مفطور في نفسه وتكوينه، ما نجده في كتاب الله من الآيات التي تتحدث عن خلق الله وفطرته وما رافق ذلك من ارتباط الدين بالنفس البشرية،قول الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) }البقرة :30. وقوله تعالى : {قَالَ اهْبِطا مِنْها جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى (124)} طه:123-124.

فالآية الأولى تصرح بأن الإنسان خليفة الله في أرضه وأن الهداية والديانة والإيمان رافقته منذ هبوطه، أما الآية الثانية تصرح بطبيعة الإنسان وأَصله وجبله أنه من الطين ممزوج

[1] فراس السواح ، المرجع نفسه، ص.31.

[2] محمد الزحيلي، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس اليه، المرجع السابق ،ص.32.

بروح الله وأن الجسد لا ينفصل عن الروح، كما أن كل عنصر له متطلباته... فالطعام والشراب والجنس للمحافظة على الجسد، والتدينّ للمحافظة على الروح[1].

فالإنسان مكون من جسد وروح ، وبما أن التّدين يساهم في الحفاظ على التوازن روحه ، إذ هو جزء لا يتجزأ من ذات الفرد يمكن القول أنّه بصمته الروحيّة أي هويته، فالديّن هو معتقد الفرد وإيمانه فالهوية الديّنية هي الانتماء الذيّن الذي يديّن به.

في حين نجد لدى (علماء الاجتماع الديني): «يُعرف التدّين كظاهرة اجتماعية بأنّه التزام بعقيدة دينية معينة وأداء فرائضها ومناسكها وطقوسها وشعائرها وكل ما يتصل بها من العبادات نحو المعبود المعترف به من هذا الدين»[2].

عليه يكون التديّن ظاهرة اجتماعية وكما هو معلوم أنّ الدين تشترك فيه مجموعة يكون بذلك جماعيا، ويصبح للممارسة الدينية بُعّدا عاما وجماعيا، فالتجربة الدينية (التدين) تتجسد في النسيج الاجتماعي وتأثره بالهوية الجماعية، ومن انتماء الفرد لمجموعة دينية كبرى أو فرقة دينية صغرى تتحد مجموع الصفات التي تصنف سلوكاته وممارساته واعتقاداته حول موجود وطبيعة علاقته مع باقي المتعبدين لدينه أو المخالفين لها ، وعليه يكون الدين معلما من معالم هويته التي تتحد مع هوياتهم أو تختلف عنها.

[1] ينظر محمد الزحيلي ، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس اليه، ص. ص.39،40.

[2] مهدي محمد القصاص، علم الاجتماع الديني، كلية الآداب، جامعة المنصورة ،2008، ص.48.

√ **التاريخ:**

يعتبر التاريخ جملة من أحداث ماضية وقعت للفرد أو مجموعة من الأفراد لتدوين ولتبيان حقائق وبقاءها، يعتبر ذاكرة للمجتمع ليحفظ المعرفة للأجيال متعاقبة عبر العصور.

فالتاريخ حياة الأفراد الذين يكونون أمة ما، و به تعرف الأمم والحضارات الغابرة، فتعرف ذواتهم من خلال التاريخ ،وقدعرّفه ابن خلدون أنّه « فإنّ فنّ التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال .. إذا هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول.. وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات و مباديها دقيق ،وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميقة »[1] ، فهو مجموع الأخبار المتعلقة بالكائنات و كيفيات الوقائع و الأحداث المتعلقة بها ، فهو يقدم صورة عن وجود الكائنات على فترات متعاقبة ، وكان هدفه الأساسي من وجوده كعلم ، هو فهم الماضي على حقيقته وكيفية تكونه ، ليفسر الحاضر وما تتجلى فيه من وقائع وعلاقات على أساس صحيح فلا يمكن تفسير ملامح الحاضر من دون تفسير للماضي وفهمه ، وعليه يمكن تفسير هوية الحاضر بالاستناد إلى الماضي، كما يقول " أليكس ميكشيللي" :« تتشكل الهوية وتأخذ هيئتها بالاستناد إلى الماضي، ويشكل الماضي بحد ذاته تاريخ الجماعة أو المجتمع ».[2]

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون ، المقدمة، تح علي عبد الواحد الوافي، دار الشعب ، القاهرة،ط1، 1960، ص 07.

[2] اليكس ميكشيللي ، الهوية ، تر ،علي وطفة ، دار الوسيم ، دمشق ، ط. 1، 1993 ، ص. 67.

إنّ التاريـخ يكون الهوية بالرجوع إلى الماضي بتدوينه لوقائع المجتمع ، فتتشكل الهوية وتفرض نفسها عبـر مراحـل زمنيـة متكاملـة فيما بينهـا ، نتيجة للتتبـع الزمنـي لتراكمات الأحداث ، وبما أن التاريخ يقر هذه الأحداث نستنتج أنه جزء من كينونة الهوية المجتمع في تكوينه.

يرى "جيرو المؤرخ الفرنسي الكبير" أن التاريخ بصفته علم ما وقع فعلا يمكن أن يتناول موضوعه بطريقتين فإما أن يجد مجال دراسته في الفرد نفسه في كل ما يؤثر حياته ، ويغير من صفات إنسانية وإما أن نجده في الوسط الذي يحيط به ، أي ما يؤثر في حياة المجتمع ، ويغير من صفاته ويعتبر التاريخ هو ذلك التغيير الذي تتعرض له الذات والمجال الذي يحوطها على سواء.[1]

فالتاريخ يعنى بالهوية الفرد لأنه يدرس ذاته وتغيرات التي تطرأ على حياته ، فكل فرد يتميز عن الآخر بهويته الشخصية التي يكتسبها عبر مراحل من حياته كما يدرس التاريخ الوسط الذي يحيط بالفرد ويقصد هنا حياة مجتمعه وما يطرق عليها من تغيرات ، إذا التاريخ يرصد تلك التغيرات التي تساهم في تكوين الهوية سواء الفردية أو الجماعية عبر حقب متعاقبة،وكـما هو معلـوم أن هناك شخصيـات حفـرت أسمائـه في ذاكـرة

[1] ينظر مالك بن نبي، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، تر.عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، ج.1 ، ط.3 ، 1986 ، ص.26.

التاريــخ « فكل مجتمع وكل جماعة وكل فرد يمتلك سجلا خاصا بنماذج الهوية يسمح بمعرفة الآخرين ويحددهم»[1]

ولكل مرحلة تاريخية لمجتمع ما شخصيات بارزة، تعبر عن هوية انتمائه لذلك المجتمع كما نجد مثلا في شخصية عبد الحميد ابن باديس أنّه ارتبط اسمه لدى الجزائريين بالعلم، لذلك يحتفلون في 16 أبريل من كل عام بيوم العلم تخليدا لذكراه،لأنه من رواد الحركة الإصلاحية والعلمية بالجزائر ، ومؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، إذا هي تشخص أحداثا تاريخية بعينها داخل مجتمعها.

ويحس الفرد بهويته الذاتية من خلال الشعور بالاستمرارية الزمنية و«يتمثل ذلك الشعور في إحساس الفرد بوحدته الزمنية وشعوره بوحدة مراحل حياته المختلفة، فالتباينات الزمنية لهويته موجودة ولكن لا يوجد هناك أي شعور بالقطيعة »،[2] فوحدة المقومات التي تشترك فيها مراحل تاريخ حياته، هي مقومات ثابتة تشعره باستمرار الزمن، ويعود إليه اكتشاف الحالات الواعية المتعاقبة التي تجعل منه مدركا لهويته ولتواصلها عبر الزمن.

[1] اليكس ميكشيللي، الهوية ، المرجع السابق، ص.56.

[2] اليكس ميكشيللي، الهوية ، المرجع نفسه، ص.79.

√ **الثقافة:**

يتبادر للأذهان عدة معطيات بذكر مصطلح الثقافة فهو واسع المفهوم، يشمل الأفكار، العادات والتقاليد ، الأعراف والطقوس ، المعرفة و التعلم ، الفنون، فهي أسلوب عيش يخص أشخاص في مجتمع ما، وهذه المعطيات غير ثابتة متغير قابلة لتغيير.

فقد عرف مفهوم الثقافة عدة تعاريف حسب كل تخصص أو القالب الذي وضعت فيه، فهناك من ينظر لمفهوم الثقافة على أنّه سلوك الفرد ، وما ينجر عنه من تعامل مع الآخرين متولد من أخلاق الأفراد داخل المجتمع ويوجد من يراه على أنّه ما ينتجه الفرد من فنون وأعمال ، مستمدًا ذلك من مجتمعه وماله من أثر على الفرد.[1]

يقال أنّ : « الثقافة هي ذلك التراث الحضاري ومنهجية التفكير وأسلوب العيش والمعاملة أي تلك التي تنطلق من ذاتية وشخصية الإنسان بما هو عليه من صفات كالخير والعدل وتلك الطاقة العملية الكامنة التي تستخدم في مجالات الحياة ، والتي تميز مجتمعا عن مجتمع آخر»[2]

نلاحظ أنّ الثقافة تضم التراث الحضاري ، وهو ما ينتهج من أفكار المستخلص من دروس الماضية ليعبروا بها الحاضر و المستقبل ، وينتج ذلك عن ذاتية وشخصية

---

[1] ينظر نصر محمد عارف ، الثقافة مفهوم ذاتي متجدد، إسلام أون لاين،2019/11/06، https://islamonline-net

[2] زغمو محمد، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد و الشعوب، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ،كلية العلوم القانونية والإدارية ، جامعة الشلف ،ع .4، 2010،ص.94.

الفرد أي هويته التي تتميز بصفات خاصة به مما تكسبه أسلوب عيش خاص للمواجهة الحياة وهنا يكمن الاختلاف وتميز بين مجتمع و آخر ، فمفهوم الثقافة ارتبط بمفهوم الهوية حيث اعتبرت الهوية هي التي تشكل الثقافة ، وأن الثقافة هي من تصنع الهوية.

و يقول مالك بن نبي عن مفهوم الثقافة : «الثقافة لا تضم في مفهومها الأفكار فحسب، و إنما تضم أشياء أعم من ذلك كثيرا، أسلوب الحياة في مجتمع معين من ناحية، كما تخص السلوك الاجتماعي الذي يطبع تصرفات الفرد في ذلك المجتمع من ناحية أخرى »[1]، وهذا ما نسميه الهوية الشخصية للفرد والهوية الاجتماعية ، فالثقافة منبعها ذات الفرد وطريقة العيش، وسلوكه داخل المجتمع فتتشكل هويته من خلال هذه الأخيرة، حيث عرّف الثقافة أيضا على أنها « مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه»[2]،ومن هذا الوسط الاجتماعي تتكون الهوية الشخصية والثقافية تنمو معه لتجعل منه مجالا معرفيا ومرجعا، فالثقافة هي مجموع مقومات الفرد ومقومات المجتمع التي تنصهر في كيان واحد وتنتج حضارة ما، فهي تعبير عن هوية تلك الحضارة والمجتمع وبالتالي تحقق وتعطيه صبغة معينة أي هوية تخص مجتمع ما دون مجتمعات أخرى .

[1] مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، تر. عبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق، ط.4، 2000، ص.13.

[2] مالك بن نبي ، **مشكلة الثقافة** ، المرجع نفسه،ص.74 .

«الثقافة هي التي تشكل الهوية، وهي التي تعطي الاسم والمعنى والصورة أي هي التي تجعل جماعة مميزة أو مختلفة عن الجماعات الأخرى».[1]

« فالهوية الثقافية هي مجموعة التراكمات المعرفية ، سواء كانت انطلاقاً من الدين أو العادات والتقاليد التي عاشها الإنسان منذ ولادته وتربى عليها كأمر أساسي في تكوينه حتى أصبحت جزءاً من شخصيته و طبيعته ، وتتكون غالباً من ثلاثة أشياء، الدين كجانب روحي، والمجتمع كجانب اجتماعي، والوطن وهو الانتماء الطبيعي إلى الأرض التي ولد عليها»[2].

إنّ الهوية الثقافية تتكون عبر أجيال وحقب من الأزمنة المتعاقبة ، في ظل التجارب التي يعدها الفرد خلال فترته العمرية مساهمة في صقل شخصيته و تزويده بالمعارف التي تؤكد اندماجه مع المجموعة الثقافية التي ينتمي إليها فالهوية الثقافية تتطور وليست قالبًا جاهزًا وثابتاً.

تكمن العلاقة بين الهوية والثقافة في كونها:«تعني علاقة الذات بالإنتاج الثقافي ولاشك أنّ أي إنتاج ثقافي لا يتم في غياب الذات المفكرة »[3]،ونقصد بذات المفكرة

---

[1] سامية عزيز،عمر حمداوي ، **دور المجتمع المدني في المحافظة على الهوية الثقافية** ، مجلة علوم الانسانية والاجتماعية ، عدد خاص الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، ص.713.

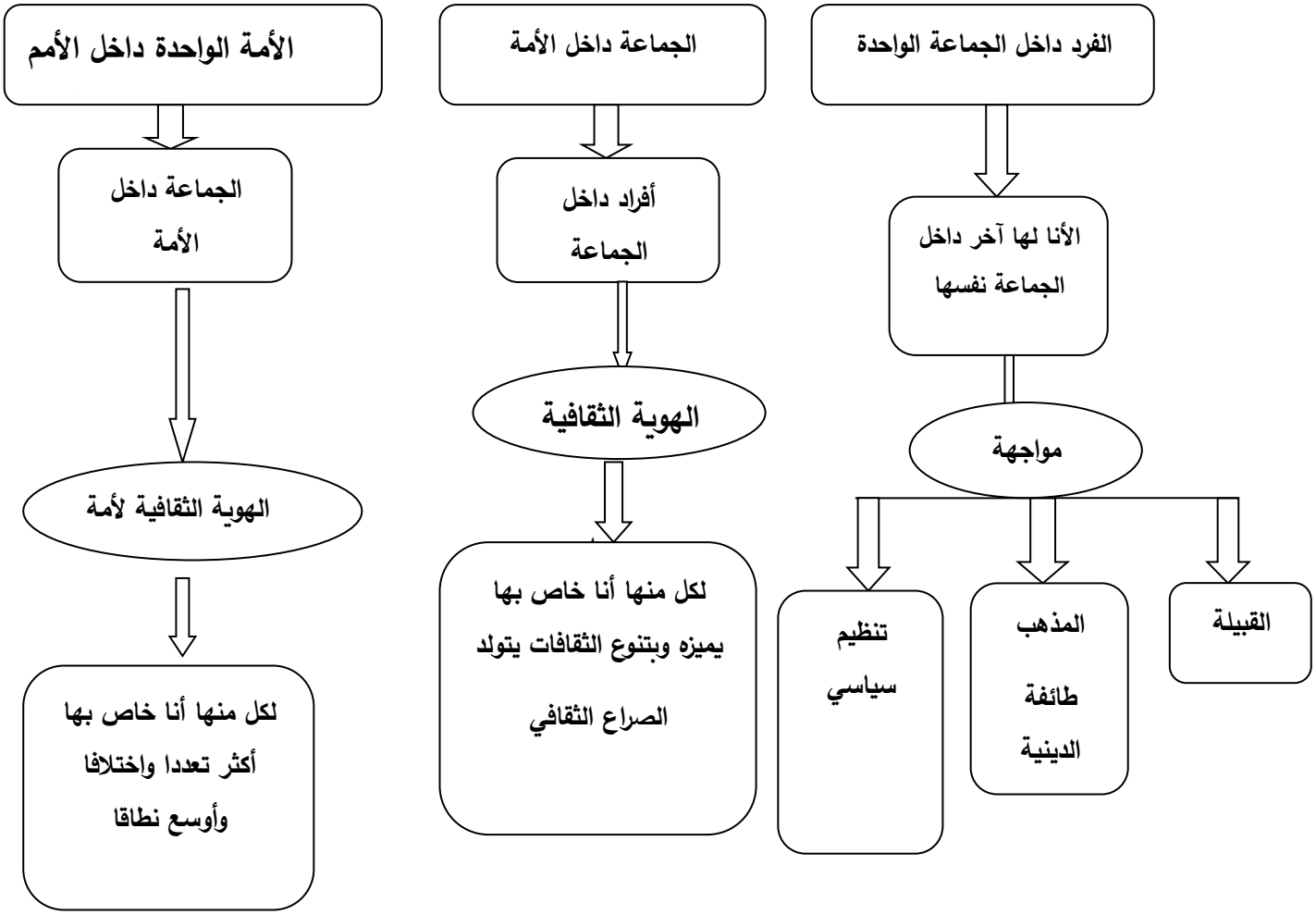
[2] رولان رياض مشوح ،**هويتك**، جريدة البناء يومية سياسية قومية اجتماعية،https://www.al-binaa.com/

[3] إبراهيمي أسماء، **العلاقة بين الثقافة والهوية**، مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية، جامعة المسيلة ،مج.7 ،ع. 14 ، 2018،ص.579.

الفرد الذي ينتج أفكارا ليصنع الثقافة وذلك بتأثره بالمجتمع الذي ينتمي إليه. ومن هنا يمكن القول أنّ الثقافة تعني هوية الفرد حيث تقوم بدور فعال في إنتاجها وتحديد نوعها و أهدافها، فالهوية الثقافية تختلف من مجتمع لآخر ومن زمن لزمن آخر، كما تختلف بالاختلاف أفكار و ميولات الأفراد منتجي الثقافة.

فالهوية الثقافية « هي التي تمنح المرء حق الانتماء لمجتمع ما ومن ثم فإنّها تمنحه حمايتها بوصفه عنصراً في الكل الجمعي» [1] ،إذ يتكون المجتمع أو الجماعة من مجموعة من الأفراد سواء كانت هذه الجماعة مدنية أو طائفة دينية أو مجتمعا قبليا فالفرد هنا يعبرعن هويته المتميزة والمستقلة بذاتها، فنسقط هذا على الهوية الثقافية المتمثلة في الجماعات داخل الأمة لكل منها ما يميزها داخل الهوية الثقافية المشتركة وهنا تتمكن الأمة من أنّ تعّرف على نفسها من خلال الأمم الأخرى.

[1] آلاء عدنان أبو سيد ، **دراسة في إشكاليات الهويات الثقافية في أعمال أمين مخلوف** ، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة الاردن،2006،ص.19.

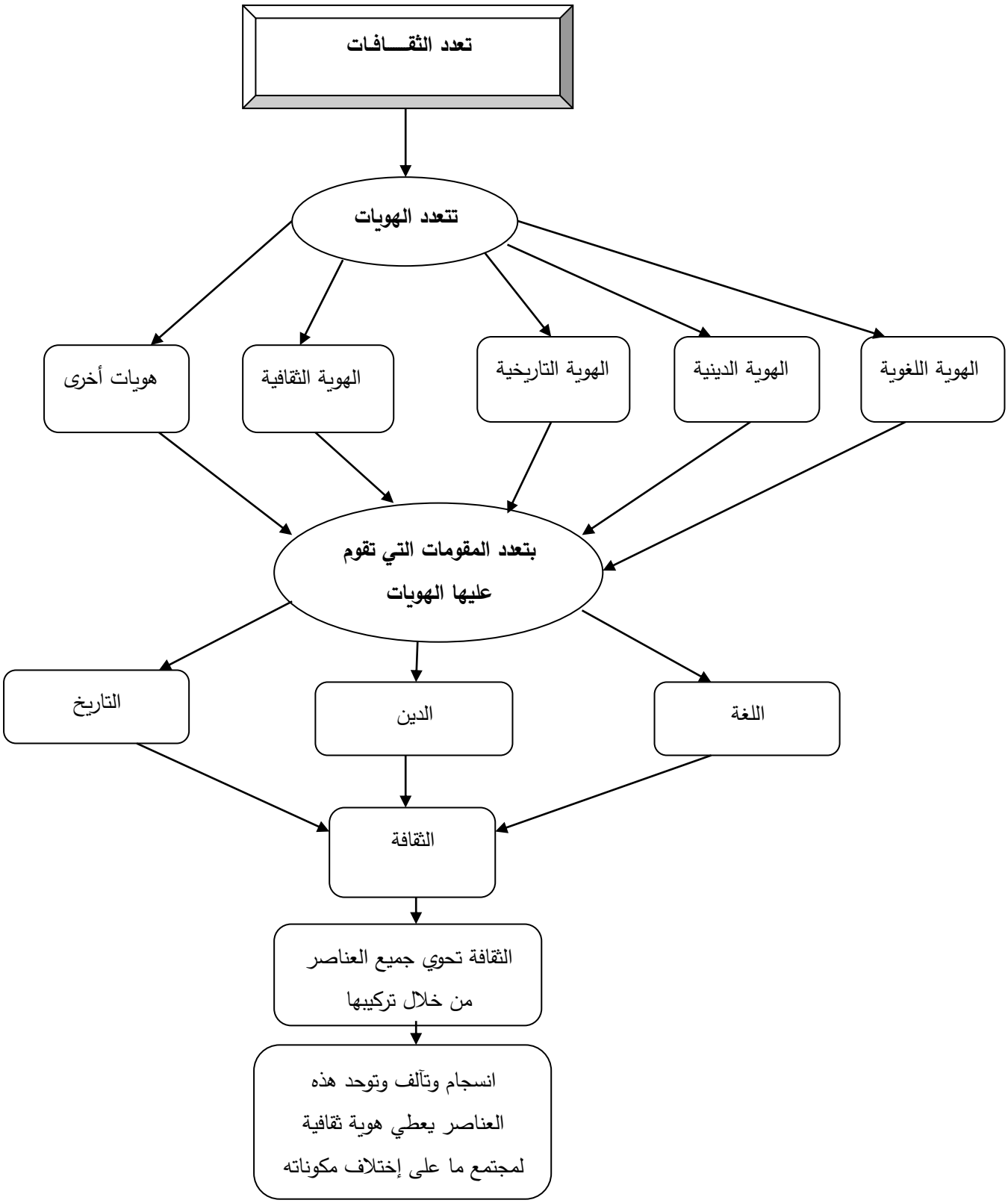


شكل رقم 01 : رسم بياني لمستويات الهوية الثقافية

وخلاصة القول أن مصطلح الهوية متنوع المفاهيم و الاستقرار على تعريف يكون حسب ميدان المادة المدروسة ، فالهوية الثقافية لا تقوم في مجتمع ما إلا بمقومات خاصة تحمل معان روحية وحضارية ورموز جماعية ، تؤدي بالفرد إلى الإحساس بالانتماء إلى الوطن أو المجتمع أو الأمة ، وتولد لديه شعور بمحبة والاعتزاز والولاء والتقدير بالانتماء للجماعة معينة من أجل البقاء والاستمرار.

ولا يمكن للهوية أن تتشكل من عنصر واحد سواء كانت اللغة أو الدين أو التاريخ أو الثقافة وإنّما هي محصلة العناصر كلها.

فاللغة تعد ميزة خاصة بمجتمع من المجتمعات ، فهي السان الناطق لثقافة ما ، تكسب الأفراد والشعوب هوية ثقافية ، فاللغة نتاج فكري للفرد مستخلص من ثقافة الأمة، فكل أمة لها لغتها القومية التي تعبر عن هويتها ، و إذا كانت اللغة هي نتاج فكري للفرد، فالدين يحدد القيم والمفاهيم وأنماط تفكير الأفراد وآرائهم فهو المرجع في حياتهم ، فيطبع بصمته الروحية ويكسب الفرد هويته. وبانتمائه للجماعة يتشكل الطابع القومي ويكون الدين معلما من المعالم التي تتحد مع الهويات الأخرى أو تختلف. ويمكن القول أن الدين من أهم مقومات الهوية الثقافية، والمحافظة على أصل الأمم والشعوب يكون بالتاريخ حيث يحفظ الأمة من الضياع وتعرف هويتها الثقافية من خلاله لأنّه يقتفي الحقائق ويجمعها ليكون للأمة شخصية ووجود، ومن المعلوم أن الهوية الثقافية لأي أمة أو مجتمع متغيرة وغير ثابت فيقوم التاريخ برصد مراحل التحول والتغير للحفاظ على العناصر الأصلية للهوية الثقافية ونعبر عن الهوية الثقافية من خلال الثقافة لكونها الوعاء الذي يحوي جميع أفكار و سلوكيات وحياة الأفراد داخل مجتمعهم، فهي تمثل القيم والمعتقدات والمعارف والفنون و الآداب وغيرها وبهذا التعبير تنتج الثقافة الهوية الثقافية.



شكل رقم 02: يمثل كيفية تشكل الهوية الثقافية لمجتمع ما

1-2- الصراع الثقافي في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية:

شكلت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ظاهرة ثقافية ولغوية متميزة، للارتباط نشأتها بالرد على سياسة المستعمر الرامية إلى طمس مقومات الشخصية الوطنية والأكاذيب التي روجت لها الرواية الكولونيالية، لذا سنتطرق إلى أهم مضامينها وأهدافها ولكن قبل ذلك يتوجب علينا الاطلاع على أدب الآخر (المستعمِر) والأهداف التي سعى الخطاب الكولونيالي لتحقيقها.

1-2-1 - الخطاب الكولونيالي المضامين والأهداف:

إن الحديث عن الخطاب الكولونيالي مرتبط بعامل أساسي لظهوره، حيث جاء لمساندة السياسة الاستعمارية في الجزائر وباقي الأراضي المستعمَرة، وتأييدا لمخططاتها التوسعية الرامية إلى جعل الجزائر مقاطعة من مقاطعات فرنسا.

- ✓ **-الاستعمار وسياسة طمس الهوية:**

لم يكن احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830 م اعتباطيا، إنما كان مقصودا ومخططا له بإحكام عن طريق إرسال مستشرقين ورحالة إلى المنطقة لاستكشافها، ويرى المتتبع لحملات التغلغل الاستعماري في عمق المجتمع الجزائري أن السلطة الفرنسية سعت منذ دخولها إلى طمس الهوية الجزائرية، وتجريد الفرد الجزائري من كل القيم التي كونت شخصيته على مدى قرون من الزمن، وحجتها في ذلك تخليص هذا المجتمع من مظاهر الجهل والتخلف ونشر قيم الحضارة والتطور.

حاولت السلطة الاستعمارية تجسيد هذه الفكرة شكليا من خلال سنّ بعض القوانين التي تبدو في صالح الجزائريين كـ (قانون 16 يونيو 1851 م) المتعلق بالملكية في الجزائر إذ ينص على أن « الملكية حق مضمون للجميع دون تمييز الملّاك من الأهالي والملّاك الفرنسين وغيرهم »[1] ولكن هذه القوانين الجائرة وأمثالها لا تلبث أن تلغى لتعتمد السلطة الفرنسية على قوانين أكثر جورا كـ (قانون الأهالي 1871 م) معلنة حرب الإبادة المادية والمعنوية بعدما وجدت نفسها في مواجهة مجتمع متماسك «حسن التنظيم له حضارته الخاصة.. وهذا المجتمع لا يخلو من عيوب، ولكن حبه للحرية وتمسكه بالأرض واتحاد كلمته وأصالة ثقافته.. أعطى البرهان على أصالته».[2]

وبالعودة إلى المرتكز الثقافي ـ وهو مجال بحثنا ـ نرى أن السلطة الاستعمارية ركزت في حربها على التخلص من معالم المنظومة الثقافية الجزائرية فبدأت باللغة العربية باعتبارها أحد أهم مقومات الثقافة فقد « حرّم على الجزائريين لغتهم »[3] إذ أصبحت « لغة أجنبية منذ 1830 »[4] وهدفها من ذلك هو فرنسة الفكر والشعور لا اللسان فقط و لم تكتفي بذلك، بل إن الإدارة الفرنسية قامة بمصادرة « دين العرب لكي تعمل عل تفتيتهم

---

[1] مصطفى الأشرف، **الجزائر الأمة والمجتمع**، تر. حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر والتوزيع،2007 ، ص.14.

[2] مصطفى الأشرف،**الجزائر الأمة والمجتمع**، المرجع نفسه،ص، ص.21. 22.

[3] جان بول سارتر، **عارنا في الجزائر**، دار القومية للطباعة والنشر، د. ط، ص.18.

[4] جان بول سارتر، **عارنا في الجزائر**،المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

و انتزاعهم من جوهم العربي»[1]، يقيننا منها أن الدين الإسلامي دين وحدة، وهو ما يناقض أهدافها، فسعت لتجنيد بعض رجال الدين الإسلامي بين عملائها لنشر الخرافات التي تؤدي للتفرقة، كما كتب الجنرال "دوكرو Ducrot" عام 1864م تقريرا موجها لنابليون الثالث سماه:" تقرير حول وسائل التي يجب استعمالها من أجل فرض السلام في الجزائر" إذ يقول: «يجب علينا أن نضع العراقيل أمام المدارس الإسلامية و الزوايا كلما استطعنا إلى ذلك سبيلا و بعبارة أخرى أن يكون هدفنا هو تحطيم الشعب الجزائري ماديا و معنويا»[2]، فهذا الاحتلال ما هو إلا امتداد للحروب الصليبية على الإسلام ، كما يضيف في نفس التقرير:« وعكس هذا يجب أن نفعله مع العنصر الأوروبي، فلنعمل إذن على تنمية الروح العسكرية، إحكام التنظيم العسكري لدى المعمرين بكل الوسائل الممكنة » [3]، فغاية الإدارة الاستعمارية من كل القوانين التي سنتها ، والممارسات التي ارتكبتها في حق الشعب الجزائري طمس معالم الهوية بكل امتداداتها الوطنية والقومية والدينية، وهذا ليسهل عليها تطبيق مشاريعها الإيديولوجية ضمن الحركة الإمبريالية الكبرى، وهذه السياسة قوبلت بالعديد من الثورات كـ (ثورة الأمير عبد القادر) و (المقراني) و (لالة فاطمة نسومر) و غيرها من الثورات، ومع تزايد الوعي الشعبي بوجوب التخلص من هذا الاستعمار الغاشم خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، تكلل بثورة الفاتح من نوفمبر 1954

[1] جان بول سارتر، **عارنا في الجزائر**، ص.18.

[2] مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، المرجع السابق،ص. 128.

[3] مصطفى الأشرف،المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ليعقبها الاستعمار و الحرية المنشودة التي تصب في غاية واحدة ووحيدة وهي الحفاظ على الهوية الوطنية و ترسيخ مقوماتها[1] .

✓ مضامين الخطابات الكولونيالية:

سعت فرنسا منذ دخولها للجزائر إلى بسط نفوذها على كل المناطق مستعينة في ذلك بمختلف وسائل الهيمنة منها الخطاب الثقافي الذي«شكل قوة ومددا للتوسع الكولونيالي»[2]، مثلت نصوصه الإبداعية سلاح القلم المساند للسلاح العسكري. وقد كان للرواية دور كبير في تعزيز الرؤية الكولونيالية* نظرا لما حدث بينها وبين النزعة الكولونيالية من التفاعل فعملت على«نقل أخبار تلك الشعوب البدائية التي يجب ترقيتها وهذا ما يجعلها تبرر وجود الاستعمار، وحتى العنف والدموية التي

[1] ينظر أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي ، ج.10، ط.1،1998.

[2] مغربي زين العابدين، **وجع الكولونيالية واستعادة الكينونة المنسية رواية "أشياء تتداعى" تشينوا أتشبي**، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة سيدي بلعباس، مج. 11، ع. 1 مارس 2017، ص. 5.

* **الكولونيالية:** مصطلح الكولونيالية ذو أهمية في تحديد الشكل المحدد للاستغلال الثقافي، الذي تنامى بالتزامن مع التوسع الأوروبي خلال القرون الأربعة الفائتة ويفرق إدوارد سعيد بين الإمبريالية التي تعني الممارسة والنظرية والتوجهات الخاصة بمركز حواضري متسيّد يحكم إقليما نائيا، بينما الكولونيالية هي زرع للمستوطنات في إقليم ناء، أي هي نتيجة للإمبريالية. ينظر بيل أشكروفت، جاريث جريفيث، هيلين تيفين، دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية ، تر. أحمد الروبي وآخرون أحمد الروبي وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط.1، 2010، ص. ص 105. 106

صاحبته »[1]، وهي بذلك تتبني الرسالة الحضارية المزعومة التي روجت لها فرنسا لتبرير استعمارها مركزة فيها على إبراز العمل الخيري المسيحي، تقديم إصلاحات مادية و كذا تهذيب أخلاق السكان الأصلين باعتبارهم أناسا متوحشين يعيشون وفق نظام الغاب فهم بحاجة ماسة إلى المدنية الأوروبية.

والملاحظ أن الكتاب الفرنسيين الذين تبنوا الخطاب الكولونيالي قد «أداروا ظهورهم لنصوص ثورتهم الفرنسية التي تزعم أنها جاءت بالحرية والعدالة والأخوة.. وتبنوا مكانها ثقافة استعمارية استلهموها من تاريخ أجدادهم الرومان التي تقوم على الأسياد والعبيد»[2]، فقامت كتاباتهم على مبدأ الازدواجية في التعامل مع قضايا الحرية والعدل والمساواة، التي نادى بها الجزائريون.

وقد وفد هؤلاء الأدباء إلى الجزائر بطريقة حرة أو منظمة من طرف وزارة الحربية التي أرسلت رحالة وفنانين وأدباء إلى الجزائر من أجل إغراء الرأي العام الفرنسي تحديدا والأوروبي عموما للتشجيع على الاستيطان، خاصة مع قدوم بعض الأدباء الرومنسيين

---

[1] بن ربيعي فطيمة، **صورة بلاد المغرب في كتابات الروائيين في القرن التاسع عشر "موباسان" و"لوتي " و"جيد" أنموذجا**، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، تخصص آداب أجنبية، جامعة البليدة، 2017/ 2018، ص.104.

[2] فضيلة يحياوي، **الراوية والمجتمع الكولونيالي في الجزائر، ما بين الحربين**، تر. عبد الحميد سرحان، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية،2007، ص.ص.3،4.

إلى الجزائر «هربا من القمع البورجوازي »[1]، الذين انبهروا بما تزخر به الطبيعة الجزائرية من تنوع بيئي، ومناظر خلابة، فجعلوا هذه الأرض مسرحا لمغامراتهم، كما فتنوا بالأجواء العامة للبلاد، فتخيلوا أنفسهم «يعيشون مغامرات ألف ليلة وليلة وأجواء الجواري والغلمان»[2]. و يظهر ذلك في ما قدمه الروائي "فرمانتان"Fromentin " في كتابة (صيف في الصحراءUn Eté dans le Sahara) سنة 1854م الذي صور فيه الصحراء الجزائرية انطلاقا من ولاية (المدية) إلى (عين ماضي) بولاية (أغواط)، كما لم يتخل الكاتب عن «نظرته الاحتقارية للجزائري حيث حاول في الكثير من الأحيان نفي وجوده و تهميشه»[3] فإعجابه بالصحراء بارز في كتابه باعتبارها أرضا شاسعة تضمن له الهدوء والراحة النفسية بعيدا عن صخب المدينة، مع تجاهل لسكانها في الكثير من الأحيان، و إشادة بقوة فرنسا وإنجازاتها المدنية والعسكرية في نفس الوقت من خلال وصف المركز العسكري بالجلفة الذي« تم تشيده في هذه خمسين يوما في عهد جنيرال راندون».[4]

ومع أواخر القرن التاسع العشر «بدأ الواقع الجزائري يفرض نفسه شيئا فشيئا على الكتاب الفرنسيين »[5]، ويبرز ذلك في كتابات "ألفونس دوديه Alphonse Daudet "

---

[1] الطيب بودربالة، **صورة الجزائر في الرواية الفرنسية الحديثة**، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الوادي، مطبعة منصور الوادي،ع.2-3، الجزائر، مارس 2010، ص.8.

[2] المرجع نفسه، ص.9.

[3] علالي محمود، **وصف المركز العسكري بالجلفة من خلال كتاب "صيف في الصحراء" للكاتب أوجين فرومنتان**، مجلة أنسة للبحوث والدراسات، جامعة الأغواط، ع.10، 2014، ص.22.

[4] علالي محمود ،المرجع نفسه، ص.20.

[5] الطيب بودربالة، **صورة الجزائري في الرواية الفرنسية الحديثة**، ص.10.

الذي كتب قصة (في مليانة) التي نشرها ضمن كتاب(رسائل من طاحونتي Lettres de Mon Moulin) ، حيث وصف جمال طبيعة هذه المدينة وهو يشاهدها من شرفته في الفندق، كما تتخلل نصه نظرة الاستعلاء و الاحتقار في وصفه للسكان، فنجده يصف أطفالهم بقوله «هناك مجموعة من الصغار العرب نصف العراة يلعبون بالكويرات و يصيحون صياحا شديدا »[1]، بينما نجده يصف السيد "عمر" الذي خان الأمير عبد القادر و أصبح حليفا لفرنسا بقوله «كان رهيبا و عظيما، و أصبح منذ ذلك التاريخ أفضل و أشرس جنود فرنسا ضد الأمير»[2] ، أما النساء العربيات فكنّ يأتين «لأطلال معبد قديم لتعليق النذور وخرق الحياك أو ضفائر الشعر المخضبة بالحناء »[3]، فيركز الوصف هنا على القيم والبساطة التي تخص المنظر الخارجي.

أما في قصة (تارا تاران دو طرسكون tartarin de tarascon) فجده يركز على الصور واللوحات العاكسة لعادات وتقاليد الأهالي، أما وصفه للفرد الجزائري فكان سطحيا مغرضا «فهو إنسان يتصف بخمول وعدم النشاط »[4].

---

[1] أغامير محمد، **صورة الجزائري في مخيال الآخر لدى الأدباء الفرنسين في القرن التاسع عشر**، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران ،2014/2013، ص.105.

[2] أغامير محمد،**صورة الجزائري في مخيال الآخر لدى الأدباء الفرنسيين في القرن التاسع عشر** ،المرجع نفسه، ص.106.

[3] أغامير محمد ،المرجع نفسه، ص.111.

[4] أغامير محمد، **صورة الجزائري في مخيال الآخر لدى الأدباء الفرنسين في القرن التاسع عشر** ، ص129.

ليرتفع مدّ الخطاب الكولونيالي خاصة عند الكاتب "موباسان Maupassant" في مجموعته (تحت الشمس Au soleil) التي أظهر فيها هو الآخر إعجابه بطبيعة الجزائر، أثناء تتبعه خطى "الشيخ بوعمامة" الذي وصفه بأنه «الرجل الشيخ الذي حيّر جيشنا في إفريقيا ثم اختفى تماما حتى رحنا نشك في وجوده كان هذا الرجل الجوال قائد عصابة صغيرة ثائرة بسبب الجوع»[1] فقد اختصر الكاتب مقاومة "الشيخ بوعمامة" ضد الاستعمار التي زادت عن العشرين سنة بأن جعلها ثورة ضد الجوع، وأن هذا القائد ما هو إلا رئيس عصابة صغيرة أو قاطع طريق. وهو بذلك يجسد الصورة التي «نسجت في خيال الكاتب نتيجة ما كانت تروج له السلطات الاستعمارية، التي تجرّم كافة القوى المناوئة لها، والرافضة لوجود الاحتلال بأراضيها.. فالأديب مقتنع بتلك الأخبار التي وصلته وراح يعممها على كل من يحاول أن يقاوم وجود إدارته الفرنسية في البلاد»[2]، فكتابات "موباسان" ماهي إلا تأكيد للإشاعات التي كان يروج لها المستعمِر من أجل تشويه صورة الجزائريين والتأكيد على دونيتهم، وهذا ما نجده في قصة "علومة Aloma" فقد حط من مكانة المرأة الجزائرية، وجعلها إحدى ممتلكاته التي سيخلص منها عندما يملها إذ يقول عن علومة: «لماذا لا أبقيها أو اتخذ منها شبه عشيقة وأمة.. ويوم أملها من السهل على

[1] بن ربيعي فطيمة، **صورة بلاد المغرب في كتابات الروائيين في القرن التاسع عشر "موباسان" و"لوتي " و"جيد" أنموذجا**، ص.242.

[2] بن ربيعي فطيمة ، **صورة بلاد المغرب في كتابات الروائيين في القرن التاسع عشر "موباسان" و"لوتي " و"جيد" أنموذجا**،المرجع نفسه، ص.243.

جميع الأحوال أن أتخلص منها بطريقة أو أخرى»[1]، فجعل منها ملكا خاصا به «انتقلت إليه بموجب استعمار بلاده لهذه الأرض، فمتى طلبها كانت له، ومتى أراد التخلص منها، فعل ذلك دون أي عارض أو مانع» [2] أما ذاك العربي «الذي كان همجيا وفضا، يصبح متسامحا وعطوف عندما يتعلق الأمر بنسائه وشرفه»[3]، كان هم الجزائري حسبه لا يتعدى بطنه أما شرفه وعرضه فهما مباحان للمستوطن.

و مع بداية القرن العشرين سيتبنى الكتاب الفرنسيون الخطاب الكولونيالي صراحة في أعمالهم فيرى «"لويس برتراند Louis Bertrand " أنه" صاحب مشروع حضاري، و صاحب رسالة إنسانية»[4] محاولا بذلك استحضار « الماضي الاستعماري الروماني مرتكزا للنظرية القائمة على الانتماء اللاتيني للجزائر»[5]، فالجزائر بالنسبة له جزء لا يتجزأ من فرنسا و أن هذه الأخيرة باحتلالها للجزائر لم تقم سوى باسترجاع حقها المسلوب، «لأن الإمبراطورية الفرنسية هي الوريثة الشرعية للإمبراطورية الرومانية »[6] ليمهد هذا الكتاب لظهور جيل جديد من الروائيين الفرنسيين حاولوا المساهمة في إنجاح المشروع

---

[1] بن ربيعي فطيمة، **صورة بلاد المغرب في كتابات الروائيين في القرن التاسع عشر "موباسان" و"لوتي " و"جيد" أنموذجا**، ص.267.

[2]. بن ربيعي فطيمة ،المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

[3]. أغامير محمد، **صورة الجزائري في مخيال الآخر لدى الأدباء الفرنسين في القرن التاسع عشر**، ص.169.

[4] الطبيب بودربالة، **صورة الجزائر في الرواية الفرنسية الحديثة**، ص.12.

[5] الطبيب بودربالة ،المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[6]الطبيب بودربالة، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الاستعماري فكونوا تيارا أدبيا اتخذوا له اسم «الجزائريانية L'algérianisme »[1] لتأكيد أن كل ما في الجزائر ملك لفرنسا حتى الاسم. ومن رواد هذا التيار روبير راندو Robert Randot و"لويس لوكوك" غيرهم ، إذ كان هذا التيار« الناطق الرسمي للاستعمار في الجزائر»[2].

✓ **أهداف الخطاب الكولونيالي:**

ويمكن أن نستخلص من خلال مضامين الخطابات الكولونيالية الأهداف التي رسمتها وهي كما يلي:

– استكشاف واستطلاع بيئة المجتمع الجزائري ليسهل التغلغل في أعماقه وبالتالي تحطيمه من الداخل.

– تبرير السياسة الاستعمارية وجعلها في الموقف المظلوم الذي يواجه قطّاع الطرق والخارجين عن القانون.

– رسم صورة نمطية[3]* عن الجزائريين وتعميمها في مخيلة المستوطنين وحتى الجزائريين، وفي المقابل عمدت إلى تنميق صورة المستوطن باعتباره بطلا حضاريا.

---

[1] فضيلة يحياوي، **الرواية والمجتمع الكولونيالي في الجزائر ما بين الحربين**، ص. 16.

[2] فضيلة يحياوي ،المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

*الصورة النمطية: النمط أو القالب الجاهز الذي يعد شكلا أوليا للصورة من حيث هو فكرة مسبقة الصنع، مؤسسة على معتقدات مبالغ فيها ، تلصق بجماعة ما ،ويمكن التمييز بين صيغتين في النمط :الصورة النمطية الذاتيةauto stéréotypes الصادرة عن الذات الناظرة لنفسها لتعود عليها ،والصورة

– تهميش الفرد الجزائري وإلغاء وجوده، والتركيز على تصويره خارجيا فقط لجعله ضمن عالم الأشياء أو الماديات التي هي ملك للمستعمر.

– التركيز على العادات والتقاليد السلبية ونشر الخرافات والبدع بين الجزائريين.

– ترسيخ فكرة أن الجزائر فرنسية، من خلال الترويج لفكرة أن فرنسا وريثة شرعية للإمبراطورية الرومانية.

– طمس معالم الهوية الوطنية والدينية والقومية للجزائريين وتشويه الوجه الحضاري للمستعمَر.

يمكن القول أن الخطابات الكولونيالية عمدت إلى تصوير المجتمع الجزائري متبنية الإيديولوجية الكولونيالية، رغم أنها حاولت الظهور عكس ذلك من خلال إبراز القيم الإنسانية التي حملها هذا المستعمر، ولكن لم تلبث أن تحولت إلى ما يشبه الشعارات المروجة للأطماع الفرنسية، و تغنى أصحاب هذا التوجه بفضائل المستعمِر محرضين إياه على استغلال أكبر قدر من ثروات هذه البلاد.

النمطية الغيريةstéréotypes الذي تطلقه الذات الناظرة على الآخر الأجنبي .ينظر بن ربيعي فطيمة، صورة بلاد المغرب في كتابات الروائيين في القرن التاسع عشر "موباسان" و"لوتي " و"جيد" أنموذجا، ص.ص.31 .36

1-2-2 الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

قد لجأ الروائيون الجزائريون إلى اللغة الفرنسية ، لحتمية الظروف الاستعمارية ، فكانت لغة المستبد منفذهم للتعبير عن ذواتهم، ومعالجة قضايا وطنهم جراء الحصار الذي فرض على اللغة العربية «سدّت في وجوههم كل السبل المؤدية إلى الاتصال بواقعهم هذا الواقع المسحوق .. عن طريق اللغة العربية.. أغلقت كل الأبواب عليهم حتى لا يتصلوا بجذور تاريخية هذه اللغة...»[1]، لكن رغم الحواجز التي وضعت أمامهم لمنع الرؤية الواضحة لإتباعهم لميولهم الحضاري من أجل تغريبهم الثقافي ، ورغم جهلهم للغة العربية إلا أنهم أبدعوا بلغة المستبد ، و بلّغوا رسالتهم السامية في إطار ما عاناه بلدهم من ويلات الاستعمار الفرنسي.

✓ ظروف نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية :

إن علاقة الأدب بالأوضاع المحيطه به ، علاقة تلازمية فلا يمكن أن يوجد أدب إلا من خلال تأثره بعوامل عديدة فكرية، ثقافية، سياسية، إجتماعية.. أثرت على مضمونه ومضامينه.

والأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية مرتبط في نشأته وظهوره بظروف سياسية واجتماعية خاصة تحت حتمية وجود المستعمر، وكذا تأثره بمختلف السياسات

[1] عبد الرحمن ياغي، **البحث عن إيقاع جديد في الرواية العربية**، دار الفارابي، بيروت، ط.1، 1999، ص.105.

التي مارسها المستدمر الفرنسي على الشعب الجزائري، على إثرهذه الظروف ولدت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وفي خضم القيود و الخناق الذي وضعه المستعمر أمام الفرد الجزائري، و هذا ما أثر على الطبقة المثقفة منهم خصوصا حين تعلق الأمر بمحاولة طمس الهوية الجزائرية الإسلامية ، وكانت وسيلته في ذلك فرض تعليم اللغة الفرنسية بدلا من اللغة العربية، والقضاء على المدارس القرآنية التي كانت الحصن الحامي للغة و ثقافتها،« وهذا جانب من الوضع اللغوي الذي فرض على الجزائر بعد عام 1830 أي نكبة الاحتلال الذي كان هدفه ابتلاع الجزائر أرضا و ثقافة و محو وجودها المتميز ومسح هويتها و تشويه تاريخها ».[1]

فالهدف الحقيقي لوجود المستعمر الفرنسي هو البقاء الدائم في الجزائر، و ضمها لممتلكاته الخاصة، لهذا استعمل عدة أساليب ووسائل للقضاء على هويتها، فكان أول ما بدأ به هو القضاء على اللغة العربية « فقد استعملت فرنسا جميع الأساليب للقضاء على اللغة العربية، فقد كان غزو فرنسا للجزائر غزوا شاملا يهدف إلى التغلغل في الأرض و احتلالها احتلالا شاملا و دائما »[2]، بالسيطرة على وجودها الجغرافي والثقافي والفكري، وتفننت فرنسا في إجراءاتها التعسفية اتجاه اللغة العربية ، حتى أنها لجأت لسن قانون تجريم كل من يتعلم اللغة العربية و« اعتبر الاستعمار تعليم اللغة العربية جريمة يعاقب

[1] عبد القادر فضيل ، اللغة العربية ومعركة الهوية في الجزائر ،دار جسور للنشر والتوزيع ، الجزائر ،ط 1 ، 2013، ص.23.

[2] نوال بن صالح ، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية و ثورة التحرير صراع و الهوية ، مجلة المخبر أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري ، جامعة بسكرة ، ع 7، 2011 ، ص 222 .

عليها بموجب القانون الفرنسي لأنها لغة أجنبية »[1]. وكل ذلك من أجل القضاء على هوية المجتمع الجزائري باستبعاد لغته و تعويضها باللغة الفرنسية، فتكلم لغة ما يعني أنّ نتكلم بلسان ثقافتها و هويتها. و ما يمكن أن نخلص إليه أن الغاية من قضاء على اللغة العربية في الجزائر وإبدالها باللغة الفرنسية هو إبدال الثقافة الجزائرية بالثقافة الفرنسية، وإبدالها باللغة الفرنسية هو إلباس و دمج الثقافة الفرنسية ،لأن ضرب اللغة ضرب أساس من أسس الهوية ، كما أن حكومة المستعمر، في جميع مراحل سياستها التعليمة، كانت تهدف لـ «تكوين فئة من متوسطي الثقافة والتعليم وتوظيفها كإطارات وذلك في مختلف المؤسسات الإدارية والإقتصادية تلعب دور الوساطة بين الجزائريين و الإدارة الاستعمارية بهدف خلق نواة لسياسة التبعية اللغوية والثقافية »[2] ، وما ينطوي عليه هذا الحديث هو خلق فئة جديدة من الجزائريين ، تقوم بدور الوساطة بين الإدارة الاستعمارية والسكان المحليين. إنّ اهتمام الفرنسيين بتعليم الجزائريين يعود إلى حاجتهم إلى اليد العاملة المؤهلة التي تخدم مصالح المعمرين. إضافة إلى ذلك «تكوين يد عاملة تعرف القراءة والكتابة لفائدة المقولات الاستعمارية»[3] ، كما أراد الفرنسيين غزو الجزائر فكريا عن طريق التعليم لإخضاع الجزائريين وإدماجهم في الكيان الفرنسي « إن تغيير الفرد الجزائري هو الهدف

---

[1] قردان الميلود، الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية من منظور الاستشراق الروسي، مجلة الجسور، مركز جامعي تيبازة، مج 03، ع11 ، سبتمبر 2017 ص 57.

[2] أحمد بن داود،المقاومة الثقافية لاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب، أطروحة دكتوراه ، قسم التاريخ و الاثار،كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية ،2016-2017،ص.44.

[3] أحمد بن داود،المقاومة الثقافية لاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر و المغرب، المرجع نفسه.ص44.

النهائي للسياسة الفرنسية، فإذاما تغيرت شخصيته تمت لفرنسا السيطرة على الجزائر أرضا و شعبا »[1]، غير أن اللغة الفرنسية التي أراد الفرنسيون نشرها هي لغة الشارع، أي اللغة الدارجة الأكثر استعمالا و شيوعا و ليست اللغة الفرنسية العلمية. فالمعمرون كانوا يخافون العربي المتعلم واعتبروه عنصرا خطيرا وعاملا لغير صالحهم[2]. فالغاية من الاستعمار الفرنسي للجزائر هو ضمها لفرنسا لتصبح قطعة من أراضيها ، و نرى ذلك من خلال السياسات التي مارستها على الجزائريين في محاولة لتغيير شخصية الفرد بتغيير لغته الأصلية و نشر الفساد الأخلاقي و محاربة الدين الإسلامي ...الخ

و خلاصة القول أن الهجوم على اللغة العربية في الجزائر كان من أجل خدمة مصلحة فرنسا، وما مورس على شعبها من طمس للهوية و تحطيم لمعالم الحضارة الإسلامية و تغيير للملامح الثقافة لخير دليل على أنها سياسة تملّك واستعباد.

رغم البداية المحتشمة للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية التي كانت تساند مبدأ الإدماج _ وهذا أمر طبيعي لكون الكتاب من خرجي المدارس الفرنسية_ ، إلا أننا نجد في مقابل بعض الأقلام الروائية التي كتبت بلسان الفرنسي، تبحث عن هويتها وانتمائها الوطني، وكانت مقيدة بالقيم الفرنسية المفروضة عليها، ومع ظهور ظروف جديدة كالحرب العالمية الثانية ، ومجازر 08 ماي 1945 ، ظهر جيل جديد أكثر نضجا

[1] عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي و الفرنسية في الرواية المغاربية، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع ،ط2،2013،ص 220.

[2] فريدة بشيش، البرامج التعليمية الاستعمارية الفرنسية ودورها في سلب هوية الطفل الجزائري، مجلة كلية التربية ،جامعة الازهر،ع.177،ج.1،يناير،2018.

ووعيا يدعو إلى الثورة بدلا من الإدماج، فاستخدموا العلم للدفاع عن هويته وهوية جداده، كما كانت اللغة الفرنسية التي علّمتها فرنسا الاستعمارية له أداة للرّد على افتراءاتها و مخططتها، ورفع همة الجزائريين لترسيخ معالم الهوية الوطنية والقومية وشحذها لمقاومة العدو المستدمر.

تأثر الأديب الجزائري بمجتمع المستعمر، مما يعني أنه لا يمكن أنّ لا يكون هناك أدب جزائري مكتوب بالفرنسية، ومع طول المدة التي تفصل بين الاحتلال وظهور هذا الأدب فهو الأمر غير العادي، ويعود تأخر ظهور الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية كل هذه المدة التي تزيد عن التسعين عاما يشمل على عوامل أهمها :

- الحرب الاستئصالية ضد الأمة الجزائرية ومقوماتها الأساسية وسياسة العدوان منتهج من طرف الاستعمار طوال الاحتلال.
- عدم وجود تلاقح فكري أو تأثير، فكانت علاقة الجزائريين بالمعمرين علاقة متوتر منعت الاحتكاك الإيجابي لانعدام الثقة.
- الانغلاق على الذات فرغم أن مستوطنين والجزائريين يعيشون جنبا إلى جنب، إلا أنه كل طرف يعيش حياته الخاصة دون إشراك الآخر فيها، فينظر إلى الجزائري نظرة دونية ،أما الجزائري فكان يريد المحافظة على ثقافته وهويته [1]

[1] – ينظر أحمد منور ، الادب الجزائري بلسان الفرنسي ،ص. 89 وما بعدها.

وبتغير الأوضاع بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، لوحظ انفراج وتقارب وانفتاح على الأخر الذي نتج عن تغيير المستعمر لسياسته للحد من التوتر، ولكي يظهر أمام الرأي العام أنه ناقل للحضارة ونشرها في الجزائر.

✓ مضامين الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية:

إن ظهور الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وتطورها لم يأت من فراغ ، وإنما مرت بمراحل متأثرة بالظروف وسياسات التي سادت آنذاك. وقد قدر تاريخ أول رواية فيها سنة ألف وتسع مئة وعشرون « الجزائريين كتبوا باللغة الفرنسية ، ولاسيما في مجال الرواية ، فإن جاك ديجو Jean Dejeux ، المؤرخ الأول للأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية يتخذ 1920 كانطلاقة حقيقة لهذا الأدب الناشئ ويعد مؤلف القايد الشريف الموسوم (أحمد مصطفى القومي) بداية تلك الانطلاقة»[1]،فقد اعتبر جان ديجو البداية الفعلية للأدب الجزائري باللغة الفرنسية مع رواية(أحمد مصطفى القومي Ahmed Ben Mostefa Goumier) ، يتضح لنا أن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية لم يؤرخ لها إلا في سنة 1920 ، ومن المعقول أن بداية أي فن جديد تسبقه عدة محاولات ويمكن أن نفسر عدم الإشارة إلى ذلك بتجاهل الباحث لكثير من الأثار الروائية « وإذا سلمنا بهذا التاريخ على أنه بداية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية .. كما يتجاهلون كل

[1] - أحمد منور ، المرجع نفسه، ص.88.

ذلك الأدب الذي يكتبه الجزائريون بالفرنسية في فترة مابين الحربين »[1] ،خاصة منه ما يتعارض ومخططات السياسة الفرنسية المستعمرة ، وعلى العكس من ذلك تشجيع ونشر أعمال إبداعية لكتاب الأهالي وهنا يقصد نتاج المدرسة الفرنسية خاصة الكتاب المشبعين بالأفكار الفرنسية وثقافتها الذين يكنون لها الفضل والامتنان.

ومن الروايات التي كانت تدعو إلى الإدماج التي ظهرت في الفترة الممتدة بين (1920 – 1930) نذكر السيرة الذاتية للقائد "بن الشريف" متبوعة برواية (زهراء امرأة المنجمي Zohra,La Femme du mineur) " لعبد القادر حاج حمو" التي صدرت (1925) (ورواية مأمون بدايات مثل أعلى Mamoun ,L'ébauche D'un Idéal) "لشكري خوجة "التي صدرت سنة (1928) (ورواية العلج أسير بربروسيا El- Euldj,Capatif De Barbesques) للكاتب نفسه سنة 1929 [2].

وما يلاحظ على هذه النماذج أن أصحابها تبنّوا الحضارة الغربية في كل الأمور ليصبح الفرنسيون قدوتهم، وهذا ما تدل عليه أعمالهم الروائية فهم يشعرون بالامتنان للوجود الفرنسي بالجزائر. وكمثال عن ذلك نجده في رواية (مأمون)" لشكري خوجة" حينما يتساءل البطل مأمون قائلا : « تمتلك فرنسا حقوقا علي ، وأنا أشعر برغبة غامضة أن أقدم شيئا يفيدها... وأنا العربي لي هدف وهذا رائع أن أجده .. هي فكرة الوطن التي

[1] – احمد منور ، الأدب الجزائري بلسان الفرنسي ،ص.89

[2] ينظر جبور أم الخير ، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيو نقدية ، أطروحة دكتوراه قسم اللغة العربية و آدابها ، جامعة وهران ،2010 / 2011، ص.22 .

بدأت تتفتح بداخلي»[1]، فهو يرى أن فرنسا من جعلته متحضرا وهو ممتن لها، وله واجبات نحوها يجب أن يقدمها لها، أما الغموض اتجاه الوطن فهمه على أنه إدماج ، فأفكاره تأيد الاصطباغ بثقافة المحتل.

نظرا لكون الأدباء الذين اختيرت أعمالهم للنشر، هم من نتاج المدرسة الفرنسية، فهم يؤمنون بفكرة الاندماج والتعايش مع مجتمع المستوطنين ، كانت كتابتهم تظهر اعجابهم بثقافة الآخر و حضارته ، فتبنو حياة دخيلة على المجتمع الجزائري المسلم ، واستباحوا ما حرمته الشريعة الإسلامية ، واعتبروه حقا شخصيا تمثل في حرية الفرد المطلقة في المجتمع، ولم يهتموا لوجهه الشرعي في ذلك ، وبرزت أعمالهم الأدبية التي تدعو إلى شرب الخمر وتعاطي المخدرات حتى ممارسة الدعارة[2].ومثل هذه السلوكات انتشرت في المجتمع الجزائري جراء الواقع المفروض عليه ، فحتما يكون نتيجة احتكاك الجزائريين بالفرنسيين وثقافتهم وابتعادهم عن الدين الإسلامي ، وهذا ما سعى إليه المستعمر من طمس شخصية الفرد ، وقتل كل ما له علاقة بالهوية الجزائرية حتى المشاعر الروحانية ، فقد تم تمجيد الآخر كأنه قدوة وهذا ما أراده الاستعمار.

أما المتتبع للتطور الذي رافق الكتابة الروائية الجزائرية بلسان الفرنسي في الفترة ما بين (1929- 1948) نلاحظ تأثرها بالتغيرات السياسية و الاجتماعية، فقد طرحت انشغالات وتساؤلات تبحث عن الانتماء الوطني وهويتها وذلك «حينما طرحت مسألة

[1] جبور أم الخير، المرجع نفسه،ص.23.

[2] ينظر أحمد منور ، مرجع سابق ، ص،95.

إمكانية حصول الجزائريين عن صفة المواطنة الفرنسية .. وهي مسألة تمس في الصميم موضوع الهوية ، فكان السؤال المحير لدى الكتاب ولدى بعض الزعماء السياسيين ولدى المثقفين الجزائريين باللغة الفرنسية، بوجه عام ،هو كيف يمكن للجزائري أن يصبح فرنسيا مع ما في ذلك من تناقض »[1]، فهذه المرحلة طبعت بأزمة الهوية، حيث مست ذات الشخصية المواطن الجزائري التي تحمل العروبة والإسلام على عكس الشخصية الفرنسية ذات اللغة الفرنكوفونية، وتدين بغير الإسلام، والشيء غير المستساغ أن يصبح مواطنا فرنسيا وفي عروقه العروبة و الإسلام فهو إذا صبغ بغير صبغته ما جعل شخصيته هجينا، فكيف يتصرف الفرد الجزائري إذا حصل على صفة مواطن فرنسي،ومع ما يترتب عليه من التزامات، وواجبات ، وتبعات، لابّد له من الوقوع في تضارب بين ذاته المشبعة بالثقافة العربية الإسلامية ، وبين ما يجب أن يكون عليه ضمن ثقافة أجنبية عنه،فيصبح تفكيره هجينا مما يؤدي به إلى الخلط ،وعدم التمييز بين الحق و الصواب والباطل والخطأ ،وخاصة في ظل حكم الاحتلال الفرنسي. لكن هذا النوع من الروايات لم يكن بالعدد الكبير «وهي على أية حالة قليلة العدد لا يتعدى سبع روايات في مجملها مثل رواية مريم بين النخيل(1934) لمحمد ولد الشيخ، و بولنوار فتى الجزائر (1941) لرابح زناتي وليلى فتاة جزائرية(1948) لجميلة دباش...»[2]،فالمتتبع لأعمال الأدباء الأوائل الذين كتبوا باللغة الفرنسية ، يلاحظ أنهم مناصرون لمبدأ الاندماج والمساواة

[1] أحمد منور ، الأدب الجزائري بلسان الفرنسي ، ص.98.

[2] أحمد منور ، مرجع نفسه،الصفحة نفسها.

بالفرنسيين للحاق بثقافة الفرنسي «إن الطبقة الأولى للكتاب الجزائريين المعبرين باللغة الفرنسية كانوا أساتذة أو أصحاب وظائف حرة.. أو من خيرة علية القوم (1920-1950) وهم خريجي المدرسة الفرنسية ومن مناصرين لمبدأ الاندماج»[1].

وما يمكن قوله أن هذه الروايات أخذت طابعا وقالبا واحد جاهزا «وهي روايات تنتمي من الناحية الفنية بلا استثناء إلى الرواية الاثنولوجية التي ظهرت في الجزائر في عقد العشرينيات وتنتمي من حيث مضمونها إلى ما يطلق عليه الباحثين مصطلح رواية الاطروحة»[2]، ومجمل ما عالجته هذه الروايات هو قضية الاندماج،أي التجرد من الهوية الأصلية الجزائرية والتحول إلى هوية الآخر المستعمِر، و رغم تباين المواقف حول قبول الاندماج أو رفضه واختلاف تصوراتهم للمسألة ورغم تشبعهم بالثقافة الفرنسية إلا أنهم كانوا متفقين ضرورة الحفاظ على الهوية الجزائرية التي تتجسد أساسا في الدين واللغة والتقاليد، وحتى دعاة الاندماج الكلي- من تجنسوا بالجنسية الفرنسية- لم يعترضوا على ذلك.[3]

تدور أحداث أغلب الروايات في هذه الفترة حول المثقف الجزائري حامل لثقافة المستعمر ، في خضم المجتمع الذي يعيشه من رفض اجتماعي حيث تغيير الانتماء يتطلب تغير في المعتقد الديني واللغوي ضريبة للحصول على الحرية المزعومة ، وهنا يقع الفرد الجزائري

[1] جبور أم الخير ، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيو نقدية، المرجع السابق،ص،20.

[2] أحمد منور ، الأدب الجزائري بلسان الفرنسي ،ص. 183.

[3] ينظر أحمد منور، المرجع نفسه، ص. 184.

في صراع بين ثقافتين ، مجتمعه الأصلي الذي يسوده الجهل والتخلف وما يحمل الفرد الجزائري من علوم وأفكار جديدة مستقاة من الحضارة الفرنسية[1]* و مخالفة لتعليم الدين الاسلامي وبين مجتمعه الجديد الذي تشبه به،يجد نفسه أمام تصرفات العنصرية وتجاهل وجوده،نخلص إلى أنه وقع صراع بين الأصل (الذات) و ما يرونه مناسبا وبين تشبه بالأخر وما ينجر عليه من فهم ،تجلى ذلك في ما يعرف من الستر في الدين و الاعراف والتقاليد وبين أفكار الثقافة الفرنسية من تحرر المرأة .

وقد تطرقت رواية "الفتى الجزائري" لـ "رابح زناتي" إلى التعليم وكيف كان طرفا في الإدماج ، ويظهر ذلك جليا في نتاجه الأدبي في محاولة إيصال فكرة التوافق والاندماج بين المجتمعين ،من خلال انحيازه لمدرسة الفرنسية و تهمشه لدور تعليم القرآني** وما يلفت النظر أن معظم الروايات، ركزت على تيمة أخرى،حيث تحدثت عن الزواج المختلط بين بطلها الجزائري، وبطلتها الفرنسية،إلا أن الرؤية في هذا الموضوع لها عدة احتمالات:

---

[1] *من رواية ليلى فتاة من الجزائر لجميلة دباش، تشرح البطلة أسباب سوء الفهم الذي يقع بينها وبين أسرتها إذ ترى أنها تطورت في حين بقي أهلها على هامش الحياة العصرية،وما تراه الأسرة في قضية لباسها هو خروج عن عادات أجدادها. ينظر،أحمد منور ، الأدب الجزائري بلسان الفرنسي المرجع نفسه، ص.ص.248،246.

**الرواية مشبعة بأفكار الإدماج من نقد المؤلف للتعليم القرآني، وتقديم التعليم الفرنسي على أحسن صورة، ما يعكس صورة نمطية يستحيل وجودها في ظل الهيمنة الاستعمارية، فهو لم يذكر تضيق على المدارس القرآنية ومحاربتها من قبل السلطات الاستعمارية. (ينظر لخضر جوادي، معايير انفتاح الادب الجزائري المكتوب بالفرنسية على الكتاب المدرسي في مرحلة المتوسط، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة ،2015/2014،ص.49.)

أولا :إن مبرر الزواج المختلط بين الجزائري والفرنسية هو إيجاد شريكة تكافؤه في المستوى العلمي والثقافي ، ولا يتوفر ذلك إلا في الوسط الأوربي ، لأن الجزائري ذو الثقافة الفرنسية قد تبنى أفكار جديدة حول معنى الحياة العصرية ، وتطور الحضاري ، ولا يتأتى له ذلك إلا برفض الزواج التقليدي ، حيث يرى أن التطور يكون بزواج من أوربية ، أما حقيقة هذا الزواج هو تأكيد لاندماج.

ثانيا : يرى ألبير ممي أن الزواج المختلط ما هو إلا حبّ المستعمر والحقد على الذات، فهي أول محاولات المستعمر في تغيير جلده ، ونعني بذلك محاولة التحاق الاندماجي بالمستعمر عن طريق الزواج بأوربية ، وهنا تتجسد لنا رؤية حب الآخر مع التنكر للذات، أي انبهار بالأخر واحتقار الذات.

ثالثا : يمكن أن يكون الزواج المختلط عبارة عن تحرر شخصي وتفتح ثقافي ، وتسامح ديني "تعايش الأعراق، ونعني به بعث مجتمع هجين تختلط فيه دماء الأعراق، فتزول أسباب الصراع في المجتمع الاستعماري وهو ما يناقض الواقع ، فالنظام الاستعماري قائم على مبدأ الصراع ، واحتلال وهيمنة وقهر الشعوب ، فلا يمكن أن يحقق العدالة والمساواة"[1].

[1] ينظر أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ،المرجع السابق ، ص. 185 وما بعدها .

تجسد لنا رواية "مريم بين النخيل" لـ "محمد ولد الشيخ" أطروحة الزواج المختلط ، كنموذج مثالي لتقريب الفرنسيين و الجزائريين من الجيل الجديد*،و يمكن القول أن كل ما جاء في هذه الفترة من الروايات الجزائرية باللغة الفرنسية يدور حول فلك واحد وهو (الدعوة للاندماج) ، لقد تحدثت هذه الروايات عن مظاهر الاندماج من خلال التعليم كرافد من روافد الاندماج ، وموضوع الزواج المختلط كمبدأ لتكريس الاندماج ، كما عرجت على الصراع بين ما هو جديد من أفكار مثل الذي يدعو إلى تحرر المرأة ، وفي الأغلب نجد أبطال هذه الروايات قد ضاعوا بين ما تعلموه وبين الواقع المعاش .

وكما سبق الذكر، أن للعامل التاريخي والسياسي تدخل كبير في التغيير، فكل حدث تاريخي له رؤية مخالفة لما سبق تتغير الأفكار والمشاعر وحتى خارطة الدول، فـ « عقب كل حرب عظمى تتحرك السواكن على مستوى العالم كله ، ويحدث تغيير عميق في الخريطة الجيوسياسية الدولية يكون له انعكاساته الإيجابية أو السلبية على الدول الكبرى والصغرى على السواء ».[1] فقد تغيرت المفاهيم السائدة وظهرت تيارات سياسية جديدة ، وانتشر الوعى في نهاية الحرب العالمية الثانية ، وتبددت النظرة الجزائرية إلى فرنسا على أنها دولة عظمى بعد انكسارها في هذه الحرب، وظهور الأحزاب السياسة

---

* حيث تنشأ علاقة حب بين شاب جزائري يسمى أحمد المسعودي ، وفتاة فرنسية مريم دييسي التي هي نتاج زواج مختلط بين ضابط فرنسي ، و امرأة جزائرية ،تنتهي أحداث هذه الرواية ،بزواج البطل من مريم ، بعد تحديات كبيرة ،وتضحيات جسيمة ، كل ذلك كان يرمي من ورائها إلى تداخل الأنساب الذي يؤدي إلى حتمية الاندماج .(لحضر جوادي ، ينظر،لخضر جوادي ، معايير انفتاح الادب الجزائري المكتوب بالفرنسية على الكتاب المدرسي في مرحلة المتوسط ،المرجع السابق ،ص. 47.)

[1] أحمد منور، الأدب الجزائري بلسان الفرنسي ، ص.261.

التي تطالب بالمساواة بين الجزائريين والفرنسيين «وهنا أدرك الجزائري أن هناك هوة سحيقة بينه وبين الفرنسي وأدرك جزائريون أن فرنسا عبارة عن دخيل وغريبة عنهم وفرنسا دائما تنظر للجزائري أنه حقير» [1]، استطاع الجزائري إدراك أن الفرنسي ما هو إلا متطفل في بلاده ، والاختلاف بينهما متباين، وأنه صاحب قضية وحق مسلوب، وأدرك أن الفرنسي ينظر إلى نفسه نظرة متعالية و لجزائري مجرد حثالة. نشهد تغير الرؤية في الرواية المكتوبة بالفرنسية بالتغير المتزامن مع الظروف الجديدة ، فانتقلت إلى مواضيع مغايرة حيث دعى كتابها إلى "الثورة " و ودعوا "الدعوة إلى الإدماج" «ولدت الحرب العالمية الثانية في الجزائر حياة أدبية أكثر ثراء وأكثر انفتاحا وتنوعا ، وقد جاء ذلك من صدمة الحرب ، وبداية الاتصال بثقافات أخرى »[2]،و مع تغير الظروف وتماشيا معها – أي بعد الحرب العالمية الثانية – أصبح الأديب الجزائري أكثر وعيا لما يحصل أمامه، من أحداث وانفتاحه أكثر على العالم الجديد ،حيث اشتهر هذا الجيل في البلاد العربية ، وقد ترجمت أغلب أعمالهم إلى اللغة العربية وخاصة في مصر.[3]

تميزت المرحلة اللاحقة – خاصة بعد أحداث 08 ماي 1945 – صراحة بصراع بين الوعى الجزائري وبين ما تفعله السياسة الاستعمارية المستبدة ، وجاء هذا الوعى على

---

[1] خليف هوارية ، نشأة الرواية المكتوبة بالفرنسية وإشكالية الهوية والانتماء ، مجلة الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة ، جامعة سيدي بلعباس ،ع 2، جوان 2017 ،ص.78.

[2] محمود قاسم ، الأدب العربي المكتوب بالفرنسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،د ط ،1996، ص. 104.

[3] ينظر محمود قاسم ، المرجع نفسه ، ص. 105.

نقض سياسة الاندماج ومحاربة الايديولوجية الاستعمارية ، تطورت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية على مستوى المضمون خرجت بذلك على ما سبق من الأطروحة الجاهزة وعن التقليد والدعوة إلى الاندماج «وقد عرفت سنة 1948 خروجا عن هذا التقليد الذي سارت عليه الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في الجزائر ، بصدور روايتي (إدريس) لعلي الحمامي و (حج الفقراء) لمالك بن نبي وكلا الكاتبين كان بعيدين عن الفكر الاندماجي...»[1]

لقد تبددت الآراء القديمة التي تدعو إلى الاندماج ، وأصبحت الأقلام تكتب الواقع متناولة ألم ،ومعاناة الشعب الجزائري « وعلى كل حال فإن الأدب الجزائري الفرنسي اللغة قد اهتم بتصوير ظلم الفرنسيين وإرهابهم للوطنيين وقاوم التغريب والاندماج وصور الفقر والبؤس والألم الذي عاش فيه الجزائري في ظل الاستعمار»[2]، لقد اهتمت هذه الروايات خلال هذه الفترة إلى ما يعيشه الشعب الجزائري من الألم والمعاناة في ظل الوقائع والصراعات اليومية مع ظروف العيش القاسية ،وظلم المستعمر واستغلال المستوطنين للجزائريين، وبطشهم واحتقارهم وهم أحق بالعيش الكريم، واعتبارهم غرباء عن وطنهم الأم، بانتهاج الاستعمار عدة سياسات من أجل طمس وتحطيم الهوية الجزائرية ، وكانت غايته سلب أرض الجزائر من الجزائريين ، واعتبارها قطعة من أراضيها الفرنسية .

[1] أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ، المرجع السابق ، ص.104.

[2] محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د.ط ، د.س، ص.381.

لم تعد الكتابات الروائية الجزائرية باللسان الفرنسي تجامل المحتلين أو تخطب ودهم ، فقد أصبحت نظرتها ناضجة ، تنتقد النظام الاستعماري بشدة ،وبينت أن ما أصبح عليه الشعب الجزائري من ضعف وتردي وأوضاع مزرية في جميع المجالات ناتج عن طمس للهويته[1]،فالاضطراب الذي عايشه على مستوى استقرار المفاهيم،المتعلقة بالانتماء والأصل والوطنية ،ينتج ضعفا على مستوى استقرار الحياة الاجتماعية.

لذا كتبوا الجزائريون عن الواقع المعاش والحقيقة الراهنة ، وكانت أغلب كتاباتهم تعبر عن ذواتهم و ما عايشوه في تلك الحقبة .

ومن أهم الروايات التي عبرت عن ذلك وبكثير من الصدق نجد الثلاثية 1952-1958 (دار الكبير) و(الحريق) و(النول) لمحمد ديب،و(الربوة المنسية) 1952و(نوم العادل)1955 لمولود معمري ، و(نجمة) 1956لكاتب ياسين،...والتي اعتبرت من الروايات الاحتجاجية.

وهاهو محمد ديب، من خلال ثلاثيته المسماة الجزائر، يرسم لوحات عن جميع المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والنفسية التي خلقتها الأوضاع الاستعمارية في الجزائر حيث نرصد الوعى القومي في كتاباته، من خلال تعبيره عن ذاته وهويته وانتمائه. «و الديب بثلاثيته حاول أن يرسم لوحة ضخمة للجزائر عشية الحرب العالمية الثانية ، من خلال

[1] ينظر ، أحمد منور ،الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ، المرجع السابق، ص.267.

عيني الفتى عمر الذي يعطي النموذج والوحدة بمغامراته ، يعرف القارئ العناء المادي والنفسي الذي عاشه الجزائريين»[1]

ولأول مرة تتحدث رواية عن النضال السياسي الجزائري، وعن مناضلين يعيشون في الخفاء، مطاردين من قبل البوليس الاستعماري*، ولأول مرة تطرح تساؤلات محددة وصريحة عن الهوية الوطنية وعن مفهوم الوطن ، وعن الهوية الحقيقة للجزائريين،فقدم شهادة عن بؤس واستعباد أغلب الجزائريين وجشع المعمرين وأذنابهم من بعض الجزائريين أرباب العمل وأصحاب الأراضي. كما تعرض الكاتب في نفس الثلاثية إلى مراهقة ونضج الطفل عمر،وأقام موازاة بينها وبين نضج الوعي السياسي لدى الشعب الجزائري، وقد عبر أحسن تعبير عن ذلك في رواية " الحريق" التي حملت تنبؤات صريحة بما وقع في نفس سنة.[2] فقد كانت الاحداث تدور في الريف لمعالجة معاناة الفلاحين، تحدث عن أرض

---

[1] أبو قاسم سعد الله ، دراسات في الادب الجزائري الحديث ، دار الرائد للكتاب الجزائر ، ط5 ، 2007، .ص. 98.

[2] مرزيق قطارة، حياة وأعمال محمد ديب، مجلة الخطاب ومخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزوز ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ع1 ، ماي، 2006 ، ص288 .

* قد نجح " حميد سراج " في قيادة إضراب فلاحي " ببني بوبلان" كما نجح في تنظيم صفوف الفلاحين و تنبأ بالمقاومة التي يراها الحل الوحيد لتحسين حياتهم ، فهو لا يهاب السجون أو التعذيب لا يقبل التنازلات لذلك حضي بمكانة عند الشعب فقد أعلن إخلاصه قولا و عملا. (ينظر،أم الخير جبور ،الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ، ص.ص. 138.139.)

وملاكها المستوطنين الذي انتزعوها من أصحابها ،ومعاملتهم كعبيد ،وعن الجوع الذي يلازمهم معظم الوقت*، فالشعب يعيش غريبا في أرضه، وحقوقه مهضومة ،و فوق ذلك يمارس عليه الظلم بوحشية ،أما الجزء الثالث "النول" يتحدث ديب وبشيء ملفت عن انتشار الوعى السياسي ، وعن مختلف الآراء في الطبقة الشعبية ، ورؤيتهم مختلفة لقضايا المجتمع والسياسة، التي كان لها حضور بقوى على الساحة الجزائرية ممثلة في شخصيات تعمل بالمصنع النسيج.**

ثلاثيه "محمد ديب " في مختلف أجزاءها تحدثت عن الوعى السياسي في جميع جوانبه راصدا تطوره من ولاته إلى غاية نضجه الذي يخلص إلى التغيير.

«وفي نهاية الثلاثية نجد عمر ، لقد شاهد ميلاد تطور الروح الثائرة لسكان ، بينما اكتسب وعيا شخصيا عن الحياة السيئة التي كان يحياها مواطنوه ، وهو في طريق نمائه العقلي

***وكانت شخصية كومندار محركة للأحداث من خلال تحدثه إلى عمر طويلا عن أرض ،وأن الوضع سوف يتغير وملاحظ أن الوعى والمسالة الأخر نجده واضحا في هذا الجزء من الرواية حيث يختم كومندار حديثه بقوله « هكذا تم الامر يا بني وهكذا تحولت ملكية هذه الارض من يد إلى يد وهكذا طرد أصحاب الارض من أرضهم وأصبحوا غرباء عنها (ينظر أحمد منور ، المرجع السابق، ص.ص.328.329**

**فهناك الاتجاه الديني "الدين " وحزب الشعب"معاناة الشعب " والاتجاه الثوري اليساري " الثورة من أجل إعادة الحق" ورغم الاختلاف الايديولوجي لهؤلاء العمال إلا أنهم يتفقون في ضرورة تغيير أوضاع الشعب التي بلغت حدا من التدهور .(ينظر أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ،المرجع السابق ،ص ،332 .

والروحي والعاطفي والبدني ،قد تعلم المعنى الحقيقي للاحترام الانساني ، لذا فالبطل عمر قرر أن لا يستريح حتى يحقق لنفسه وللبشرية هذا الوعى والاحترام والتفرد »[1]

وما نخلص إليه أن الثلاثية تحكي عن تمرد وتطور الوعى بالذات ونظرته إلى الآخر نظرة المسيء ، المستبد ، الظالم المستغل ، السالب لحقوق والمغتصب لأرض ، المذل للكرامة وحان الوقت لاسترجاع الانسانية الفرد والتقدير والاحترام وتغيير الاوضاع و إعادة النظر في علاقتنا مع المستعمر، وقتل الظلم واسترداد الشرف، فقد عبر محمد ديب عن كل ذلك باللغة الاستعمار ، وحاربهم بها من خلال كشف أكاذيبهم أمام العالم وبالتالي انقلب السحر على الساحر، فرواياته عبرت عن مواقف الرفض للممارسات الاستعمارية ضد أبناء بلده،ففي سنة 1952 نشر مولود معمري« الهضبة المنسية» كما نشر رواية« نوم العدل»، فأعمال معمري تسير في خط متوازي مع تطور الوقائع السياسية في الجزائر، فرواية « الهضبة المنسية»، تبتدئ وقائعها في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية، لتصور الوضع في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي، ويعبر الكاتب عن مآسي الشعب وأحزانه وبؤسه. إنها فترة اليأس والقنوط بدون إمكانية للعثور على حل، لأن الاستعمار لا يقدم حلولاً، وأيا كان الأمر، فإن بوادر الأمل بدأت تلوح، كنتيجة للتغيرات التي طرأت على الوضع السياسي في الجزائر[2]، كما كشفت الرواية "نوم العدل"1955

[1] أبو قاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص. 99.

[2] ينظر،محمد ابراهيم ، الادب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية، مركز الدراسات والابحاث العلمانية في العالم العربي، 2016/12/13 . www.ssrcaw.org

عن حالة التخلف والفقر والاستغلال والحرمان التي كانت تعاني منها القرى القبائلية المنعزلة في رؤوس الجبال، تحت وطأة الجهل والتقاليد المتحكمة في حياة الناس من جهة، ووطأة الاستعمار واستغلاله لحالة البطالة والفقر المدقع الذي يعيشه الجزائريون في المدن، والاستغلال والإهانة التي يتعرض لها العاملون باليومية في ورش المعمرين وضياعهم الواقعة على أطراف المدن، وهو ما يضاعف الإحساس بالظلم لدى أولئك العمال، ويدفع ببعضهم إلى التمرد، وربما إلى ارتكاب جرائم قتل.[1]

أُعتبرت رواية «نجمة» رواية الجزائر، فهي جزء من النضال الثوري الجزائري وشعاراته، وأكدت أنها لم تكن فقط رواية «تفضح» الاحتلال وتقارعه. «نجمة» كانت منذ البداية أكثر من مجرد رواية شعارات وطنية، حتى وإن ربطت، وربطها صاحبها، بروح الوطن المناضل. ذلك أن نجمة في عمق أعماقها هي عمل شاعري عن الكرامة الإنسانية، وعن كل من يمزق هذه الكرامة. بالتالي، فإن شخصيتها المحورية هي رمز لهذه الكرامة حين تقاوم. غير أن المقاومة عند كاتب ياسين، ليست فعل عنف وقتال وأصوات عالية، بل هي فعل روحي ينبع من الداخل أكثر مما ينبع من الخارج.

[1] ينظر،حفناوي بعلي ، الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية(الذات المعلومة و أسئلة الحداثة)، جامعة عنابة، مقارنة في خصوصية الأدب العربي الحديث، www.scibd.com

ولأن «نجمة» رواية تتحدث عن هذا النضال الداخلي، عن طريق امرأة[1]،حيث رمز من خلالها إلى الجزائر، « إنها شجرة الوطن التي ستمد أخيرا جذورها في لحد القبيلة ، تحت السحابة التي فقئت أخيرا بدم طالما أزبد و إنفجر المرة تلو أخرى »[2]

بعدما أدرك الجزائريون معنى وجود المستعمر في بلادهم ، ونمو الوعى والتمرد على الحياة التي أجبروا عليها وعلى حالتهم المزرية نتيجة الظلم الاجتماعي وأساليب القهر السياسي الذي بلغ ذروته في حقبة الحرب العالمية الثانية وما شهدت من أحداث كمجازر 8 ماي 1945 وما كان من الضغط ما يولد الانفجار فكانت نتيجة الحتمية هي الثورة.

فقد تنبأ الكتابات الروائية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية بحدوث ثورة لما أشارت إليه في تعبيراتها المختلفة، لكن الذي لم يكن متوقعا هو تخيم الصمت وكأن الأقلام جفت ، أو أن الواقع لم تستوعبه الكتابة باندلاع الثورة 1 نوفمبر 1954.

«فالحقيقة أن أولئك الكتاب قد لاذوا بالصمت حين اندلعت الثورة في الفاتح من نوفمبر 1954 وظلوا على صمتهم سنوات عديدة ، ولم يخرجوا من صمتهم إلا بعد أن كانت الثورة قد قطعت أشواطا كبيرة .»[1]

---

[1] ينظر ابراهيم العريس، نجمة لكاتب ياسين (الجزائر يوم كانت بعيدة المنال)،جريدة الالكترونية الحياة، الاحد 4 سبتمبر 2016،https://langue-arabe.fr

[2] ينظر كاتب ياسين، رواية نجمة، تر. السعيد بوطاجين، منشورات ضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف ،الجزائر، ط.1، 2014، ص.24.

وأول رواية كسرت هذا الصمت المتعلق بالثورة المسلحة كانت ممثلة في رواية "الانطباع الأخير" سنة 1958 لمالك حداد ، إلا أن هذه الفترة كان عدد الروايات محدود ، يأتي مالك حداد في المقدمة بإصداره ثلاث روايات أخرى: " سأهبك غزالة " 1959 و"التلميذ والدرس" 1960 و"رصيف الأزهار لم يعد يجيب " 1961 ، وبعده يأتي " محمد ديب " برواية " صيف إفريقي" سنة 1959 ، "ومن يتذكر البحر " سنة 1962. وأخيرا آسيا جبار بروايتها" أطفال العالم الجديد" التي كتبتها في صيف 1961 وصدرت بدورها سنة 1962.[2]

ففي الخطاب الثوري لهذه الروايات نجد البطل في معظمها،ينحاز إلى بني قومه لأنه لا يستطيع التخلص من جلده، ولأن الأقلية الاستيطانية لا تقبل بانتمائه إليها ، مهما كانت ثقافته أو شهاداته علمية أو حتى مكانته في المجتمع ومهما تقرب منهم لا يمكنه الحصول على نفس الامتيازات.[3] مهما كان الفرد الجزائري له مستوى علمي مرموق ،يبقى في نظر الآخر سوى تابع ليس له قيمة مثلهم لأنه مختلف عنهم.

وهكذا نجد العديد من أبطال روايات هذه الفترة ينحازون إلى صف الثورة ، لا عن اقتناع بمبادئ الثورة ، ولكن لأنه لا خيار لهم إلا الانحياز لصفها ، بحكم الانتماء أو بدافع من

---

[1] أحمد منور ، ثقافة الأزمة مقالات ، الوكالة الافريقية لإنتاج السينمائي الثقافي ،ط 1، الجزائر ،2009،ص82.

[2] ينظر أحمد منور ، الأدب الجزائري بالسان الفرنسي ، ص. 370.

[3] ينظر أحمد منور،في أزمة الثقافة، ص.87.

سياسة المستعمرين إزاء الجزائريين .[1] إن الانحياز لثورة ليس بالاقتناع بمبادئها ، وإنما كان بحكم الانتماء لهذا الوطن ، وهذا ما لمسناه من خلال أقوال البطل سعيد في رواية "الانطباع الأخير"*.

حيث كان اختيار لا مفر منه لانتمائه للجزائر مما يفرض ذلك ، وإن السياسة العنصرية للمستوطنين التي لا تتقبله مهما كان لامعا فاختيار محدود أمامه .

رواية الانطباع الأخير تحكي أجواء الحرب في مدينة الجسور المعلقة " قسنطينة" بطلها سعيد حينما طلب منه الثوار أن يساعدهم في نسف جسر قد شيده من قبل ولهذه الرواية دلالة رمزية تمثلت في القطيعة الكاملة والنهائية التي أحدثتها الثورة مع النظام الاستعماري ، الذي برهن طوال تاريخه أن لا فائدة ترجى من ابقاء الجسور ممدودة معه.

وقد أدى هذا الطلب إلى صراع نفسي وحيرة ولكنه استجاب لمطالب الثوار لأنه يجب أن يشارك في كفاح الوطني الذي يخوضه أبناء جلدته ضد الاستعمار.[2]

---

[1] ينظر أحمد منور ، الادب الجزائري بلسان الفرنسي ، ص.418.

* عبر البطل سعيد في رواية الانطباع الأخير بقوله « لا أدري إن كنت وطنيا ، ولكن ما أدريه جيدا هو أنني جزائري » ،وفي موقف أخر يرد على من قال له أنك لست مثل الآخرين فأجاب إنك مخطئ فأنا مثل الآخرين ، وشهادتي الدراسية لا تضيف لي شيئا ولا تنقص شيئا.. إنني مثل الآخرين"(ينظر أحمد منور ، الادب الجزائري بلسان الفرنسي ، ص.417.)

[2] ينظر أحمد منور ، الادب الجزائري المكتوب باللسان الفرنسي ، ص.ص.377.378.

مما سبق نلاحظ أنه مهما تشبع المثقفون الجزائريون بالأفكار الفرنسية وثقافتها ، والتي جعلتهم في صراع مع ذواتهم والذي عبث بهم ، إلا أن أصلهم ودمهم الجزائري فرض عليهم واجب التحاق بثورة مهما اختلف تفكيره فيبقى الوطن هو قضية الكل التي تجمع أبناء حولها.

إن " حداد" في روايته(الانطباع الآخر) يصف لنا أجواء الحرب التي أصبحت تطبع حياة المدينة وذلك من خلال عدة أحداث وقعت لبطل سعيد ، وأبرز حدث تعرض له البطل هو موت حبيبته " لوسيا" فأيقن أن الحرب العبثية التي يصر أنصار فرنسا و المستعمر على خوضها حفاظا على الجزائرسينجر عنهاضحايا أبرياء .[1]

كما أن الرواية قد وصفت معركة دارت في أحد جبال بين الثوار والقوات الفرنسية واستشهد فيها الأخوان "بوزيد" و"سعيد" معا لتنتهي الرواية ، وعمد الروائي على نقل المشاعر والأحاسيس الانسانية في ذلك الجو المتوتر أكثر مما عمل على وصف الأحداث في حد ذاتها.[2] وهو الأسلوب الذي عرف به مالك حداد ، فرغم أنه كان يحمل طوال حياته الهم المزدوج بين الاستعمار واللغة ... وبرغم من مأساة اللغة ظل هذا الأديب يعبر عن همومه الوطنية والقومية و الانسانية.[3]

[1] ينظر أحمد منور ، الادب الجزائري المكتوب باللسان الفرنسي ،ص. 379.

[2] ينظر أحمد منور ، المرجع نفسه ، ص. 383.

[3] خليفة هوارية ، نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، ص. 79.

إن رواية (الانطباع الأخير) هي رواية عبرت عن القيم الثورية و شعاراتها ، فقد عالجت أحداثا وقعت بالفعل، وخاضت مواضيع من صميم الثورة، وصورتها بالأحاسيس ومشاعر الانسانية لتحمل معاني سامية نحو الثورة المجيدة ،« وهو ما يفسر إقدام السلطات العسكرية على منع الرواية من دخول الجزائر عند صدورها سنة 1958»[1]،وهذا يعني أن صوتها وصل إلى الرأي العام و العالمية ما جعلها ممنوعة عن النشر في بلادها.

ما نستشهد به على الخطاب الروائي الجزائري المكتوب بالفرنسية في الثورة أن دوره كان إعلامي ، يهدف إلى تعريف القارئ بحقيقة ما يجري في الجزائر «دور الأدب باللغة الفرنسية عن الثورة و القول بأنه كان رسالة من الشعب الجزائري إلى العالم هو قول مبالغ فيه ، ودور محدود لا يعدو الرأي العام الفرنسي عامة ، والمثقفين منه خاصة ، اليسار على وجه الخصوص.»[2] وقد تعود أسباب ذلك إلى عوامل خارجة عن النصوص في حد ذاتها ، المتعلقة بإستراتجية الخطاب ويمكن أن نستوعبها في هذه النقاط:

- الخطابات كانت موجه إلى القارئ الفرنسي وليس إلى الرأي العام العالمي.
- التزام بمراعاة مشاعر القارئ الفرنسي، وتفادي ظهور بمظهر المؤيد للثورة بشكل سافر.

[1] – أحمد منور ، الأدب الجزائري بالسان الفرنسي ،ص. 427.

[2] – أحمد منور ، في أزمة الثقافة ، ص. 91.

- كتاباتهم كانت تعتمد على القيم الانسانية ، بتقديم مبررات موضوعية لأسباب الثورة.
- يقللون من قيمة وأهمية هجمات المسلحة لثوار وذلك بوصفها أعمال تخريبية.
- يظهر الخطاب الروائي بمظهر محايد، ووصف ما كان يجري من أحداث بدقة كوصف عساكر ، الذبابات ...[1]

إستنادا لما درسناه بخصوص الرواية الجزائرية توصلنا إلى النتائج التالية:

1. ظروف نشأة هذه الروايات صعبة، لم تكن نتيجة احتكاك حضاري أو نتاج تلاقح الثقافات .
2. عكست هذه الروايات عبر موضوعاتها أزمة الهوية .
3. أصبح الفرد الجزائري هجينا بسبب سياسة الاندماج المستحيل، لا ينتمي إلى المستعمر، ولا إلى وطنه ،فكلا المجتمعين يرفضه.
4. أصبح موضوعات الروايات تهتم بشعب و ألمه، بظهور الوعي القومي وكشف زيف المستعمر خاصة خلال نهاية الحرب العالمي الثانية و في الخمسينيات.

[1] – أحمد منور ، الأدب الجزائري باللسان فرنسي ، ص.من.425 إلى 427

5. باندلاع الثورة المباركة خيم الصمت على الروائيين الجزائريين باللسان الفرنسي، لم يستطيعوا أن يتفاعلوا مع الواقع الجديد، وظلوا متمسكين بمبرر الانتماء في كتاباتهم.

1-3- الرواية الجزائرية ما بعد الكولونيالية :

عرفت الرواية الجزائرية تأخرا في الظهور، ويرجع السبب الرئيس في ذلك إلى السياسة الاستعمارية التي سعت بكل الوسائل لفرض سيطرتها على الجزائر، كالتجهيل وكبح حرية التعبير والتضييق على المحررين والمبدعين، ورغم ذلك، استطاعت أن تسير بخطى ثابتة نحو النضج، خاصة بعد الاستقلال، وأن تحتل مكانة مرموقة بين بقية الأجناس الأدبية.

وإن كانت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية قد عالجت مواضيع بعينها ومضامين خدمت الغاية من ظهورها وهي محاولة بعث وترسيخ مقومات الهوية الوطنية التي حاول الاستعمار طمسها ، فإن الرواية الجزائرية بعد الاستقلال عالجت وناقشت قضايا حاسمة تناسب روح عصرها سعيا منها لتعزيز الهوية الوطنية وتنمية روح الانتماء للوطن .

وللتطرق لأهم المضامين التي عالجتها الرواية الجزائرية بعد الاستقلال نحاول أولا الإشارة إلى مفهوم نظرية ما بعد الكولونيالية وأهم تيمات آداب ما بعد الكولونيالية .

1-3-1 نظرية ما بعد الكولونيالية :

تعتبر الدراسات ما بعد الكولونيالية من بين النظريات النقدية والأدبية الحديثة، فهي نظرية « تحلل الخطاب الاستعماري وتعيد قراءة التاريخ من وجهة نظر المستعمر»[1] لإبراز آثار الاستعمار على ثقافة المجتمع الذي خضع له. وتعود بداية استخدام هذا المصطلح إلى نهاية الحرب العالمية الثانية لتشير إلى «فترة ما بعد الاستقلال»[2]، أما استخدامه من طرف النقاد الأدبيين فكان أواخر السبعينات ليدل على «مناقشة الآثار الثقافية المتعددة للاستعمار»[3].وكانت الإرهاصات الأولى لهذه النظرية على يد "فرانس فانون France Fanon" في كتابه **(المعذبون على الأرض)**، لتتأسس دعائمها من طرف مجموعة من النقاد كـ "إدوار سعيد"، "هومي بابا" و"جيتاري سبيفاك" الذين عدهم البعض «الثالوث المقّدس لنظرية ما بعد الكولونيالية»[4].

استخدم مصطلح ما بعد الكولونيالية في البداية للإشارة إلى « أشكال التفاعل الثقافي داخل المجتمعات الكولونيالية في الدوائر الأدبية... وبعد ذلك استخدم هذا المصطلح على نطاق واسع لدلالة على التجربة السياسية والثقافية واللغوية لمجتمعات كانت مستعمرات أوروبية في السابق»[5]، وبذلك انتقل هذا المصطلح من الاهتمام

---

[1] مديحة عتيق، **ما بعد الكولونيالية، مفهومها أعلامها أطروحتها**، مجلة دراسات وأبحاث ،جامعة الجلفة ، مج7،ع.18، 31 مارس 2015، ص202.

[2] بيل أشكروفت وغيرها، **دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية**، ص.283.

[3] بيل أشكروفت وغيرها **دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية** ،المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] مجدي عز الدين، نقد الكلونيالية من منظور إدوار سعيد، مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي لدراسات الاستراتيجية، ع.12، 2018 م، ص.250.

[5] بيل اكشروفت، وغيرها، **دراسات ما بعد الكولونيالية**، المرجع السابق،ص.283.

بالدراسات الأدبية للمجتمعات الكولونيالية ليصبح أحد نظريات النقد الثقافي التي تبحث في حقيقة العلاقة بين قطبي العلاقة الاستعمارية (المستعمِر والمستعمَر) وكشف آثارها الحضارية المترتبة عنها. وإذا كان الخطاب الكولونيالي يهدف إلى استعراض الدول المستعمِرة لقواها العسكرية والحضارية لاستغلال الهوية الوطنية للدول المستعمَرة، فإن خطابات ما بعد الكولونيالية وظفت« طاقتها الثقافية والحضارية لممارسة التفكيك والهدم، وتفويض الثقافة المحلية بكل ما تملكه من آليات مادية ومعنوية وثقافية وسياسية بدافع إلحاق الذات الوطنية بالآخر الغربي» [1]، فمثلا يعد الخطاب ما بعد الكولونيالي رد فعل على الأفكار والنماذج الجاهزة التي روج لها المستعمر، وبالتالي عمل على إبراز الذات الوطنية وتعزيز هويتها. وقد تبنى هذا الخطاب أدب ما بعد الكولونيالية و هو الأدب الذي أنتجته الشعوب التي خضعت للاستعمار في العصر الحديث، وهو ما أكده "إدوار سعيد" في كتابه (الثقافة و الإمبريالية) بقوله : « حاولت أن أظهر أن أدباً و نقداً جديدين قد بزغا... بعد الحرب العالمية الثانية، فللمرة الأولى يصبح الأفارقة و الأسيويون . عربًا وغير عرب . خلاقين لآدابهم و تواريخهم الخاصة ، كما يصبحون قراءً ناقدين لسجل المحفوظات الغربي»[2]، و هذا لا يعني بالضرورة أن تنحصر مهمة هؤلاء الأدباء في «

[1] عبد القادر فيدوح، تمثلات الكلونيالية الجديدة في رواية "2084 حكاية العربي الأخير"، مجلة أنساق، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، مج.2، ع.1، فبراير2018، ص.53.

[2] إدوار سعيد، الثقافة والامبريالية، تر. كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط.4 ،2014، ص.11.

التغني بتراثهم و تمجيد تاريخهم بغض النظر عن أخطائه و مآسيه»[1]، بل وجب عليهم إعادة قراءة التاريخ وتفكيك خطاب المستعمِر، وكشف دسائسه وسموم قوالبه التي بثها في خطاباته الكلونيالية، وليتمكنوا من بناء هويتهم الوطنية وتعزيزها عن طريق إحياء تراثهم الثقافي باعتباره « موروثا ذا قيمة إنسانية» [2] له مكانته الخاصة بين ثقافات العالم.

وما يميز آداب ما بعد الكولونيالية هو اشتراكها في عدة نقاط منها: « أن شكلها الحالي انبثق من خبرة الكولونيالية، وأنها أكدت نفسها عن طريق إبراز التوتر القائم مع القوى الإمبراطورية، وتأكيد اختلافاتها مع فروض المركز الإمبراطوري»[3]، فهذه الآداب استفادت من النماذج الأدبية الكولونيالية ووظفتها للرد على ادعاءات هذه الأخيرة، لذا يمكن استخلاص ثلاث تيمات اشتغل عليها النص ما بعد الكولونيالي وهي:

1 – "التفكيك والاستبدال.

2– ممارسة الخصوصية الثقافية .

---

[1] محمود خضر الخربوطلي ، إشكالات الوضع الراهن في العالم العربي في ضوء فكر ما بعد الكولونيالية في إفريقيا ، النقد الثقافي ودراسات ما بعد الكولونيالية ،المؤتمر الثالث للبحث العلمي في الأردن ، الجمعية الأردنية للبحث العلمي ، 17/ 2007/11 ، ص.41 .

[2] محمود خضر الخربوطلي، إشكالات الوضع الراهن في العالم العربي في ضوء فكر ما بعد الكولونيالية في إفريقيا، ص.41.

[3] بيل أشكروفت وغيرها، الرد بالكتابة النظرية وتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، تر. شهرت العالم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط.01، 2006، ص.17.

3- اللعب بمقولات التاريخ "[1].

وتتعالق هذه التيمات مع بعضها البعض داخل النص ما بعد الكولونيالي، فتعمد إلى تفكيك خطاب المستعمِر الذي يهمش الآخر المستعمَر، ويقصيه ثقافيا واجتماعيا، ليعيد صياغة خطاب يحدد بدقة ثنائيات (المركز والهامش) و (الأنا والآخر) كما يهدف هذا الأدب إلى إرساء القيم الوطنية عن طريق إبراز « الفاعلية التاريخية للثقافات الأهلية التي استؤصلت من جذورها وشوهت »[2]، من خلال التأكيد على الخصوصية الثقافية لهذه الشعوب المستعمرة ووعيها بذاتها وكذا وعي الآخر بهذه الخصوصية.

وقد حاولت آداب ما بعد الكولونيالية صياغة التاريخ على نحو مغاير لما هو قائم في الوثائق الرسمية وذلك وفق أهواء الكاتب وأيديولوجيته. وللرواية دور بارز في تبني ونشر الخطاب ما بعد الكولونيالي باعتبار أنها «شكل ثقافي اشتمالي تدميجي شبه موسوعي وفيها يعبأ أمران : آليةٌ للحبكة بالغة التقنين، ونظام كامل من الإحالة الاجتماعية»[3]، فللرواية قدرة على استيعاب أفكار ومواضيع كثيرة ذات صلة وثيقة بالمجتمع ومعبرة عن تفاصيله، كما أنها تتمتع بفنيات عالية تشد إليها القارئ.وبذلك أصبح في إمكان «كتّاب الشعوب المستقلة حديثا أن يكتبوا رواياتهم الخاصة التي تستعيد

[1] شهلا العجيلي، أدب الشعوب التي تحررت من الاستعمار كتابة الضحية، النص الروائي نموذجا، النقد الثقافي والدراسات ما بعد الكولونيالية، المؤتمر الثالث للبحث العلمي في الأردن، الجمعية الأردنية للبحث العلمي، 2007/11/17، ص.30.

[2] بيل أشكروفت وغيرها، الرد بالكتابة، ص.23.

[3] إدوارد سعيد، الثقافة والامبريالية، ص139.

هوياتهم المسلوبة وتقدم تواريخهم وثقافاتهم الخاصة بأصواتهم الأصيلة ومن منظور يخدم مصالحهم وأهدافهم»[1]، وبالتالي الرد على مضامين الخطاب الكولونيالي وتعزيز الهوية الوطنية .

1-3- 2- مضامين الرواية الجزائرية ما بعد الكولونيالية :

تناولت الرواية الجزائرية التي ظهرت بعد الاستقلال –رغم حداثة نشأتها – لقضايا ومضامين تولدت من رحم الواقع المعاش والظروف السياسية التي عاشها الشعب الجزائري كغيره من الشعوب المستعمرة، لذا حملت همومه وارتقت بآماله في التحرر وفرض السيادة وإعادة بناء الذات التي حاول الاستعمار بشتى الطرق دمجها في الآخر، وهنا ظهرت الرواية ما بعد الكولونيالية لترسيخ وتعزيز مقومات الهوية الوطنية.

ويمكن أن نجمل أهم موضوعات الرواية الجزائرية بعد الاستقلال وفق ما ذكرناه من تيمات الخطاب ما بعد الكولونيالية وهي:

✓ توظيف التاريخ :

من أبرز ما ميز الكتابة الجزائرية بعد الاستقلال هيمنة المرجعية التاريخية على الخطاب الروائي، وهو أمر طبيعي ما دامت الجزائر حديثة عهد بالاستقلال، وقد استطاع الروائي الجزائري في كثير من نماذجه تغطية منجزات الثورة التحريرية _لأنها أقرب وأبرز

[1] محمد بوعزة، تشكّل الهوية في ظل المواجهة الكولونيالية، مجلة تبيُّن للدراسات الفكرية والثقافية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ع.26، خريف 2018، ص.10.

حدث تاريخي لروائي في تلك الفترة _ فكانت مضامين روايات السبعينات وما تلاها تتحدث عن «معاناة وطموحات الإنسان الجزائري وكفاحه المسلح في سبيل إقامة مجتمع الكفاية والعدل»[1].

ورغم اشتراك الروائيين الجزائريين في توظيف موضوع الثورة التحريرية في نصوصهم، إلا أننا نلمس اختلاف طريقة طرحهم لهذا الموضوع، فمنهم من اكتفى بتمجيد الثورة وتقديسها والاحتفاء بيها لأنها مصدر فخر واعتزاز لجيل ما بعد الاستقلال، بينما عمد آخرون إلى نبش الماضي القريب للثورة في محاولة منهم « نقد مسار الثورة النضالي ومحاولة إدانته بالكشف عما ارتكبته الثورة من أخطاء انحرفت بيها عن مسارها الصحيح »[2]، وذلك بإعادة استقراء التاريخ وكشف الملابسات المحيطة بها التي سكت عنها التاريخ الرسمي، ومحاولة تحليل وتبرير تلك الأحداث وفق إيديولوجية الكاتب ووفق ما أسفر عنه واقع ما بعد الاستقلال.

بالعودة لرواية **(ريح الجنوب)** لـ "ابن هدوقة " نرى أنه سعى إلى تصوير الواقع الاجتماعي بتناقضاته المختلفة، إذ كشف الروائي عن معاناة الطبقة الفقيرة من الفلاح«

[1] حسان رشدي، ظاهرة الرواية الجزائرية الجديدة مساءلات الواقع والكتابة، رواية فوضى الحواس لـ "أحلام مستغانمي" عينية، ص.32

[2] جوادي هنية، المرجعية الروائية في روايات واسيني الأعرج "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش" أنموذجا، رسالة ماجستير، تخصص أدب عربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، 2007/2006، ص. ص. 102، 103.

فعبر بواقعية وصدق عن هذه المعاناة التي عاشها الشعب الجزائري »[1]، إذ لم تتوقف معاناتهم عند استبداد المستعمر وقهره، بل تعدته إلى الطبقة الاقطاعية بعد الاستقلال والتي هي من صنع المستعمر فجسدت مظاهر الاستعباد بعد الاستقلال. كما أن توظيف "ابن هدوقة" للتاريخ لم يقف عند حدود الثوة التحريرية، بل نجده استرجع في نصه الماضي الاستعماري في إشارته لـ"عام البون"* عند جواب العجوز رحمة عن سؤال نفيسة «كم مضى على وفاة خالي الأخضر يا خالة؟ فردت عليها مات في عام البون »[2] إذ يحمل هذا العام مظهرا من مظاهر الفقر والحرمان والاستعباد الذي عاشه الشعب الجزائري أثناء الاحتلال ما جعل الجزائريين يعتبرون مثل هذه الأحداث مرجعية لتأريخ أيامهم. ولم تتوقف هذه المعاناة بعد الاستقلال إذ نجد شخصية "ابن القاضي" الذي كان يتعاون مع الاستعمار وقت الثورة يستخدم كل « الحيل والوسائل ليحتفظ بملكية الأرض »[3] التي حصل عليها عن طريق استغلال الفقراء والاستيلاء على أراضهم ، كما قاده جشعه إلى « منع ابنته "نفيسة" من مواصلة دراستها ليزوجها من رئيس البلدية "مالك"

---

[1] الجمعي بن حركات، **الصراع الإيديولوجي في رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة**، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، ع.12، 2017، ص.64.

* عام البون : ويقصد به الفترة الممتدة من 1944م/ 1945م عندما حدثت مجاعة كبيرة بالمغرب العربي، فكانت السلطات الاستعمارية تقدم المؤن عن طريق "وصل" Bon" يحدد كمية المواد الغذائية حسب عدد أفراد الأسرة والتي ضئيلة جدا، نقلا عن موقع ويكيبيديا .https://ar.m.wikipedia.org

[2] الجمعي بن حركات، **الصراع الإيديولوجي في رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة**، ص.51.

[3] مخلوف عامر، **الرواية والتحولات في الجزائر**، دراسة نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق ،2000، ص.18.

حتى يتمكن من إنقاذ ملكيته من عملية التأميم»[1] بعد تبني السلطة الجزائرية لمشروع الثورة الزراعية 1971 م ، وتأميم الأراضي التي كانت مستغلة من طرف المستوطنين فـ "ابن هدوقة" استحضر التاريخ ليعلل ما يحدث في جزائر ما بعد الاستقلال، إذ تبين أن الإقطاع هو وجه آخر للاستعمار، كما نجده في الرواية مؤيدا لخطاب السلطة ومدافعا عن مشاريعها.

سار على هذا النهج "الطاهر وطار" في روايته **(اللاز)** سنة 1974م، حيث بيّن أن عودته للتاريخ ليس من باب التأريخ للأحداث السابقة قائلا : « إنّني لست مؤرخا... إنّني قاص وقفت في زاوية معينة لألقي نظرة بوسيلتي الخاصة على حقبة من حقب ثورتنا»[2]، فالرواية ثورية نضالية صورت الصراعات إبان الثورة التحريرية دارت بين « يمين يستخدم الدين وبين يسار، وبين وطنين ذوي أحكام مسبقة، وبين يسار وطني، بين الاستعمار والثوار على الصعيد العام، وبين الثوار والثوار داخل الحركة الواحدة»[3]، فـ"زيدان" صاحب التوجه الشيوعي ذُبح من طرف "الشيخ مسعود" لأنه رفض التخلي عن مبادئه الشيوعية، كما أن إخلاصه للثورة وتفانيه في عمله لم يشفع له، وكان مشهد موته على مرأى من

---

[1] مخلوف عامر، **الرواية والتحولات في الجزائر**، دراسة نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية، ص.18 .

[2] علي جعفري، **الواقعية في الرواية الجزائرية بين الوظيفة الفنية والأبعاد السياسية من خلال رواية "اللاز"**، مجلة التواصل في اللغات والآداب، جامعة عنابة، ع.43، سبتمبر 2015، ص.87.

[3] بومدين صالح، رواية "اللاز" لطاهر وطار أو المسكوت عنه في تاريخ الثورة، مجلة البحوث والدارسات الإنسانية، جامعة سكيكدة، ع.13، 2016، ص.74.

ابنه اللاز الذي أصيب بالجنون مرددا عبارة والده التي قالها قبل موته « ما يبقى في الواد غير حجاره ".

ففي هذه الرواية _وحتى في أعماله الأخرى_ نلمس إيديولوجية الكاتب "فالرؤية الاشتراكية استمرت تفرض حضورها لديه »[1] فطرح فكرة « شرعية الحزب الشيوعي في المساهمة التاريخية الثورية »[2] ، ولكي يُبين هذه الشرعية حقق ما كان يتنبأ "زيدان" في ثنايا النص، فقد فشل المشروع الوطني الذي تبنته قيادة الثورة آنذاك «هذه الحركة ينبغي أن تتبنى الصراع الطبقي من الآن وإلا بقيت مجرد حركة تحرر.. يحولها الاستعمار إلى صالحه فيعلن عن انتهائها، ليخلِّف الوطن بين أيدي العملاء »[3] وهو ما حدث حقا بعد الاستقلال إذ اتسعت الهوة بين الأغنياء والفقراء، وضاعت الكثير من آمال الشعب الجزائري الذي ضحى بكل ما يملك من أجل مستقبل أفضل تسوده العدالة الاجتماعية.

هذا الصراع الطبقي نقله أيضا "واسيني الأعرج" في روايته **(ما تبقى من سيرة لخضر حمروش)** 1980م ، إذ صور فيها «الإقطاعية وإلى جانبها البيروقراطية المعارضة في وقوفها ضد الثورة الزراعية دفاعا عن مواقفها ومصالحها»[4] وقد جسدت هذا الصراع شخصيات الرواية والتي انقسمت إلى عالمين مختلفين « القسم الأول يضم الإقطاعيين

---

[1] بومدين صالح، رواية "اللاز" لطاهر وطار أو المسكوت عنه في تاريخ الثورة ، ص76.

[2] علي جعفري، الواقعية في الرواية الجزائرية بين الوظيفة الفنية والأبعاد السياسية من خلال رواية "اللاز"، ص80.

[3] الطاهر وطار، اللاز، موفيم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص.130.

[4] مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، ص.81 .

وكبار التجار وملاك بعض المصانع وذوي النقود، أما القسم الثاني فيضم فلاحين استفادوا من قرارات الثورة الزراعية »[1]، كما لم يهمل الروائي التاريخ الثوري فجعل الكاتب بطل الرواية "عيسى" " البطل الثوري الاشتراكي يرث النضال عن والده " موح لمباصي الكاليدوني" وعن أجداده الريفيين ،كما جعل "موسى ولد القاضي" «يرث الخيانة عن والده الذي كان عميلا للمستعمر إبان الاحتلال، وها هو ابنه في زمن الاستقلال يتواطأ مع الإقطاعي "المختار لشارية "ويساعده على حرق مزرعة "ابن رمضان»[2] فحسب قوله الثورة والإقطاعية تنتجان عن وراثة اجتماعية . كما عاد الروائي إلى التاريخ القديم ليبين أن هذا الصراع ضارب في عمق التاريخ الوطني أيام الاستعمار ويعود إلى «انتفاضة الفلاحين سنة 1871 م وما صاحبها من خيانة وعمالة وقهر سلط على رقاب الفلاحين »[3] حين انتفض هؤلاء الفلاحون في وجه المستعمر الذي سلب أراضيهم بغير وجه حق، ولكن خيانة بعض الأطراف ساهم في فشل الانتفاضة. وفي هذه الأحداث والصراعات إشارة من الكاتب لفشل مشروع الثورة الزراعية وقرب نهايته.

كما تستقرئ " أحلام مستغانمي" التاريخ في شقه المتعلق بالثورة التحريرية وما صاحبها من تناقضات بعد الاستقلال "في رواية ذاكرة الجسد" محاولة « تشكيل خطاب روائي

---

[1] جوادي هنية، المرجعية الروائية في روايات الأعرج واسني في" ما تبقى من سيرة لخضر حمروش"، ص.39.

[2] جوادي هنية،مرجع نفسه، ص.58.

[3] جوادي هنية،مرجع نفسه، ص. 65.

ثوري يبتعد.. عن التعامل مع الثورة كأحد المقدسات التي لا يمكن المساس فيها أبدا» [1]، فشخصية "سي الشريف" مثال للمسؤولين الخائنين لوطنهم مقابل مصالحهم الشخصية انطلاقا من «وطنية أتاحها لهم انتماؤهم للثورة، اكتسبوها بنية غير وطنية »[2] فجرت في عروقهم دماء الخيانة للوطن ولمبادئ الثورة التي استشهد فيها الكثير من الأحرار كـ "سي الطاهر" وضحى البطل "خالد بن طوبال «بيده في سبيل نجاحها، ليصدم خالد بعد الاستقلال كغيره من الجزائريين بتعسف وظلم أبناء بلدهم،" فربما كان الاستعمار الأسبق أرحم من هذا الاستعمار الذي يمارسه هؤلاء باسم الثورة وجبهة التحرير الوطني »[3] فالاستعمار عدو بارز بينما هؤلاء المستغلون ارتدوا أقنعة الوطنية لتحقيق مصالحهم.

وبذلك نرى أن هذه الروايات وغيرها أصبحت تشير بأصابع الاتهام إلى الطبقة المستغلة لأنها « خانت عهد الأوائل واستأثرت بالزرع والضرع»[4] ، وبذلك بدأ البعد المثالي للثورة التحريرية بالتلاشي تدريجيا ليحل محله مساءلة ونبش الماضي لفهم الحاضر ونشر الوعي بين أوساط المجتمع الجزائري.

- ✓ **علاقة الأنا بالآخر:**

---

[1] رويدي عدلان، خطاب الثورة في الرواية النسائية الجزائرية من سلطة الالتزام و هاجس التجريب "زهور ونيسي" و "أحلام مستغانمي" نموذجيا، مجلة العلامة، جامعة ورقلة، ع. 06، جوان 2018، ص.49 .

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] مرجع نفسه، ص. 50.

[4] مخلوف عامر، الرواية و التحولات في الجزائر، ص.18.

الحديث عن موضوع علاقة الأنا بالآخر من المواضيع الحساسة والهامة التي تطرقت لها الرواية الجزائرية بعد الاستقلال، خاصة وأن الموضوع متعلق بأنا متميزة حاولت جاهدا الحفاظ على هويتها من آخر مستبد عمل كل ما في وسعه لطمسها، إنها (الأنا الجزائرية) بحمولتها التاريخية والثقافية والفكرية والآخر الأجنبي ببطشه وعدائيته، وقد اتخذت الرواية في هذه المرحلة من الثورة الجزائرية مرجعا تاريخيا لرسم منحى هذه العلاقة وبيان معالمها.

عمل الروائي الجزائري بعد الاستقلال على ترسيخ هويته الوطنية التي حاول المستعمر جاهدا طمسها وتعزيزها، وقاده دفاعه عن هويته إلى وضع الآخر في صورة نمطية واحدة فـ«غالبا ما تصب الأنا العربية الآخر الغربي – سواء كان منتميا للحكومة أو الشعب– في قالب العدو الذي يعمل على مسخ هوية الذات واقتلاع خصوصيتها»[1] ، وقد تكونت هذه الصورة بسبب ما تعرضت له (الأنا) من استعمار واستبعاد من طرف (الآخر)، بل يمكن أن تكون هذه الصورة مرتبطة بالماضي السحيق في صراع الشرق مع الغرب «فحين يطغى إحساس الأنا بظلم الآخر وهيمنته تبادر إلى الدفاع عن نفسها خشية الذوبان، فتقوي انتماءها إلى الجماعة»[2].فتعمل الأنا الجماعية على الحفاظ على الهوية وحمايتها من سيطرة الآخر عليها.

[1] ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس2013، ص.17.

[2] المرجع نفسه، ص.21.

كما يصعب تحديد مفهوم الذات بمعزل عن مفهوم الآخر« فمعرفة الذات على حقيقتها لن يكون إلا عبر الاحتكاك بالآخر »[1]، فهذا الاحتكاك سيولد أشكالا عديدة لعلاقة الأنا بالآخر باعتبارهما « ثنائية يعبر بها عن حدود فاصلة بين ذاتين مغايرتين »[2] وتأخذ هذه الثنائيات أشكالا عدة : الأنا /الآخر، الشرق/ الغرب، الشمال/ جنوب، الدين / غير الدين.

وما يلاحظ على الأدب الجزائري بعد الاستقلال أنه كان أدبا نضاليا تحتل فيه مسألة الوطن الأولوية والصدارة في انشغالات الأدباء، فالآخر في غالب مواضيعهم هو المستعمِر الفرنسي وهذه الميزة نجدها «تنطبق على الأدب الجزائري قبل التسعينات من القرن المنصرم سواء كان أدب المقاومة أو أدب الواقعية الاشتراكية»[3] وهذا ما يفسر النظرة المتحفظة والمرتابة تجاه الآخر عند أدباء جيل ما قبل التسعينات، فانغلقت الذات على نفسها ورفضت الآخر، ويمكن أن نمثل لذلك برواية (اللاز) للطاهر وطار، إذ حاول مع غيره من الأدباء الجزائريين الكشف عن الوجه الحقيقي للمستعمر، وإبراز طابعه الوحشي في تعاملاته مع الجزائريين وبذلك يتم تفنيد الصورة التي رسمها الأدب الكولونيالي عن المستعمِر الحضاري والمتمدن.

---

[1] ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر نماذج روائية عربية، ص.18.

[2] صوافي بوعلام، محددات الأنا و الآخر في المتن الروائي الجزائري الجديد، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، كلية الآداب و الفنون ، جامعة وهران ، 2015/2014 ، ص.19 .

[3] صوافي بوعلام، محددات الأنا والآخر في المتن الروائي الجزائري الجديد، ص.17.

لقد رصد الطاهر وطار في هذه الرواية مشاهد تعكس الاستخدام المفرط للقوة عند الإمساك بـ " اللاز" بعد اتهامه بالتعاون مع الثوار حيث «أقدم جنديان فرنسيان على جر بطل الرواية من ذراعيه بمعية ثمانية جنود يدفعونه بالقوة إلى السير، واستعمال اللكمات بأعقاب البنادق ،وكل ذلك ضمن مشاهد بشعة ومأساوية والدماء تتطاير من أنفه وشفتيه ، وهو يترنح تارة ويقاوم تارة أخرى»[1]، هذا الاضطهاد والوحشية التي مورست على "اللاز" كانت بأمر من الضابط الفرنسي الذي يظهر في صورة راقية فهو رجل مثقف متخرج من أرقى الجامعات الفرنسية «في حدود الأربعين ، متوسط القامة ، أبيض البشرة ، نحيف الجسم.. على عينيه الزرقاوتين نظارات جميلة في إطار ذهبي، ملامحه نسوية...في عنقه صليب ذهبي يتدلى من سلسلة رفيعة»[2]، هذا المنظر يوحي بسماحة الضابط وتدينه وهو خلاف ما جسدته هذه الشخصية في ثنايا الرواية إذ تصوره مع تنامي الأحداث بأنه كان «شاذا ، مخنثا، لا يتورع عن ممارسة شذوذه ،متعفن السيرة ،بمقدوره خيانة وطنه لكي يحافظ على علاقته مع اللاز» [3]، إذ فضل متعته الشخصية على مصلحة بلاده ولم يتوقف عن ممارسة شذوذه عند "اللاز" بل جعل العميل "بعطوش" يأخذ محله، كما استغله أيضا في عملية التخريب والتقتيل التي طالت القرية بعد هرب "اللاز".

---

[1] الحبيب مصباحي، تمثلات الذات و الآخر في الرواية الجزائرية، مجلة إشكالات، المركز الجامعي لتمنراست، ع.1، ديسمبر 2012، ص.12.

[2] الطاهر وطار، اللاز، ص.210.

[3] وافي حليمة ، صورة الفرنسي في الرواية الجزائرية المعاصرة ،، أطروحة دكتوراه ، تخصص الرواية و النقد الجديد ، كلية الآداب و اللغات و الفنون ، جامعة سيدي بلعباس ، 2017/2006، ص.ص.113.112.

يبدو الطاهر وطار – في روايته – من الذين هجوا الغرب بواسطة تأنيثه، فالرواية «تقر للضابط شذوذه وفقدان ذكورته»[1] بل تنزله منزلة «حيوان مفترس متوحش لا يختلف عنه لا في التفكير ولا في الغريزة»[2]، وبذلك نفى عن الآخر صفة المدنية والإنسانية.

أما شخصية الملازم "ستيفان" فهي تتميز بالعنف والقسوة أيضا، كلف بتعذيب "اللاز" «وكان يتلذذ بسماع صراخه مقابل الاعتراف والبوح بأسرار الثورة والثوار»[3] ، ورغم ما يبدوا على شخصيتي الضابط والملازم من قوة وجبروت إلا أنهما يجسدان في الحقيقة شخصية الجندي الفرنسي الذي «لا يكون منفردا، دائما يقوم بأعماله ضمن مجموعات، فإذا ما وقع في مأزق فهو جبان، مضطرب...عاجز عن القيام بواجباته لا همَّ له سوى الخلاص من المأزق ولو على حساب واجبه»[4]. وفي المقابل نجد شخصية " اللاز" و" بعطوش" تجسدان الأنا الخائنة لوطنها، المتعاونة مع المستعمر الراضخة لأوامر على حساب أبناء وطنها ، هذه الصورة تنقلب مع توالي الأحداث ، إذ ينظم كلاهما للثوار في لحظة استيقاظ الضمير الوطني عندهما في محاولة لتصحيح أخطائهما، وهذه المفارقة توحي « بأن الاستعمار الفرنسي لم يستطع إطفاء شعلة الوطنية وروحها في نفوس الجزائريين مهما ارتكبوا من أعمال تنأى عن الأخلاق والقيم»[5].

---

[1] وافي حليمة ، صورة الفرنسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، ص.113.

[2] وافي حليمة ،المرجع نفسه ، ص.117 .

[3] وافي حليمة ،المرجع نفسه ، ص123 .

[4] عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ص.132.

[5] وافي حليمة ، صورة الفرنسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، ص.121

أما رواية "مرفوضون " م 1981 لـ "إبراهيم سعدي" فهي تمثل الأنا الجزائرية المغتربة ممثلة في شخصية "أحمد" الذي سافر إلى موطن الآخر (فرنسا) بهدف تحقيق آماله والهروب من واقع مزري بعد عام من اندلاع الثورة التحريرية. إذ يجسد «فئة العمال الجزائريين الذين دفعتهم الأقدار إلى العمل في أرض ادعى أصحابها – زورا– احترامهم للمبادئ الإنسانية»[1]، حيث اصطدم هؤلاء العمال بزيف الشعارات التي يرفعها الفرنسيون، فقد صورت الرواية المصير الرهيب الذي يترصد كل عامل جزائري مغترب «الذي يصل إلى إزهاق الأرواح بكل بساطة دون أن يعتبر ذلك من الجرائم»[2] ، فالآخر الفرنسي يمثل في هذا النص الاستغلال والظلم والاستعباد والتمييز العنصري ضد الأنا الجزائرية.

أما "محمد عرعار" في رواية "ما لا تذروه الرياح" سنة 1982 م نجد الآخر الفرنسي عنده عمل على إغراء وتضليل الأنا ممثلة في شخصية البطل "البشير" وطمس معالم هويتها، حيث تجري أحداث الرواية «أثناء السنوات الثلاثة الأخيرة للثورة التحريرية الجزائرية وتمتد زمنيا إلى الأيام الأولى من الاستقلال»[3]. إذ ألقي القبض على "البشير" من طرف الجيش الفرنسي لإرغامه على أداء الخدمة العسكرية، لينقل من العاصمة إلى ضواحي باريس فيمكث هناك. فصور الكاتب شخصية "البشير" على أنه شاب «تغلب

---

[1] عبد القادر رحيم ، بنية النص السردي في روايات إبراهيم سعيدي ، أطروحة دكتوراه ، تخصص أدب عربي ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة بسكرة ،2016/2015 ، ص.247 .

[2] وافي حليمة، صورة الفرنسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، ص.135.

[3] مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، ص.154.

عليه السذاجة إلى درجة الغباء.. ناقص الوعي.. معجب بفرنسا طبيعة وحضارة وقوة»[1]، فمثلت هذه الشخصية انبهار الأنا وتماهيها في الآخر، إذ نجده يصف الفرنسيين بقوله : «كم هم أقوياء... إنهم يسيطرون على كل شيء...إنه لشرف عظيم أن يكون الانسان إلى جانبهم»[2]، فنظرة الإعجاب الشديد بالآخر يقابلها تنكر وكره لكل ما يمت لبلده بصلة ، فيغير اسمه من "البشير" إلى "جاك" محاولا «تمثيل دور إنسان فرنسي لا علاقة له بالجزائر إطلاقا»[3] بل وصل به تنكره لأصله إلى اعتبار يوم استقلال الجزائر يوما ملعونا «يا لهذا اليوم الملعون»[4] وهو بذلك يجسد فئة قليلة جدا من الجزائريين الذين استطاع المستعمر التأثير على عقولهم واستمالتهم له.

أما جيل التسعينات فقد شهد مأساة العشرية السوداء، أين كان الموت يترصد الجزائريين من كل جانب فالآخر غالبا « هو الأهلي الذي شكل تصدعا في الأنا الوطنية»[5]، وهو الإرهاب الذي كان يتربص بالكل، خاصة المثقفين، ما أدى بهؤلاء إلى الهجرة بحثا عن الأمان. وستجسد هذه المرحلة فيما سميت برواية الأزمة.

---

[1] المرجع نفسه، ص.156.

[2] عرعار محمد العالي، ما لا تذروه الرياح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص.42.

[3] عرعار محمد العالي ،المرجع نفسه ،ص.157.

[4] عرعار محمد العالي، ما لا تذروه الرياح ، ص.183.

[5] صوافي بوعلام ، محددات الأنا و الآخر في المتن الروائي الجديد، ص.51.

بعد هذه الفترة حاول الأدباء الجزائريون الانفتاح على الآخر ضمن ما يسمى بحوار الحضارات ، فجاءت رواية (كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد) سنة 2007 م لـ "وسيني الأعرج" لتصب في هذا المضمون، حيث تحاول الرواية كشف جوانب خفية من حياة "الأمير عبد القادر" التي لم تذكر في التاريخ الرسمي وفق بناء تخيلي من طرف الروائي وسيني الأعرج، فالأمير عبد القادر قاد المقاومة الشعبية ضد الاستعمار الفرنسي ، وتعرض للخيانة من أبناء بلده ، كما قاد حربا ضد الجهل والتخلف الذي يترصد أبناء وطنه ورغم ذلك «بقي صابرا ومناضلا ، بل أكبر وأهم من ذلك كان إنسانا إلى أبعد الحدود»[1] فالأنا ممثلة في الأمير عبد القادر أما الآخر فله وجهان : الأول جيش الاحتلال ، والثاني القس "مونسنيور ديبوش" الذي يمثل رمزية التسامح والانفتاح كرجل دين مسيحي ، وقد ركز وسيني على صوت الآخر ممثلا في "القس ديبوش" «لعله يمحو ذكريات حرب أليمة استمرت أكثر من مئة عام»[2] فيؤسس بذلك لعلاقة ودية بيننا وبين الغرب «بتنا اليوم أحوج ما نكون إليها»[3] رغبة منه في المصالحة بين الأنا والآخر (المستعمِر). لهذا احتلت الصداقة بين الأمير والراهب مساحة كبيرة في فضائه السردي رغم اختلاف كل طرف عن الآخر وهذه العلاقة «لم تزدهر إلا عندما تخلى الراهب عن

[1] عبدو رابح ،جماليات السرد عن وانيسي الأعرج روايات بحر الشمال ، البيت الأندلسي ،كتاب الأمير نموذجيا ،أطروحة دكتوراه ،تخصص أدب جزائري ، كلية الآداب و الفنون ، جامعة وهران ،2017/2016 ،ص.158.

[2] ماجدة حمود ، إشكالية الانا و الآخر نماذج روائية عربية ،ص.217

[3] ماجدة حمود ،المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

فكرة تنصير الأمير»[1] وتجريده من هويته ،إذ يبين الروائي أن نجاح علاقة الأنا بالآخر أو العكس لن يكون إلا بقبول كل طرق للآخر كما هو.

إن هذه النظرة الإيجابية نحو الآخر التي طرحها "وسيني الأعرج" يمكن تفسيرها بالعودة لزمن كتابة هذه الرواية أي بعد أحداث " 11 من سبتمبر 2001م " إذ كان لها «أثر في رسم ملامح شخصية الأمير و التركيز على الجانب المنفتح لديه.. فقد شوه الآخر صورة العرب والمسلمين...فكان على المثقف العربي أن يعلن أن لدى أهله وجها آخر غير العدوان»[2]، وبالتالي العلاقة التي ربطت بين الأنا (الجزائري) والآخر (الفرنسي) وفق النماذج السابقة تراوحت بين رفض الأنا للآخر والارتياب منه، كما حاول بعض الأدباء التأسيس لعلاقة تجمعهما وفق مبدأ الاحترام المتبادل بين الطرفين وقبول كل طرف للآخر كما هو.

- ✓ **الهوية :**

لم يخل الخطاب الروائي الجزائري من المظاهر الثقافية المؤكدة للهوية الجزائرية ، إذ ظل الشعب الجزائري متمسكا بأصالته وبكل مقوماته الوطنية، رغم كل وسائل القمع التي استعملها الاستعمار من أجل طمس معالم الهوية الوطنية ، ومن المقومات البارزة للهوية الجزائرية اللغة العربية ، إذ اتبعت الجزائر بعد الاستقلال سياسة التعريب من أجل النهوض بهذه اللغة التي همشها المستعمر وحاول جاهدا القضاء عليها ، فأخذت الكتابة

[1] ماجدة حمود ،المرجع نفسه ، صفحة 236.

[2] ماجدة حمود ، إشكالية الأنا و الآخر نماذج روائية عربية، ص.219

باللغة العربية تأخذ حيزا هاما على الساحة الثقافة ، وهذا ما ينم عن وعي المثقف والأديب الجزائري بدور اللغة في ترسيخ الهوية الوطنية ، فالاهتمام باللغة العربية مرتبط بالنضال الطويل للشعب الجزائري ضد المحتل وبمدى توظيفها في حياتنا اليومية.

كما حاول الروائيون الجزائريون في مضامين رواياتهم العودة إلى التاريخ من أجل رسم معالم الحاضر كما أنه أحد العناصر الأساسية «لشخصية أي بلد... كما أن الوحدة التاريخية هي التي تعزز الوحدة الوطنية »[1] فلا هوية لشعب لا يحمل تاريخا عريقا فهو الروح الجامعة للأمة ، وهذا ما نراه في رواية الأمير لونيسي الأعرج إذ نلاحظ اعتزاز الأمير عبد القادر بهويته وتمسكه بها وحرصه عليها خوفا من ضياعها، فهي حافز لمقاومة المستعمر وهو ما يعترف به الكولونيل "دوما" «لم تغيرك فرنسا كثيرا ، وهي التي كانت تحلم بأن تجعل منك مواطنا من ذاويها»[2] إذ رغم فترة الأسر الطويلة للأمير والمغريات التي قدمتها السلطة الفرنسية ، لكنه بقي متشبثا بهويته وما ساعده على ذلك هو تشبعه بالثقافة الإسلامية «قوامها الروح الصوفية التي تميزت بالتسامح والانفتاح على الإنسان أيا كان»[3].

كما اعتمد الروائيون التركيز على موضوع الأرض والصراع حولها قبل الاستقلال أو بعده «فالدفاع عن الأرض هو دفاع عن الذات المسلوبة أو عن أرض الأجداد وعن

---

[1] شويني علي ، مقومات الهوية مولود قاسم نايت بلقاسم ، مجلة مشكلات الحضارة ،جامعة الجزائر ، مج. 7،ع.2 ،2018 ،ص.06.

[2] ماجدة حمود ، إشكالية الانا و الآخر نماذج روائية عربية ،ص231

[3] ماجدة حمود ،المرجع نفسه ،صفحة 217.

الأصالة والانتماء»[1] ، كما لم يهمل هؤلاء الأدباء التراث الجزائري فنهلوا منه كتوظيف المثل الشعبي (ما يبقى في الواد غير حجاره) في رواية "اللاز" للطاهر وطار أو استحضار الأساطير والسير الشعبية ، وكذا التركيز على العادات والتقاليد «لتصور جزائر ما بعد الاستقلال وما يميزها من أجواء الظلم والطغيان مستعيدة شخصيتها وعوالمها ولتصوير الفكر الشعبي الذي يسيطر على فئات من المجتمع»[2]، فالعودة للتراث كانت بهدف التأكيد على أصالة الشعب الجزائري و لبيان ما تعرض له هذا الموروث من تخريب وتزييف من طرف المستعمر.

أما فيما يخص الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية قبل الاستقلال فهي – مثلما مر معنا سابقا– تعتبر تجربة فريدة في الأدب الجزائري، لأنها استطاعت تطويع لغة العدو والمساهمة في بلورة الوعي الوطني من أجل التحرر، ومواضيعها لم تختلف كثيرا عن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية لأنهما تتقاطعان في هدف مشترك وهو إثبات وتعزيز الهوية الوطنية ، لذا عدّت هذه الرواية «أدبا ظرفيا ما يلبث أن يختفي عند تحرير الوطن»[3]، ولكن تكهن النقاد لم يكن في محله، «فقد استمرت الكتابة باللغة الفرنسية ووجدت من يصبو إلى الحفاظ عليها ، ويصر على بقاء هذه الظاهرة ويدافع عنها...» [4]

---

[1] الجمعي بن حركات ،الصراع الإيديولوجي ، رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة ،ص.59.

[2] منى بشلم ،أشكال توظيف التراث الشعبي في الرواية الجزائربة ، مجلة منتدى الأستاذ ،جامعة قسنطينة ،ع.20 ،جوان 2017 ،ص.50 .

[3] عبد الله الركيبي ،الفرانكفونية مشرقا و مغربا ،دار الكتاب العربي ،الجزائر ،2009، ص.101 .

[4] عبد الله الركيبي ، المرجع نفسه، ص. 102.

وقد اختلفت دوافع الأدباء المستعملين للغة الفرنسية بعد الاستقلال وأسبابهم، كما أشار "عبد الله الركيبي" إلى الخطر المحدق بالهوية الوطنية من طرف "تيار الفرنكفوني" الذي أصبح « قوة فكرية ولغوية وثقافية بل وسياسية واقتصادية بعد أن تقلص ظلها العسكري»[1]، وهي إشارة واضحة إلى الاستعمار الجديد الذي هو امتداد للاستعمار القديم ولكن بأسلحة مختلفة ففي هذه المرحلة «أصبح الصراع حضاريا ثقافيا لا ماديا عسكريا»[2]، حيث استُعمل بعض الأدباء والمثقفين لمحاربة العروبة والوحدة الوطنية فكان « التهجم على العرب والعربية.. هو ملح الطعام اليومي للخطباء والكتّاب ورجال الإعلام من الفرانكوفونيين وأتباعهم»[3] .

كخلاصة، يمكن القول أن الرواية الجزائرية ما بعد الكولونيالية حملت على عاتقها مهمة الرد على الخطاب الكولونيالي، من أجل تعزيز الهوية الوطنية والهوية القومية العربية والإسلامية، وبيان خصوصية المجتمع الجزائري وما يحمله من قيم إنسانية وأخلاقية تميزه عن غيره من المجتمعات.

[1] عبد الله الركيبي ، المرجع نفسه، ص. 07.

[2] عبد الله الركيبي ،الفرانكفونية مشرقا و مغربا ،المرجع نفسه،7.

[3] عبد الله الركيبي ، المرجع نفسه، ص. 210.

الفصل الثاني:
تجليات الصراع الثقافي في رواية "جرس الدخول إلى الحصة"

2- تجليات الصراع الثقافي في رواية جرس الدخول إلى الحصة.

2-1 تمثل الصراع الثقافي في رواية جرس الدخول إلى الحصة.

2-1-1 تمثل الصراع اللغوي في الرواية.

2-1-2 تمثل الصراع الديني في الرواية.

2-1-3 تمثل الصراع التاريخي في الرواية.

2-1-4 تمثل الصراع السياسي في الرواية.

2-1-5 تمثل الصراع الحضاري في الرواية.

2-2 الحوار الثقافي من خلال رواية جرس الدخول إلى الحصة.

2-2-1 علاقة الصداق.

2-2-2 علاقة المحبة.

2-2-3 علاقة الزواج.

2- تجليات الصراع الثقافي في رواية "جرس الدخول إلى الحصة أوراق مدرسية وعاطفية "

إن الاستعمار لا يعني الغزو العسكري فقط ،بل يرافقه الغزو الثقافي الذي يستهدف تحطيم والاستغلال مقومات الحضارية للبلد المُستعمر، فغايته تجريده من هويته ،بطمسها وجعله تابعا له ، ولا يحدث التغيير الثقافي إلا بمغالطات والتشكيك بثقافته وحضارته ،«فالوضع الاستعماري إذن علاوة على أن يصير الانسان غريبا عن شخصه فهو يجعله حاقد على نفسه بل مخجلا منها »[1]وهنا يقدم المستعمر ثقافته بالاستعلاء وعنصرية،فحين نجد أن المجتمع يذهب مع الآباء والأجداد في الجوهر من قيم وأخلاق من خلال ما غرس فيه عن طريق تلقين والتثقيف ، ليرث ثقافة تربطه بهويته وتصبح من ثوابت التي يصعب انتزاعها مما يولد صراع بين المعتقدات والقيم والمفاهيم المختلفة وبين محاولات المستعمر في نزعها وطمسها،فالصراع الثقافي «صراع نجم عن اختلافات في القيم ثقافة الثقافية والعقائدية التي تؤدي إلى حدوث خلافات بين البشر»[2]فهو الصراع الذي يحدث عندما تتعارض القيم الثقافية والعقائد المختلفة.

---

[1] عماد حاتم ،الغزو الثقافي الغربي الممهد والمتوافق مع الاستعمار الحديث في الوطن العربي،مجلة الكترونية الآداب ،ع.3-4، 1مارس 1982 ،ص 62. http://al-adab.com .

[2] جوناثان تيرنر، بناء نظرية الإجتماع،تر،محمد سعيد فرح،منشأة المعارف،الاسكندرية،ط2،2000 ،ص.87.

2-1 تمثل الصراع الثقافي في الرواية جرس الدخول الى الحصة

وقعت الجزائر تحت سيطرة الاحتلال الفرنسي، فانهارت فيها مختلف المنظومات التي شهدها المجتمعَ الجزائري، بفعل التدمير الممنهج الذي مارسته(فرنسا) من أجل طمس هويتها، ولم يتغير حالها كثيرا بعد نيل استقلالها التاريخي، الذي قدمت في سبيله تضحيات كبيرة وملايين الشهداء، حيث أُبقيت على المنظومات السياسية والقانونية الفرنسية، والتي لا توافق هويتها الإسلامية.

صورت لنا رواية "جرس الدخول إلى الحصة أوراق مدرسية وعاطفية" للكاتب عبد الله خمار،حقبة تاريخية متعلقة بالمنظومة التربوية الوطنية في سنوات السبعينيات«رحبت بالتلاميذ وكتلت على السبورة...تاريخ اليوم : الاثنين 25 سبتمبر 1972 »[1]، إحدى مراحل التعريب ،وما كان من صراعات ايدولوجية انْجرّ عنها صراعات متعددة منها الدينية، واللغوية ،والحضارية ، وتاريخية.

واختار الكاتب الثانوية مسرحا لهذه الصراعات لأنها تجمع بين الفئة المثقفة (أساتذة وإداريين) مع اختلاف توجهات ومرجعيات كل فرد فيها ،وبين تلاميذ في بداية تكوّن الوعي لديهم ،مع بيان مدى سهولة التأثير على التلاميذ سلبا أو إيجابا،لذا سنحاول

[1] عبد الله خمّار، رواية جرس دخول إلى الحصة (أوراق مدرسية وعاطفية)، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية IMAG ،الجزائر، 2002،ص،2.

من خلال عناصر هذا البحث الوقوف على أبرز المنظومات الثقافية التي جسدت صراع الهوية الذي عاشه مختلف فئات مجتمع الرواية ، بالتركيز على الصراع اللغوي و الديني و التاريخي و السياسي و الحضاري .

2-1-1 تمثل الصراع اللغوي في الرواية:

اللغة ذات أهمّية بالغة ، كونها من أهم عوامل الوحدة بين عناصر المجتمع ، فهي رمز من رموز الهوية ، تلك الهوية التي تجمع أفراد المجتمع تحت راية واحدة وتشعرهم بالانتماء للوطن و القومية الاسلامية ، فكان من الواجب علينا الاهتمام بلغتنا العربية ، فهي ليست وسيلة تواصل وتفاهم بين الأفراد فحسب،وإنّما تحفظ هويتهم ودينهم بالأخص. فاللغة العربية في الجزائر هي رمز الوحدة والحفاظ على الهوية الدينية والثقافية، كما اجتازت اللغة العربية في الجزائر عراقيل وصعوبات جمة في مرحلة الاستعمار الفرنسي لم تشهد لها مثيلا عبر مراحلها التاريخية، لأنها قاومت طمس هويتها،وهذا من بين القضايا تبنت عالجها الرواية ، من خلال ذلك الصراع الذي عاشه أبطال الرواية أساتذة (الثانوية الجديدة) التي تأسست غداة الاستقلال،فمن بين مخلفات الاستعمار في الجزائر اللغة الفرنسية التي بقيت قابعة في المجتمع الجزائري وفي منظوماته السياسية ، التي حاولت السيطرة على إيديولوجية الأفكار، و بالأخص المنظومة التربوية ،من أجل ضرب أسس تكوين المجتمع وبالتالي ضمان الاحتفاظ بمصالح فرنسا في الجزائر .

وهو ما نبّه له الشيخ "البشير الابراهيمي" في أول خطبة جمعة له بمسجد "كاتشاوة" بعد الاستقلال بقوله :«يا معشر الجزائريين ، إن الاستعمار كالشيطان الذي قال فيه نبينا

صلى الله عليه وسلم: (إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ، ولكنه رضي أن يطاع فيما دون ذلك) ، فهو قد خرج من أرضكم ، ولكنه لم يخرج من مصالح أرضكم ، ولم يخرج من ألسنتكم ، ولم يخرج من قلوب بعضكم فلتعاملوه إلا فيما اضطررت إليه وما أبيح للضرورة يقدر بقدرها »[1] ، إذ يؤكد أن مخلفات المستعمر ستبقى وتؤثر على حياتنا ، ويجب أن نكون مدركين لها ونحافظ على مقومات الشخصية الجزائرية ،مع التركيز ضمنيا على الأجيال المقبلة مما قد يصيبهم من تلك المخلفات التي تؤثر على اكتساب هويتهم ، خاصة فما تعلق باللغة والدين.

الأمر لم يكن سهلا على الدولة الجزائرية غداة الاستقلال. من أجل ترسيخ مقومات هويتها، ففي مجال التعليم انُتهجت سياسة التعريب ، ونعلم أن المدرسة كانت فرنسية شكلا ومضمونا ، فالتعريب "هو تعامل مع أوجه الحياة باللغة العربية لفظا ومعنى ، بهدف تأكيد الذاتية الثقافية وتأصيل الهوية الوطنية وتحرير التفكير من كل أشكال الاستلاب وأنماط التبعية"[2]، وقد أدى ذلك إلى تصادم بين المعربين و المفرنسين، مما ولد مشكلة لغوية في الجزائر بالإضافة للغة العامية واللهجات المختلفة المنتشرة في ربوع الجزائر،إذ كانت اللغة الغالبة آنذاك في المدارس هي اللغة الفرنسية وهذا ما كان واضحا لنا في الرواية "جرس الدخول إلى الحصة" ، حيث نجد أن بطلها "عابد إمام" في لقائه مع تلاميذه خلال الحصة الأولى طلب منهم أن يخرجوا ورقة ويسجلوا آخر كتاب طالعوه،

---

[1] عمار رقبة الشرفي، نص خطبة النصر بمسجد "كتشاوة" للإمام محمد البشير الإبراهيمي،مكتبة جزائرية،ت.ن 2019/7/5 ،15:28، https://shamela-dz.net

[2] عبد القادر فضيل، اللغة ومعركة الهوية في الجزائر، دار النشر، جسور، الجزائر،2013،ص.54.

«قال أحدهم هل أسجل ما قرأته بالفرنسية»[1] وهذا دليل على أن لغة قراءة التلاميذ آنذاك كانت فرنسية. وعندما جمع القصاصات التي دوّن فيها التلاميذ ما طلب منهم وبدأ في تفحصها وجد أن « معظم التلاميذ يطالعون بالفرنسية»[2]، حتى بعد الاستقلال بحوالي عشرة سنوات لا تزال اللغة الفرنسية هي المسيطرة في المدارس مقارنة باللغة العربية ، كما أن هناك نوعا من التحيز لها من طرف المسؤولين لعدم توفر كتب في مكتبة باللغة العربية و كتبيها بينما الكتب الفرنسية متوفر في كل مكان[3]،لأن سياسة التعليم المنتهج قبل الاستقلال أدى لتكوين المثقفين من حصيلة الدرس الفرنسي والذين مازالوا ينهلون من ثقافتهم حتى بعد الاستقلال.

كما يثير الكاتب قضية (الهوس باللغة الفرنسية) التي تجسدت من خلال شخصية "محفوظ عمار" الذي قليلا ما يتحدث العامية فهو أستاذ في الرياضيات باللغة الفرنسية و يتقنها أكثر من أهلها "حياني بالفرنسية كعادته ،فقليلا ما يتحدث عمار بالدارجة "[4]، يصفه الكاتب بتمكنه من اللغة الفرنسية تمكنا ظاهرا ، يصرح قائلا من خلال تحكمه بمخارج أصواتها و تناغمها على عكس اللغة الدارجة التي تكون كالإعصار المدوي، وقد يعود

[1] الرواية ،ص.13.

[2] الرواية ، ص.13.

[3] ينظر،الرواية ، ص.4.

[4] الرواية ،ص.19.

ذلك لما يحمله من مشاعر الحب و الاعجاب والانبهار باللغة الفرنسية على عكس ما يكنه من مشاعر النقص واحتقار الذات.[1]

أما التعليم فقد كانت الجزائر تحت رحمة التيار الفرنكفوني في الجامعات والثانويات، حيث كان قِطَاع التعليم العالي مكوناً من التعليم الثانوي والجامعي، قبل أن يُفصَلا عن بعضهما، ويلحق التعليم الثانوي بالمتوسط والابتدائي، وخلاصة القول في هذه المسألة أن فرنسا ركزت قبل خروجها من الجزائر على محاولة إخلاء الساحة العلمية الجزائرية من عنصرين هامين في بناء الهوية:

العنصر الأول :محاربة اللغة العربية حرباً شاملة في المدن والقرى.

والعنصر الثاني : افقار الجزائر من الطاقات البشرية القادرة على نقل الجزائر نقلة كمية ونوعية في مجال التعليم خاصة باللغة العربية[2].

وبعد الاستقلال كانت الهيئات الجزائرية بأمس الحاجة لمن يقف معها ،ويساعدها في بناء التعليم،لأن المثقفين والمتعلمين هم قلة بعد السياسة الاستعمارية التي استهدفت بالدرجة الأولى التعليم،أي اللغة العربية والدين الاسلامي ، كما أن لغات العلوم لم يكن من يتقنها من الجزائريين،إلا من تثقفوا باللغات الاجنبية،وهم قلة مما استدعى فتح المجال للتدريس في الجزائر من مختلف الجنسيات، إلا أنه في حقبة السبعينيات قلصت حظوظ الأساتذة ولم يبق سوى الأساتذة العرب ،و الأساتذة الذين يتقنون الفرنسية، فالصراع بين اللغات

[1] الرواية ،ص.19.

[2] ينظر،محمد الأمين مقراوي الوغليسي، قصة الصراع الايديولوجي في الجزائر، مجلة البيان الالكترونية ،ع. 388، ت.ن 8/8 /2019. ص.2.

بتنوعها لم يُبق إلا اللغة العربية وهي اللغة الرسمية للجزائر كما تعتبر أصل حضارتها واللغة الغازية الفرنسية التي مازالت مسيطرة بحكم التعامل الواسع بها. إن«اللغة العربية واللغة الفرنسية هما اللغتان السائدتان في هذه الأحاديث كانت الانجليزية والألمانية والروسية حاضرة في الأعوام الماضية لكن الأساتذة الألمان والبولونيين والروس غادروا الثانوية، وتقلص عدد الأساتذة العرب والفرنسيين وعوضوا بخريجين جزائريين »[1]، وإن عدنا للواقع اللغوي نجد أن الاستعمار لم ييأس من محاولة التأثير في جزائريين ولو من بعيد « لأنه ترك فينا ما يضمن له ذلك وهي لغته ومن خلالها ترك فكره وثقافته، وهي التركة التي يرى فيها البعض من تشبعوا بثقافته إرثا حضاريا ينبغي التمسك به. غير أنّ الروح الثورية التي ما فتئت تحرّك وعي المواطنين جعلت الكثير منّا يرى الإرث مظهرا من مظاهر الاحتلال اللغوي وليس غنيمة...وهذه الروح جعلت البلاد تدخل في معركة مصيرية مع مخلفات العدو»[2] ، فالوعي المتزايد للفرد الجزائري بعد الاستقلال بوجوب التخلص من مخلفات الاستعمار هو ما خلق هذا الصراع.

وهذا ما يشير له المؤلف ،من خلال الإشارة إلى الصراع الفكري والثقافي للأساتذة داخل قاعة الأساتذة ، «وقف الأساتذة "عما"ر و"حكيم" و" لوبتي" في جانب الأيسر من الطاولة العرضية في صدر القاعة ، بينما وقف مقادري والسردي والأستاذان العراقيان في الجانب الأيمن من الطاولة ... الحديث دائما بالفرنسية في الجانب الأيسر ودائما بالعربية

[1] الرواية ،ص.20.

[2] عبد القادر فضيل ، اللغة ومعركة الهوية في الجزائر، المرجع السابق .ص.16.

في الجانب الأيمن...»[1] ، فالصراع قائم بين الذين تعلموا ونهلوا من تعليم الفرنسي المتمثل في شخصيات "عمار محفوظ" (جزائري) أستاذ الرياضيات بالفرنسية الذي له هوس باللغة الفرنسية ،واحتقاره لذاته العربية. ويرى أن نسب الثقافة أقوى من نسب الدم، لكنه يصاب بالإحباط في كل مرة يسافر إلى فرنسا، لأنه يلقى معاملة عنصرية مثل بقية الجزائريين لأنه شديد السمرة، أما "حكيم بوعلام" (جزائري) أستاذ الفيزياء بالفرنسية فهو يؤمن بلغة العلم وبالعلم فقط لأنه ملحد ، أما لوبتي جاك أستاذ اللغة الفرنسية هو من الأقدام السوداء* الذي لم يهضم مساواته بالجزائريين ، أما الطرف الآخر من الصراع فهم اللسان العربي ممثلا في شخصية "منصف مقادري" أستاذ اللغة العربية متشبه بهيئة شيوخ الزيتونة ، لم يكمل تعليمه بها نظرا لوفاة والده، عاد للجزائر ليأخذ محل والده ويقوم بالتدريس بالمدرسة الملحقة للمسجد، أما "عبد الرحمان السردي" أستاذ تاريخ هو الآخر لم يكمل تعليمه في القاهرة بسبب تطرفه ونزوعه لسيطرة والعنف كان منضما لجماعة التكفير والهجرة، وهذا ما يحيلنا إلى الصراع مع الذات أو مع الآخر، «فالصدام الفكري الذي حرك بواعث هذه المعركة صدام قائم بين الداعمين للوضع اللغوي الموروث والمشجعين له وبين الرافضين لهذا الوضع وهم أبناء وطن واحد وتصدوا للمستعمر معا»[2].

---

[1] الرواية،ص.20.

[2] عبد القادر فضيل ، اللغة ومعركة الهوية في الجزائر،ص.17

* الأقدام السوداء:الذين ولدوا بالجزائر من نسل المعمرين(الرواية،ص،16.)

وما يعيبه الكاتب على لسان "عابد" تعامل الإدارة الجزائرية باللغة الفرنسية رغم عمليات التعريب،وهذا ما يثبت مكانة اللغة الفرنسية رغم استقلال الجزائر، وتجلى ذلك في المراسلات المكتوبة بالفرنسية لإدارة الثانوية.

كما تناولت الرواية قضية حساسة بخصوص اللغة العربية وهي الترجمة إليها من اللغة الفرنسية، والضرر الذي تسببه ونقصد بها الترجمة السيئة من الفرنسية إلى العربية أو العكس، لأنها تنتج معان غير مستساغة، فاللغة العربية لها خصوصيتها البنيوية والدلالية. وقد تمثل هذا التصادم بين اللغتين عند من لا يحسن اللغة العربية حيث يقول: « سلمني المدير ثلاث تعليمات موجهة إلى الأساتذة لترجمتها من الفرنسية إلى العربية كان الناظر يتولى المهمة، واشتكى الأساتذة العرب من سوء الترجمة معنى وأسلوبا ...فما يكتبه المدير بصيغة الرجاء يترجمه إلى العربية بصيغة الأمر...تضاف إلى ذلك أخطاؤه اللغوية»[1]، كما نسجل مدير الثانوية تَعامل مع "وجدي" أستاذ الموسيقى المصري، باللغة الفرنسية،عندما قدم له قرار تعيينه رغم أنّ المدير يعلم أنّه على الأغلب لا يتقنها « وخاطبني بالفرنسية فلم أفهم شيئا»[2]، فالمدير ممن تلقوا تعليمهم باللغة الفرنسية أما وجدي فثقافته عربية فاستحال التواصل بينهما ، لتقوم مساعدة المدير بدور المترجم،ليتضح معنا أن سياسة التعريب المنتهجة بعد الاستقلال كانت تسير ببطء شديد، فلم يكن من السهل إطلاقا إحلال اللغة العربية موقعها الطبيعي في مرحلة الاستقلال ،

[1] الرواية ،ص،16.

[2] الرواية ،ص.33

لأن « اللغة الفرنسية استمرت لفترة طويلة في الإدارة والاقتصاد و المؤسسات.. وتغلغلت في النسيج الثقافي والسياسي،ونظرا لطول هيمنة اللغة الفرنسية وانبثاق نخب فرنسية التكوين وإمساكها بزمام السلطة، فقد تباطأت الدولة الوطنية في عملية التعريب الشامل »[1] ، وهذا ما تطرق إليه الكاتب في الرواية بخصوص التعليم في الجامعة حيث بقي باللغة الفرنسية ،لأنها اعتبرت لغة العلم أما اللغة العربية فقد برمجت كمادة دراسية ،لا كلغة تدريس ما يعني تفوق اللغة الفرنسية، وجسدت هذه الفكرة في الرواية من خلال شخصية "نوارة" ابنة مدير الثانوية السيد "آكلي" التي كانت تدرس ليسانس رياضيات وكان رسوبها في جامعة بسبب عدم تحصلها على مادة اللغة العربية ، نظرا لعدم تكوينها الجيد وغير المنتظم في دروس الأقسام المفرنسة، إذ يبدو عليها الحسرة والقلق عند سماع تخصص الأستاذ عابد « اكفهر وجهها فجأة وقالت بالفرنسية ، اللغة العربية ! ثم أضافت اللغة العربية سبب بلائي وهي تعيق تخرجي من الجامعة »[2]، فعدم اهتمام المناهج التربوية باللغة العربية وتدعيم تحصيلها كـ(لغة أم) للمتعلمين صار عبئًا عليهم في مراحل تعليمهم المتقدمة.

لذا،وجب العناية باللغة العربية لإثبات تميزها وخصوصيتها، وذلك من خلال التركيز على الوسائل الحديثة المستخدمة في عملية التدريس، لأن اللغة الحية تتطور وتتغير تماشيا مع متطلبات العصر دون فقدان جوهرها، مع ضرورة التفتح على الثقافات

[1] حسنية عزاز، اللغة العربية في الجزائر بين التعريب والفرنسة، مجلة عود الند ،ع.8 ،2018.
https://www.oudnad.net/spip.php?article1950

[2] الرواية ص.54.

والعلوم الأخرى لأنها إن بقيت منغلقة على نفسها فستفقد خصائصها ويقل مستخدموها وبالتالي ستموت و تندثر، وقد جسد الكاتب هذه الفكرة من خلال شخصية "المنصف مقادري" الذي يرى نفسه من حماة اللغة العربية والمتعصبين لها حين يطلب تلاميذه رأيه في بعض الكتاب والروائيين والشعراء العرب والجزائريين : « ما رأيك في روايات محمد ديب ومولود فرعون يا أستاذ؟ من هما؟ لم أسمع بهما من قبل. إنهما يكتبان الرواية بالفرنسية علق مقادري على ذلك بعصبية الروايات تعلم المجون والخلاعة وهي كلام فارغ وإياكم وكتب المترجمة فهي تفسد الأسلوب. اقرؤوا من وحي القلم للرافعي والنظرات للمنفلوطي، اقرأوا المعلقات وشعر جرير والمتنبي و المعري.»[1] كما يؤكد على ضرورة استعمال المفردات العربية لتعبير عن المسميات الحديثة قائلا: «اللغة خادمة للخيال والفكر لا معيقة لهما وهذه المفردات إما أن تُعرّب بالاستعمال أو نجد بديلا لها بالعربية فالمفردات لديه نفسها»[2]، كما لمح المؤلف إلى تقاعس مجمع اللغة العربية في ضم المصطلحات الجديدة للقواميس«المشكلة في القواميس، فحتى المفردات التي يقرها المجمع اللغوي العربي لا تدخل القواميس»[3]. فدور القواميس غير مُفعل لإثراء اللغة العربية بمصطلحات الجديدة .

ومن أمثال "مقادري" كثر ممن يعتبرون أنفسهم «حماة للغة، ويرفضون إدخال مفردات جديدة عليها وانفتاحها على اللغات الأخرى، وبذلك يقتلونها خنقا من حيث يظنون أنهم

[1] الرواية، ص.14.

[2] الرواية ،ص.65.

[3] الرواية ،الصفحة نفسها.

يحبونها ويغارون عليها »[1]،حيث يساهمون في قتل اللغة لا المحافظة عليها، كما خلقوا عند تلاميذهم مشكلة التعبير عما يحيط بهم من مظاهر الحضارة المختلفة « أما التلاميذ فهم إما حائرون في التعبير عن أفكارهم وذواتهم باللغة العربية، وإما منصرفون عنها إلى لغة تنجدهم دون عناء بما يريدون »[2]، وعبارة (تنجدهم دون عناء) تكشف أن انتشار اللغة الفرنسية كان واسع النطاق ، ومعانيها متداوله.

كما أن سياسة التعريب المنتهجة من قبل الدولة الجزائرية لم تلق ترحابا من الفرنسيين المقيمين بالجزائر ، وهذا ما صرح به "عابد" عند لقائه بهم في أحد المطاعم بمدينة (جيجل) على هامش لقائه بـ "جانين" :« بدأوا نقدهم اللاذع للتعريب و "بومدين" والشرقيين و المصريين ، وتأسفوا على الخطر الذي يهدد الثقافة في الجزائر »[3]،فبالنسبة لهم لغتهم أداة الثقافة والحضارة أما اللغة العربية فهي لغة متخلفة ستؤثر كثيرا على سير الثقافة في الجزائرية وهو ما عبر عنه أحد هؤلاء « بلهجة حاول أن تكون بريئة : كيف نقول ساتيليت باللغة العربية؟ فأجبته قمر صناعي. قال لي عجبا، قيل لي إنه ليس هناك مقابل لهذه الكلمة، ولكثير من التعابير العلمية في اللغة العربية قلت له: حتى وإن لم يكن، يمكن استعمال الكلمات الحديثة كما هي، فاللغة لا تعجز عن التطور و الاستيعاب»[4]، فهذا الحكم المسبق عن اللغة العربية لم يكن مبنيا على دراسة علمية بل

---

[1] الرواية ،ص.65.

[2] الرواية ،ص،ص.65/ 66 .

[3] الرواية، ص.148.

[4] الرواية،الصفحة نفسها.

هو مجرد كلام تعمد نشره «أصحاب المصالح والمرتبطون بالأجهزة الفرنسية ممن يعملون على إبعاد الجزائر عن العروبة والإسلام وجعلها فرنسية اللسان والروح»[1]،وبذلك يسهل بقاء الجزائر تابعة لفرنسا ويصبح استقلالها شكليا فقط ،وقد روج لهذه الأفكار المنتسبون للتيار الفرانكفوني الذي اتخذ«موقف الخصم للعربية والعداوة أحيانا أخرى أو الموقف السلبي تجاه الهوية العربية»[2]،فكانت أفكار هذا التيار معرقلة لسياسة التعريب لإدراك أصحابه أن الهوية الوطنية مرتبطة بانتشار اللغة العربية في الجزائر لذا يمكن القول «أن سياسة فرنسا الثقافية .. أعطت نتائج باهرة لا في المجالين الفكري والثقافي فحسب، بل أيضا في المجال السياسي »[3]،وهو ما يفسر استمرار الصراع بين اللغتين العربية و الفرنسية رغم مرور سنوات على استقلال الجزائر . ولتوضيح أكثر نضع هذا الجدول ، يبين طبيعة الصراع اللغوي والنزاع حول اللغة في الواقع.

[1] الرواية، ص. 35.

[2] عبد الله ركيبي، الفرانكفونية مشرقا ومغربا، م. س، ص. 57.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الجدول رقم(1) طبيعة الصراع اللغوي في الجزائر[1]

المعربون في مخيلة الآخر	الآخر في مخيلة المعربين
شعبيون، أصوليون، متخلفون، عروبيون، إسلاميون، برجوازيون، ظلاميون، أعوان الديكتاتورية، مرتزقة	بربريون، ماركسيون، مضادون للوحدة الوطنية، فرنكفونيون، محبو الفرنسية، الخونة والخونة الجدد

ونخلص أن نظرة المفرنسون للأخر المعرب ،على أنه متخلف لا يفقه الحضارة ومتعصب لأفكاره ، أما المعربون ينظر للآخر المفرنس على أنه من خدمة فرنسا أوفياء.

كما عمل هذا التيار أيضا على نشر الشائعات ،بخصوص أهلية الأساتذة العرب الذين استنجدت بهم الجزائر للمساهمة في نشر اللغة العربية ،ما أحدث في كثير من الأحيان صراعا بين المشارقة والجزائريين فيقول أحد الأساتذة المصريين غاضبا ومنتقدا الإدارة بعد تعرضه للكثير من المضايقات والصعوبات :«جئنا لنعربكم»[2] لترد عليه الأستاذة "فايزة نجار" :«العربية لغتنا .لم يستطع الفرنسيون محوها ، وقد حافظنا عليها .تتعلمها الاجيال المتعاقبة منذ الصغر في الزوايا والمدارس القرآنية والحرة ،أنتم جئتم لتعليم العربية في المدارس التي كانت تعلم الفرنسية لا لتعربّونا.»[3]، ونلمس في ردها

[1] اسماعيل قيرة وآخرون، مستقبل الديمقراطية في الجزائر، ط .1 بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ،2002، ص، 187.

[2] الرواية ،ص.219.

[3] الرواية ، الصفحة نفسها.

تأكيدا على الانتماء العربي للجزائر وأن ما تحتاجه الجزائر هو تعريب اللسان لا الروح ،فقد «وعت الجزائر أهمية اللغة العربية ورفعت شعار التعريب لينتقل باللغة العربية من حالة التهميش والإقصاء والطمس أثناء الفترة الاستعمارية إلى حالة التفعيل في المحيط الاجتماعي »[1].

ومن المواضيع التي تطرقت لها الرواية ،الدور المهم للمناهج التعليمية في عملية دفع الأجيال القادمة نحو التقدم أو العكس، وهذا ما أشار له الكاتب على لسان أستاذ التاريخ "الهادي العروسي"منتقدا :«المناهج الحالية في معظم المواد تركز على تراكم المعلومات لا هضمها وعلى الذاكرة لا على التفكير»[2] ،فسياسة حشو المعلومات لدى المتعلم جعلته خامل التفكير ،متعودا على الجاهز من الأفكار دون تصفح أو نقد ،عكس ما تنتهجه الدول المتطورة ،التي تركز على دور العقل في العملية التعليمية ،إذ يقرأ التلاميذ الأوربيون لمفكريهم وينتقدون نظرياتهم مبينين سلبياتها و إيجابياتها بالحجج الواضحة والبراهين المقنعة ،فكان نتاج هذه السياسة تلاميذ يقدسون العلم ويطبقون معطياته في حياتهم اليومية بينما تلاميذنا يكدسون المعلومة دون نقدها أو معرفة السبيل لتطبيقها.

كما أشار الكاتب لمكانة العامية في الاستعمال اليومي وحتى الرسمي في حياة الجزائريين حيث قال:«ومنذ أن حظر العروسي أصبح آكلي يتحدث معه بالدراجة

[1] زيدي الخداوية ،اللغة العربية وترسيخ الهوية الوطنية في ظل التعدد اللغوي ،الممارسات اللغوية ،مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر ،جامعة تيزي وزو، ع.15، 2012، ص.38.

[2] الرواية ،ص.83.

والأمازيغية »[1]، كلغة تواصل بينهما، وهذا ما يؤكد انتشارها بين مختلف فئات المجتمع ليصل زحفها للمدارس فـ« أغلب الفروع العلمية والتقنية في الجزائر تدرس باللغة الفرنسية ،وقد يلجأ الأستاذ في بعض الأحيان إلى استعمال العامية إذا تطلب الدرس شرح شيء غامض فيه، أما بالنسبة للفرع الإنسانية والاجتماعية فيستخدم الأستاذ الفصحى والعامية»[2]، وبذلك أصبحت العامية تزاحم اللغة العربية والفرنسية في الاستعمال على المستوى الشعبي أو الرسمي، ومن خلال ما سبق، نرى أن مظاهر الصراع اللغوي ما تزال لحد الساعة نرصدها في حياتنا اليومية وفي كل المجالات خاصة في مجال التعليم ، فاللغة الفرنسية مازالت تزاحم اللغة العربية على مكانتها خاصة في تدريس علوم التكنولوجيا والطب وغيرها من الاختصاصات الجامعية ،كما أن العامية أخذت حيزا كبيرا من الاستعمال وبذلك دخلت في صراع مع الفصحى مساهمة في الحد من انتشارها ، كما أن مناهج التعليم المستورة تمثل خطرا كبيرا على عملية التعلم وعلى الهوية الوطنية لأنها لا تتلاءم مع تركيبة المجتمع الجزائري، فعلى الدولة الجزائرية إعادة النظر فيها للوصول إلى فرد متعلم معتز بهويته الجزائرية وقوميته العربية الإسلامية.

2-1-2- تمثل الصراع الديني في الرواية:

يعتبر الدين الإسلامي من المقومات الأساسية للهوية الجزائرية، لذا عند حصول الجزائر على استقلالها تم إعلان أن الإسلام هو دين الدولة ، فقد حاول الاستعمار

[1] الرواية ،ص.55.

[2] نصيرة زيتوني ،واقع اللغة العربية في الجزائر ،مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)،مج.27 (10)، 2013، ص.2163.

الفرنسي سلخ الإسلام ونزعه من قلوب الجزائريين بشتى الطرق كتحويل المساجد إلى كنائس ، تسهيل عمليات التبشير المسيحي ، هدم الزوايا وكتاتيب ومحاربة كل من يقوم بتدريس الدين الإسلامي ،كما ساهمت في نشر الخرافات والبدع وإلصاقها بالدين الاسلامي ما أدى إلى الفهم الخاطئ للدين في كثير من الأحيان كالتبرك بالأولياء وممارسة طقوس الشعوذة على اعتبار أنها طقوس دينية، فبعد الاستقلال أصبحت الجزائر قبلة لمجموعة من التوجهات الدينية بسبب ما خلفه المستعمر أو ما عملت على ترسيخه وزرعه علماء جمعية العلماء المسلمين ، أمثال "عبد حميد ابن باديس" و"البشير الابراهيمي" .

وقد قامت الدولة الجزائرية بالتأكيد على أن الجزائر دولة إسلامية مستقلة،وشعبها مسلم حر من خلال النصوص القانونية إذ «يحرم على المؤسسات القيام بأي سلوك مخالف للخلق الإسلامي ويمنع أي تعديل دستوري يمس الإسلام باعتباره دين الدولة، به تدين وعليه تتحدد شروط الترشيح في مناصب الدولة ، وأن عزة الإسلام وشرفه بالنسبة للجزائريين فوق كل اعتبار ، يذودون عنه ويموتون من أجله»[1]، فبين الخطاب الرسمي والواقع المعاش حدثت الكثير من الصراعات أشار إليها الكاتب في روايته وهذا ما سيعالجه هذا العنصر.

[1] سليمان عميرات ، الشخصية الجزائرية بين الاصالة و العصرنة ، **مدونة سليمان عميرات** ، http://slimaneamirat.simplesite.com/432335374 ،2020/06/27 ،سا:22.13

من الأقطاب التي مثلت الصراع الديني في رواية (جرس الدخول إلى الحصة) ، المتعصب المتشدد في توجهه الديني وجسده الكاتب في شخصية "عبد الرحمن السردي" الذي وصفه "عابد " عند لقائه به قائلا:«التقيت عبد الرحمن السردي مدرس التاريخ بلحيته الكثيفة ،المخضبة بالحناء، والدمغة الحمراء على جبينه الأبيض ، ووجهه الخالي من أي تعبير...يحاول جاهدا إخفاء عرجه الطفيف»[1] ، فمظهره يوحي بتدينه ،ما عدا صفة الوجوم التي تتنافى مع تعاليم الدين الإسلامي ،ومن الأفكار التي يدافع عنها الأستاذ "السردي" اعتبار أن التاريخ الوحيد الذي يجب يدرس هو التاريخ الإسلامي ، ويحصره في «فترة الرسول الكريم (ص)،والخلفاء الراشدين .. أما تاريخ الأمويين والعباسيين ومن بعدهم .. كان الحكم مدنيا لا دينيا، منحرفا عن جادة الإسلام الحقيقي »[2] أما تاريخ الأمم غير المسلمة فهو تاريخ الكفر والإلحاد ، ونجده أيضا يبدي اهتماما «بإحياء دور المسجد السياسي لغاية في نفس يعقوب ،بل في نفس السردي وحاشا النبي يعقوب»[3]، فيستغل الحصص الأولى لمعرفة ميول التلاميذ وآرائهم ،ليبث أفكار التطرف الديني، وثم القيام بتعبئة من لديه استعداد لذلك من أجل المنظمات السرية ،ليكون «أول درس يلقنه للتلاميذ المنظمين إلى التنظيم يتمثل في ثلاثة أسس: أولها أن الاعمال العظيمة تحتاج إلى قلوب حديدية ، ويجب أن ينزع أنصاره من قلوبهم العواطف والرحمة والشفقة، ويتركوها للنساء حتى يستطيعوا تحقيق غايتهم العظيمة بالجهاد. وثانيها أن صلاح هذه الأمة يجب أن يتم

[1] الرواية، ص.14.

[2] الرواية، ص. 26.

[3] الرواية ص. 25.

ولو بقتل الثلثين لإصلاح الثلث. وثالثها أن طاعة أمير الجماعة طاعة مطلقة في كل أمر واجبة لتحقيق ما تقدم»[1]،فالملاحظ أن دعوة السردي للتشبث بالدين الإسلامي ،ماهي في الحقيقة إلا مطامع سياسية خفية،يريد تحقيقها باستخدام الدين، واستغلال عقول الشباب حتى لو أدى الأمر إلى قتل (ثلثي الأمة)، وقد نجح السردي وأمثاله في نشر هذه الأفكار المتطرفة باسم الدين ما جرّ الجزائر لأزمة أمنية سنوات التسعينات.

ومن الشخصيات المتشددة دينيا أيضا شخصية مدرس اللغة العربية "المنصف مقادري" الذي لم يتمكن من اكتساب علم أساتذته ومنهجيتهم وسماحتهم من جامع الزيتونة لأنه درس فيها مدة قصيرة «يحلم بقيام دولة عربية مسلمة لا يتكلم فيها أحد إلا العربية ، ولا يلبس إلا القندورة والشاشية»[2]، فهمه المحدود للدين جعل فكره منغلقا لا يتقبل باقي الثقافات.

أما القطب الثاني في هذا الصراع هو الملحد، وقد جسده الكاتب في شخصية "حكيم بوعلام" مدرس الفيزياء باللغة الفرنسية الذي لا يتوانى في إعلان إلحاده متى ما سنحت له الفرصة ، ومن المفارقات أن اسمه الرسمي عبد الحكيم ولكنه ينكر ذلك بشدة تصل حد الغضب حيث ردد:"اسمي حكيم ولست عابدا لأحد" ، وعادة ما يستفزه تلاميذه بكتابة عبارة (بسم الله الرحمن الرحيم) على السبورة قبل دخوله فيدوي صارخا بالفرنسية غاضبا: «نحن ندرس العلوم ولسنا في درس الدين ولا أريدكم أن تكتبوا مثل هذه الأمور

[1] الرواية ،ص.13.

[2] الرواية ،ص.31.

الغيبية على السبورة وإلا تعرضتم للعقاب.. لا اسم يذكر في حصتي إلا اسم العلم الذي له وحده الفضل فيما وصلت إليه البشرية من تقدم».[1]

إنّ صراع هذه الشخصيات يرجعه "عابد" لظروف تكوين كل واحد منهم ، خاصة "عبد الرحمن السردي" و"حكيم بوعلام" رغم أنهما طرفا نقيض إلا أنهما يتشابهان في عدة نقاط «سنهما متقاربة، وكلاهما عنيف ومستبد برأيه ...السردي تكوّن في المدرسة الجزائرية بينما بوعلام من المدرسة الفرنسية كلاهما تلقفته مجموعة متطرفة الأول دينيه متعصبة والثاني عنصرية متعصبة»[2] ، من أفكارهما عن الدين ، يرى السردي أن تخلي الناس عن الدين هو سبب الانحطاط ، وأن التضحية بنصف أفراد المجتمع إنّ لزم الأمر من أجل إصلاحه ضرورة«إنّ معظم الأساتذة في الثانوية الجديدة لابد أن يرِدُوا في قوائم التصفية حين يجد الجد وتبدأ عملية تطهير المجتمع ، فهم إما شيوعيون أو بعثيون أو مستغربون أو فنانون منحلون»[3]، إذ وصل به تطرفه الديني إلى إباحته هدر دماء المخالفين لأفكاره حتى ولو كانوا مسلمين، وهو ما يتنافى مع تعاليم الإسلام السمحة التي تدعو للتعايش السلمي .

[1] الرواية، ص.15.

[2] الرواية، ص.76.

[3] الرواية، الصفحة نفسها.

أما "حكيم بوعلام " «يرى أن التمسك بالدين هو سبب تخلف الشعب ،ولابد لهذه الأمة من نخبة تقودها للتقدم والرقي لذا وجب الاستنجاد به وبأمثاله لبناء مستقبل زاهر»[1] فالدين –بالنسبة إليه – بعرقل حركة التطور والسير قدما لمواكبة الحداثة و العصرنة ، ومعظم الأساتذة في الثانوية من المعربين والإسلاميين ،فهم ظلاميون يعيشون في القرون الوسطى ، ولابد من منعهم من إلقاء البلاد في الهاوية «فهو بذلك يحلم بدولة جزائرية بلا دين أو الانتماء .والملاحظ أن أفكار السردي المتطرفة نتجت عن الاحتكاك بأفكار "حكيم بوعلام»[2]، والعكس صحيح أيضا، فالتطرف لن ينتج إلا تطرفا أشد منه.

وقد احتدم الصراع بين هذه الأطراف في شهر(رمضان) الكريم، فيما يعرف بقضية "الغرفة المنعزلة" التي خصصها المدير كعادته في كل عام للأساتذة الأجانب، يدخنون فيها،ويَروُون عطشهم حفظا لكرامتهم. حيث طالب كل من مقادري والسردي بإغلاق القاعة بحجة أنّه لم يعد هناك أجانب في الثانوية،غير جاك ومارتا وهما يحملان الجنسية الجزائرية، حاول المدير إقناعهما بأن الصيام عبادة للمسلمين، ولا يجوز قسر غير المسلمين عليها، فلم يقتنعا وهددا بإضراب عام بالثانوية. وازدادت حدة الصراع في قاعة الأساتذة ليصرح مقادري غاضبا بإيعاز من السردي، «لا، لا ثم لا.. لن نقبل انتهاك حرمة رمضان في معهد من المفروض أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا

[1] الرواية، .ص.76.

[2] الرواية، الصفحة نفسها.

السفلى... سنغلق هذه الغرفة بأنفسنا لأنها مأوى للشياطين»[1]،في محاولة لاستقطاب تعاطف باقي الأساتذة وبالتالي التمكن من إغلاق القاعة.

ليأتي الرد سريعا من اليسار الفرانكفوني إذ يجيبه "حكيم بوعلام" باللغة الفرنسية «هل تريدون إقامة محاكم التفتيش عندنا؟ وهل نحن في القرون الوسطى؟ ومن نصبكم لتتعدوا على حرية البشر؟»[2]، حيث أسقط بذلك تشدد السردي وزميله على ما كانت تقوم به الكنيسة في محاكم التفتيش من خنق لحرية الدين، ليضيف متحديا «أنا مفطر. وسوف أذهب أدخن مع زملائي، ومن كان منكم رجلا فليعترض طريقي»[3]، لقف "السردي" محاولا إيقاف "حكيم" ، ما كاد يؤدي لمناوشات لولا تدخل المدير "آكلي" ،والأستاذ "لعروسي" لتهدئة الوضع، فأخذ المدير حكيم وخرج معه من القاعة، أما لعروسي فقد انزوى بالسردي ومقادري محاولا إقناعهما أن تصرفهما يسئ للإسلام أكثر مما يخدمه،واستطاع المدير ،والأستاذ لعروسي التحكم في الوضع .

حيث طرحت الرواية طرفا وسطا ، فالأستاذ "الهادي العروسي" مشبع بنزعة الاعتدال وسماحة الدين،ذو ثقافة عربية إسلامية ،محبوب ذو قلب كبير يتسع للجميع ويسدي النصح ويحل المشاكل، يحظى باحترام الجميع وتقديرهم، بينما "آكلي آيت شاكر" ذو ثقافة فرنسية ،معتدل في تفكيره يحترم الآخرين و يحسن التعامل معهم ، للوهلة الأولى تبدوا لنا شخصيتا المدير ولعروسي مختلفتين تماما لاختلاف تكوينهما الثقافي ، «فالعروسي ثقافته

[1] الرواية، ص.77.

[2] الرواية، ص.38.

[3] الرواية، الصفحة نفسها.

عربية إسلامية تربى في الزاوية ، ونهل ثقافته من أساتذتها ،ثم انتقل إلى جامع الزيتونة وإلى الأزهر. وثقافة آكلي فرنسية، تربى في مدارس الآباء البيض ثم في الثانوية الفرنسية والجامعة»[1]. عمل العروسي مدرسا للغة العربية في مدارس جمعية العلماء المسلمين بينما درّس آكلي الرياضيات في الثانوية الفرنسية قبل الثورة التحريرية ليجمع بينهما حب الوطن والانتماء له «فوحدت جبهة التحرير والكفاح بينهما »[2]، إلى جانب حب العمل وإتقانه.

عاد الصراع الديني للظهور مرة أخرى في الرواية وبالشخصيات نفسها عندما ألقى "العروسي" محاضرة حول (دور المناهج في دفع الجيل نحو التقدم أو بقائه في مكانه)، وفتح باب النقاش بعدها، فكان رأي مقادري والسردي والتلاميذ المؤيدين لهما « أنّ أسباب التخلف هو تخلي الناس عن الدين وتقليديهم للغرب وفساد أخلاقهم. ودعوا إلى التصدي للغزو الفكري الغربي، واعتماد مناهج إسلامية صرفة»[3]،ومثال نقيض هذا الرأي كل من "عمار" و"حكيم" ومن يؤيدهما من التلاميذ وحجتهم « أنّ الدين كان معيقا للنهضة الأوربية، ونهضة تركيا الحديثة. وهاجموا الزوايا زاعمين أنها تخرج أجيالا مرتبطة بالماضي لا الحاضر، وطالبوا بمناهج علمانية»[4].فقناعة الطرفين لم تتغير، بل نقل كل طرف فكره إلى التلاميذ وحصل على مؤيدين له، ليكون هؤلاء التلاميذ طرفا في هذا الصراع رغم صغر سنهم وقلة وعيهم. فرد لعروسي نافيا هذه الادعاءات ومؤكدا أنّ «

---

[1] الرواية، ص.55.

[2] الرواية، الصفحة نفسها.

[3] الرواية، ص.84.

[4] الرواية.الصفحة نفسها.

الدين نور الروح والقلب مثلما كان العلم نور العقل...إن الأوروبيين في عصر النهضة لم يحاربوا الدين ولم يعتبرونه سبب التخلف، بل هاجموا المتاجرين به».[1]

وقد كان رأي الروائي صريحا في قضية الدين،إذ يرفض المتاجرة به واعتباره غطاء تنطوي تحته المصالح الشخصية والسياسية، مما يؤدي لخلط المفاهيم ووقوع في الفتن التي تسبب الحروب الأهلية وتُوْقع الدول في بوتقة التخلف وهدم مستقبل البلاد.

ومن الصراعات الدينية في الرواية قضية زواج المسلم بالمسيحية، ومثّل الكاتب له بشخصيتي "عابد" والمصرية "هالة" نشأت علاقة حب بينهما عند مزاولة عابد الدراسة بالقاهرة لكن فرق بينهما المعتقد الديني فهو مسلم سني وهي مسيحية قبطيّة،وهذا ما صرح به عابد لصديقه: « ثم أنّها قبطيّة وأهلها لن يسمحوا بزواجنا»[2]، فهذا الزواج رفض من طرف أهل "هالة " لاختلاف ديانة "عابد". أما علاقته بالفرنسية "بجانين" لم يكتب لها النجاح أيضا وهذا ما صرح به علنا موضحا سبب استحالة تحقق الرابط بينهما:«هي مسيحية كاثوليكية تنتمي إلى الحضارة الغربية المسيحية،وأنا مسلم سنّي أنتمي إلى الحضارة العربية الإسلامية»[3]، فرفض أهله الزواج بها. ورغم أن الدين الإسلامي يسمح بالزواج بامرأة من أهل الكتاب، كما أن الإيمان حسب "جانين " متعلق بالقلب«الإيمان لا علاقة له بالعقل. الإيمان بالقلب، إما أن تؤمن أو لا تؤمن. ولكل طريقه إلى الله»[4].

---

[1] الرواية.ص.40.

[2] الرواية. ص.39.

[3] الرواية .ص.54

[4] الرواية.ص.61.

من القضايا الدينية المطروحة في الرواية أيضا، "حكم الإسلام في الغناء وسماع الموسيقى" فقد تعرض "عابد" لصدام مع تلاميذه، حين امتنعوا عن درس العروض بسبب اعتماده على أسلوب تدريس هذا العلم وفق نوتات موسيقية تتلاءم مع البحر المراد تعليمه .وكان مبررهم «الموسيقى حرام يا أستاذ نحن جئنا لنتعلم الأدب العربي لا لنسمع الغناء»[1]، هذا الحكم لم يكن عن قناعة تملكتهم،بل كان بسبب تحريض "السردي" والتلاميذ المنتمين لتنظيمه. إذ عمل التنظيم على إلصاق عدة تهم بعابد «زعموا أنك لا تحسن غير الغناء، وتتحدث بالدارجة.. وتكثر أثناء درس العروض من إيراد امثلة من الشعر الغزلي الذي يحرض على الإباحية، وتدعو إلى فصل اللغة عن الدين.. وتحث التلاميذ على قراءة الروايات.. وفوق ذلك تريد الزواج بفرنسية»[2]، وبذلك لم يترك التنظيم تهمة، إلا وألصقها بالأستاذ عابد ،لأنه كان معتدلا في آرائه، محبوبا من تلاميذه ما شكل خطرا على السردي وجماعته.

كما تطرق الكاتب إلى خطر التنظيمات السرية التي كان يقودها " عبد الرحمن السردي" وأمثاله على الدولة باسم الديني ،أما عن حياته متطرفة يقول الروائي:«...ظل في مصر حيث جندته جماعة التكفير والهجرة ، وشارك في التدريب السري على مختلف أنواع الاسلحة...وجد في التنظيم مجالا لتحقيق طموحه السياسي... سمعت عن تطرفه ونزعته للسيطرة والعنف ويشاع أنه اعتقل سنتين في مصر،وأن عرجه ناتج عن قفزه من

[1] الرواية، ص. 193.

[2] الرواية، ص. 198 .

حائط مرتفع أثناء ملاحقة الشرطة له»[1]،و يتحدث التلميذ "سليم عطار" عن بعض أعمال التنظيم ،وعن استغلاله الغرف الملحقة بالمساجد لتقديم التعليمات للأعضاء ، حيث كان «حاضرا يوم صدر الأمر في استلاء مجموعة طارق خضار على قاعة الصلاة في الثانوية، وإزاحة سامي عبد الحميد المعتدل،لأنه لم يوافق على خلط الدين بالسياسة في المدرسة، كما كان حاضرا يوم توعد السردي بتلقين المدير درسا لن ينساه حيث أرسل له من ضربه وهو عائد من المدرسة ، وكان حاضرا يوم تقرر ملاحقة المفطرين في رمضان من التلاميذ وتأديبهم...»[2] فهذه المنظمات خولت لنفسها صلاحية الإفتاء وإصدار الأحكام وتنفيذها وكل ذلك باسم الدين ، كما أن هذه المنظمات السرية السياسية التي نشطت باسم الدين، كانت سببا في الأزمة الأمنية في التسعينيات (العشرية السوداء) وهذا بسبب طموح رجال أمثال السردي السياسي، واستخدام الدين وسيلة، وتنفيذ خططهم عن طريق التلاميذ الأبرياء الذين يصدقونهم ويعتبرونهم القدوة ويأتمرون بأمرهم، ومشكل أنهم يربون أجيال الغد ومستقبل بلاد بين أيديهم، وأخطر ما في الأمر ارتكابهم الجرائم وفي اعتقادهم أنهم يجاهدون في سبيل الله، وما هم إلا ضحايا.

كما يشير الكاتب إلى دور الزوايا في نشر تعاليم الدين الإسلامي ، إنّ استغلت جيدا ويتضح ذلك عند زيارة عابد لزاوية جديدة يديرها " الشيخ خليل" الذي يصحبه في جولة حول أقسامها وفروعها "فقد بنيت وفق الطراز الإسلامي ،وأول بناية منها خصصت

---

[1] الرواية،ص.26.

[2] الرواية، ص. 199

للفكر الإسلامي وبها أقسام تشمل الفكر السني والشيعي والمعتزلي والفلسفي المغربي الأندلسي، والفكر الغربي بالإضافة إلى دائرة الفقه والعلوم الشرعية، و تدرس فيها العلوم الدنيوية باستخدام مخابر مجهزة ،كما تحتوي مكتبة تجمع مختلف الفنون والمعارف، بالإضافة إلى دائرة للفنون يدرّس بها الرسم والزخرفة والموسيقى ، و قاعة التصوير، وقاعة الرياضة، وملحقة لتدريس البنات تدرس فيها كل الاختصاصات السابقة تقريبا مع إضافة حصة للأشغال اليدوية[1]، فجمعت بذلك هذه الزاوية بين العلوم الدينية والدنيوية وفق مبادئ إسلامية تواكب العصر، ولكن هذا الصرح لم يكن مجسدا على أرض الواقع بل كان حلما «كان المؤذن يؤذن لصلاة العصر حين أتممنا الجولة، وأفقت من نومي على صوت آذان الفجر .كان ذلك كله حلما»[2]. وهدف الكاتب من وراء تصوير هذا الحلم رغبته بأن «تعود الزوايا كما كانت في الماضي ، مراكز إشعاع للحضارة»[3].هنا أراد الروائي أن يجمع بين العلوم الدينية والدنيوية من أجل تحقيق الرقي للبلاد، والتمسك بالدين من خلال تعلم على يد علماء أجلاء ، يفقهون العلم الشرعي دون مغلطات.

مما سبق يمكن القول أن الكاتب نبه لخطر كبير يتهدد الأمة الإسلامية وهو التطرف الديني،الذي يساهم في تدميرها من الداخل، كما أكد على وجوب نشر تعاليم الدين السمحة ، والجمع بين العلوم الدينية ، والدنيوية من أجل ضمان مواكبة العصر عن طريق هياكل مجهزة لذلك الغرض.

---

[1] ينظر الرواية، ص،ص. 85 /88

[2] الرواية، ص. 88.

[3] الرواية، الصفحة نفسها.

2-1-3 تمثل الصراع التاريخي في الرواية

أمة بدون تاريخ هي أمة فاقد لهويتها، فبالتاريخ تُعرف الأمم و حضاراتها، ويرسخ ماضيها و يحفظه، ويزدهر مستقبلها بمعرفة الحقائق الغابر لاستخلاص العبر منها، كما يساهم التاريخ في وحدة الأمم ،وحب الوطن والشعور بالانتماء والمصير المشترك.

الجزائر لها تاريخ عريق منذ الأزل ، إلا أن المستعمر الفرنسي أثناء محاولاته طمس الهوية الجزائرية أخضعه للتزوير فقد «انحصر اهتمام علماء الاثار والتاريخ الفرنسيين في البحث عن تاريخ الجزائر في فترة الرومانية، محاولين إقناع الجزائريين بأنّ بلادهم رومانية في ماضيها، فرنسية في حاضرها ومستقبلها» [1]، فتزوير التاريخ الجزائري ينتج عنه أجيال تفتقد لماضيها ،وحضارتها،وانتمائها ما يولد أزمة هوية في المستقبل. وإنّ لم يسجل التاريخ،تُحرف أحداثه وتزور «وأجدادنا كانوا فصحاء بلغاء من حلائل الأعمال ولكنهم كانوا بُكمًا أُميين من حيث تسجيلها والإبانة عنها وإبرازها وتخليدها بالكتابة، بالحرف للأجيال والتاريخ»[2]، وهذا ما يعاتب عليه أجدادنا، إذ يجب أن يدوّن التاريخ وفق أسس علمية كي لا تشوبه المغالطة والتشويش والتزوير وحتى لا تزرع الشكوك حوله.

وقد برز الصراع التاريخي في رواية (جرس الدخول إلى الحصة)، في بعض أجزائها منها ما كان صريحا ومنها الضمني، فقد تحدثت الرواية عن أستاذين يدرسان

---

[1] لبيد عماد، المحاولات الفرنسية لطمس الهوية الجزائرية إبان الاحتلال (1962/1830)، محاضرة مطبوعة، الجزائر، د ت.

[2] مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، دار الامة، ط.2، الجزائر، 2007، ص.45.

مادة التاريخ ـ وقد سبق الاشارة إليهما في مواقف أخرى ـ "الأستاذ السردي" و "الأستاذ العروسي" وفي محاولة للوصول لمفهوم التاريخ وأهمية دراسته من خلال إجراء مقارنة بينهما حول نظرة كل منهما للتاريخ «فدوافع تدريس التاريخ عند العروسي هو معرفة أسباب نشوء الحضارات وازدهارها ومعرفة عوامل انهيارها مقيما كل حضارة تقيما موضوعيا و استفادته منه من أجل بناء المستقبل ،والتاريخ عنده هو حضارات إنسانية متعاقبة للجنس البشري ، أما "السردي" فيراه من منظور ضيق أن الهدف من دراسته هو إعادة أمجاد الماضي لحث الأجيال على إعادة بناء الدولة الاسلامية فالتاريخ عنده يقتصر على التاريخ الإسلامي والدولة الإسلامية ولا وجود لتاريخ قبل الإسلام فهو تاريخ وثني لا يجب أن يدرس أما بالنسبة للأمم غير المسلمة هو تاريخ الكفر و الإلحاد»[1]وهذا يعني حسب "السردي" أن الدولة جزائرية غير متواجدة قبل أن يدخلها الإسلام، فكيف للأجيال أن تدرك تاريخ الأولين ، دون أن تُدرّس كل مراحل تشكل الدولة الجزائرية .

كما تطرقت الرواية إلى قضية المغالطات التاريخية تمثلت في إخفاء الحقائق التاريخية في المناهج التاريخية والأسباب المؤدية لذلك حيث تمارس عليها الرقابة والحذف، وقد انتقد الكاتب من خلالها «مناهج التاريخ الانتقائية التي تعتمد على أحادية الفكر، وتمارس الرقابة والحذف على كثير من الحوادث التاريخية لأنها تخالف وجهة النظر السياسية والحزبية»[2].

---

[1] ينظر، الرواية. ص.13.

[2] الرواية .ص.40.

ومن الصراعات التاريخية الضمنية في رواية هو "التاريخ المحلي" فتلميح عابد إلى صراعات الثورة وتأزمها قبل الاستقلال حينما قال عن العروسي وآكلي أنهما صديقين حميمين: « قَضيَا معا سنتين في السجن لانتمائهما إلى تنظيم جبهة التحرير وكان ثالثهما أُبَيْ عبد الغني إمام لكن أبي اختفى منذ خروجه من السجن جوان 1960 لم يصل إلى بوسعادة ، ولم يعرف أحد عنه شيئا منذ ذلك الحين»[1]، وهذا يدل على التحفظ عن بعض الأحداث المرتبطة بالثورة ،فالروائي لم يتناول فترة تأزم صراعات الثورة قبل استقلال وإنّما أشار إليها بسنة 1960 ،« نلاحظ من خلال تتبعنا للخطاب التاريخي الجزائري حول الصراعات داخل الثورة الجزائرية ظاهرتين وهما وجود مرحلتين من ناحية تناولها، وهي مرحلة ما قبل 1988 أين نجد غيابا تاما لهذه المواضيع ، أما بعدها فقد بدأت بوادر تحطيم الطابوهات حول هذه الصراعات»[2]، كما أشار إلى أن الثورة جمعت بين الأحزاب السياسية تحت حزب جبهة التحرير الوطنية، فقد كان العروسي ينتمي إلى جمعية العلماء المسلمين وآكلي إلى حزب "الشعب" « وقد وحدت جبهة التحرير والكفاح بينهما »[3]،إن المؤلف لم يتحدث عن الثورة التحريرية إلا تلميحا فبخصوص استشهاد ابن العروسي نجد، «وعند اعتقاله أثناء الثورة التحق ولده بالثوار واستشهد في احدى معارك الأوراس»[4]، كان

---

[1] الرواية،ص.29.

[2] رابح لونيسي ،الصراعات الداخلية للثورة الجزائرية في الخطاب التاريخي الجزائري، مجلة إنسانيات (المجلة الجزائرية في الأنتروبولوجيا والعلوم الاجتماعية)،جامعة وهران،2004،ص.14.

[3] الرواية. ص. 29.

[4] الرواية ،ص.31.

بإمكان الروائي إدراج التاريخ بتعمق أكبر وخاصة عن الثورة لأن أحداث الرواية تبدو واقعية قريبة زمنيا من حدثَي الثورة والاستقلال وقد تحفظ الكاتب لأسباب تاريخية وأخرى سياسية، «إن فقدان الذين حكموا الجزائر بعد استرجاع الاستقلال للشرعية التاريخية كما عرفناها وإقصائهم للتاريخيين هو السبب في إقصاء موضوع الصراعات داخل الثورة ، لأن تناولها معناه الإشارة بالتفصيل إلى أحداثها وشخوصها مما يعني إبراز دور الرجال في هذه الثورة ، فيعرف الشعب أن أغلب الذين يحكمونه لم يكن لهم دور يذكر مقارنة برجال عظام تم إقصائهم ، ويمكن أن نذهب أبعد من ذلك وهو إمكان كشف الجزائري أن حكامه كانوا وراء الصراع بين التاريخيين بهدف إضعافهم في إطار تخطيط محكم للاستيلاء على السلطة بعد استرجاع الاستقلال.»[1]

ومن الأحداث "التاريخية القومية" التي لمح لها الكاتب نجد نكسة 1967*م، وهي الهزيمة الثقيلة للعرب، وما انجر عنها من عنصرية سياسية، وحقيقة ما تعرض إليه الأستاذ "وجدي" المصري في شارع الجزائري من استفزازات يدل على ذلك: «كما تعرض لاستفزاز آخر عند البقال الذي رفض أن يعيد له علبة طماطم فاسدة، قائلا الذي يباع لا يرد هذا القانون في بلادنا ولم أستطيع أن أقول لوجدي إن الأسباب ليست عنصرية بل سياسية

[1] رابح لونيسي، الصراعات الداخلية للثورة الجزائرية في الخطاب التاريخي الجزائري، مرجع سابق، ص.35.

* نشبت حرب سنة1967 بين إسرائيل من جهة ومصر والأردن وسوريا من جهة ثانية. وشكلت تلك الحرب انتكاسة تاريخية للعرب بشكل عام والفلسطينيين بشكل خاص، إذ احتلت إسرائيل على إثرها سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية والجولان.

فبمقدار عظمة الثقة الموضوعة في عبد الناصر كانت خيبة أمل كبيرة فيه بعد الهزيمة»[1]. فقد وقع اللوم على القيادة السياسية المتمثلة في الرئيس "جمال عبد الناصر" بسبب اتخاذه قرار إغلاق المضايق وسحب القوات الدولية ،وهو يعني للعدو إعلان حرب من جانب مصر ،في نفس الوقت الذي يدرك فيه أن قواته غير جاهزة.

كما تحدثت الرواية صراحة عن المفاهيم المغلوطة حول "التاريخ العالمي" التي نتعلمها من كتب التاريخ وتبرز في نظرة البطل "عابد" للإنجليز ممثلا في شخصيتي السيدة "ديبور ستيفنس"، وزوجها السيد "ريتشارد"، أستاذا الانجليزية في المدرسة الإنجليزية بالجزائر «كانت السيدة ديبور ستيفنس وزوجها السيد ريتشارد ستيفنس على عكس الصورة التي ارتسمت في ذهني عن الانجليز... كنت قرأت في تاريخ عن الاستعلاء العنصري الإنجليزي و الأنجلوساكسون»[2]،ومن المعلومات التاريخية التي تم تطرق إليها أيضا «التعصب والعنصرية الأمريكية لسود والنظام النازي الألماني ونظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا مقارنة بالفرنسيين والإيطاليين والإسبان الكاثوليك بسبب استعلاؤهم الديني والثقافي.»[3]

كما برز الصراع التاريخي الإيديولوجي في حفلة ليلة عيد الميلاد التي أقامتها السفارة الانجليزية في الجزائر لتلاميذ المدرسة الإنجليزية، حيث كانت الأحاديث متنوعة لاختلاف جنسيات المتواجدين «وتشعب الحديث فجأة ليصل لقضية فلسطين التي أعاقت

---

[1] الرواية، ص.34.

[2] الرواية، ص.67.

[3] ينظر، الرواية، الصفحة نفسها.

تطور المنطقة »[1] نعني بالقضية الفلسطينية الصراع التاريخي السياسي العربي مع الكيان الصهيوني في فلسطين. فنظرة الأستاذ الإنجليزي وزوجته للقضية نابعة مما يخدم مصالح دولتهم، حيث تعجب عابد لما استمع إليه من تناقض « كيف كانا ينتقدان بشدة نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا ، ولكنهما لم يستطيعا أن يريا أنه والنظام في إسرائيل توأمان ، كانا يدافعان عن حق اليهود في العيش في سلام ، وكأن هذا الحق هو المهدد ، لا حق الفلسطينيين المحتلة أرضهم والمهجرين والمشردين. عجبت كيف يظهر المعتدي بصورة المعتدى عليه»[2]، أما وجهة نظر العرب نحو القضية الفلسطينية فتظهر من خلال رأي الأستاذ "وجدي" إذ يرى أن الصراع على الأراضي غايته الاستيطان، وبناء كيان دولة صهيونية على حساب الشعب الفلسطيني فظهور شعوب يستدعي اختفاء أخرى ، وقد قام بالتشبيه بين الحلم الامريكي والحلم الصهيوني « فالحلم الأمريكي كان كابوسا على الهنود الحمر الذي أبيد معظمهم ،وعلى الزنوج الذين استعبدوا واضطهدوا ليحقق الامريكيون حلمهم في الحرية .والحلم الصهيوني كان كابوسا على الفلسطينيين الذين ذبحوا وشردوا و اضطهدوا وعلى العرب الذين احتلت أراضيهم ليتمكن الصهاينة من تحقيق حلمهم في العودة إلى أرض الميعاد»[3]، لتناقض المهندسة الإيطالية فكرة الأستاذ "وجدي" فالحلم حسبها مختلف ولا يوجد تشابه فحلم الأمريكيين يدعو للحرية لكل البشر على اختلافهم ، وهدفه بناء المستقبل، هو حلم انساني تقدمي على عكس الحلم الصهيوني، فهو حلمهم

[1] الرواية، ص.67.

[2] الرواية ، الصفحة نفسها .

[3] الرواية،الصفحة نفسها.

لوحدهم عنصري رجعي وترى أن فلسطين للجميع حيث تقول: « لابد أن تقوم في فلسطين دولة علمانية حرة لكل الأعراق والأديان. ويعود أهلها الذين شردوا منها»[1]، وبذلك يتضح الدعم الغربي للكيان الصهيوني،بينما يقف العرب عموما ،والجزائريون خاصة بجانب فلسطين ظالمة أو مظلومة. كما حضرت القضية الفلسطينية مرة أخرى في أحداث الرواية، وذلك خلال احتفال الثانوية بذكرى أول نوفمبر ،حيث مثل التلاميذ مسرحية تعالج كفاح الشعب الفلسطيني، ليؤكد الكاتب عن دعم الجزائريين للفلسطينيين للاسترجاع أرضهم المحتلة، وقد تغيب عن الاحتفال جاك لوبتي لأسباب تاريخية إذ يعتبر هذا اليوم بالنسبة له «ذكرى أليم ينوح فيها على الفردوس المفقود».[2]

ويمكن القول أن التاريخ هو حضارة إنسانية تحفظ الأمم من الزوال، وخاصة ضمن الصراعات الإقليمية التي تضمن ظهور دول واختفاء أخرى ، فالتاريخ يعتبر بطاقة هوية تدافع بها الدول عن شرعيتها و وجودها، وبذلك يصعب طمس هويتها ويكون عن طريق الاهتمام به وتدوينه لنقله للأجيال نقلا صحيحا غير مشبوه أو مغلوط فيه، كما يعتبر التاريخ قوام الدولة فإعطاء أهمية لتدريسه ، يضمن ترسيخ مقومات البلاد ومبادئ هويتها.

[1] الرواية،ص.67.

[2] ينظر ،الرواية، ص.44.

2-1-4-تمثل الصراع السياسي في رواية

إنّ الدول حديثة الاستقلال عانت من مخلفات الاستعمار الذي استغلها وحطمها سياسيا ،اجتماعيا ، اقتصاديا ، وثقافيا لأن هدف الاستعمار استنزاف كل طاقات المستعمرات، وبالتالي عملت بعد استقلالها السياسي على التخطيط من أجل برنامج تنموي،ولكن الظروف الخارجية أثرت على سياستها مثل الصراع بين الأنظمة السياسية آنذاك ، الشيوعية و الرأسمالية، والسوق العالمي...

وما هو ملاحظ أن الحكام كانوا نتيجة لظروف تاريخية ،أي الحرب والثورة وليس انتخاب ،مثل ما حدث بالجزائر « إن جبهة التحرير الوطني، باعتبارها صانعة الحرب ضد الاستعمار الفرنسي، لقيت في ذلك بعد الاستقلال شرعية تحولها إلى حزب طلائعي (Parti d'avant-garde) يقود البلاد و يوجه سياستها، و من أهدافه بناء الدولة الجزائرية المستقلة»[1]، فقد حمد المؤلف على لسان البطل "عابد" نعمة الحزب الواحد «حمدت الله على أن الحزب عندنا أشبه بالجبهة التي تضم مختلف الفئات والاتجاهات »[2]، لما رآه من صراعات في البلدان العربية الشقيقة ، من إقصاء و تهميش وحتى السجن يطال كل من يعارض حزب السلطة. ومن الصراعات السياسية المجسدة في الرواية نجدها في الأحداث التي تعرضت لها شخصية "عصام النوري" السوري أستاذ الفيزياء

[1] محمد قدوسي، النظام السياسي من خلال معطى الشرعية استمرارية التطور أم تقطعات، مجلة إنسانيات مركز البحث في الانثولوجيا الاجتماعية و الثقافية ،العدادان .14/ 15، ماي، ديسمبر، الجزائر ،ص.2.

[2] الرواية، ص.50.

باللغة العربية بالجزائر، حيث حُرّم من منحته الدراسية ،بسبب آراء أحد أعمامه السياسية إذ «حُرّم من حقه في المنحة كمتفوق، لأنه ليس حزبيا، ولأنه عد عدوا لحزب البعث، فقد اتهم أحد أعمامه بالتعاطف مع القوميين السوريين ، وبذلك صنفت العائلة كلها ووضعت في الخانة الحمراء»[1]،فعوقب على ذنب لم يقترفه، كما نلاحظ أن التعددية الحزبية في الدول العربية لا تتسم بالشفافية ولا حرية تعبير، كما لا تضمن حرية اختيار الانتماء الحزبي، بل تقوم على شعارات فارغة وتعسف وظلم. فالنضال السياسي ظُلم فيه الكثيرون، وقد جاء تأكيد ذلك على لسان "محمود سرحان" صديق "عصام النوري" الذي كان ممن تسببوا في إقصاء "عصام " وحرمانه من المنحة «كان إيماني بالحزب أقوى من الصداقة ، ضحيت بصداقة عصام في سبيل مبادئي»[2]. كما يمكن القول أن الإيمان بالحزب ومبادئه، قد يورط صاحبه وهو يعتقد أنه يخدم بلاده ويبني مجتمعه حسب ظن "محمود" يقول:« كنت أعتقد أن إقصاء أصدقائي ،وأقاربي من المنح، والوظائف والمناصب ، أو إرسال أبناء حي المعارضين إلى السجن هو جزء من النضال في سبيل بناء المجتمع الجديد»[3] .

وما لا يعلمه هؤلاء هو أنهم مجرد وسائل يستخدمها رؤساء الأحزاب لقضاء مصالحهم، فيقعون تحت طائلة اليد الانتهازية والوصولية فتستخدمهم كأداة من أجل وصولهم لأماكن النفوذ في الدولة وهي النتيجة التي توصل إليها محمود آخر مطاف نضاله، « رموني كما

---

[1] الرواية، ص.48.

[2] الرواية، ص، ص 49/ 50.

[3] الرواية، ص.50.

ترمى الخرق المتسخة بعد استخدامها ، وعينوا أقاربهم وأصدقاءهم وأبناء مناطقهم في كافة المناصب»[1] .

ومن المعلوم أن بناء الوطن يعتمد على ما تنتجه الطبقة المثقفة من أفكار ، فتشبعت أفكارهم بالمذاهب السائده في تلك الحقبة ، وقد رصدنا ذلك في الرواية من خلال الشخصيتين العراقيتين "كاظم أصلان" أستاذ رياضيات باللغة العربية ، و"مانع السعدون" أستاذ العلوم باللغة العربية، فالأول أفنى شبابه ومزال في كهولته مناضلا في الحزب الشيوعي ،والثاني في مقتبل حياته يؤمن بالمطلق. وكانت المجابهة وحدة النقاش بينهما معروفة للجميع في الثانوية كلّما التقيا «وقد جعلت منهما نقاشاتهما المستمرة كتابا مفتوحا قرأه الجميع وأعادوا قراءته طائعين أو مكرهين»[2]، ومن المواجهات بينهما مثلا «قال مانع بصوته المرتفع الحاد وبعصبية ظاهرة: الشيوعيون هم المسؤولون عما حدث، لأنهم البادئون في زمن قاسم. اعترض أصلان ورد بصوت هادئ خفيض كأنه الهمس هذا رأيك أنت، لكن الوقائع تثبت عكس ذلك »[3]

وهنا الاشارة أن الاختلافات والتصفيات بدأت من عهد الانقلاب سنة 1958، منذ أن أصبحت الحكم في العراق جمهوري، قام الانقلاب بتأسيس الجمهورية العراقية وبقي

---

[1] الرواية، ص.50.

[2] الرواية، ص.27.

[3] الرواية ،الصفحة نفسها.

العراق دولة اشتراكية ذات حزب واحد بحكم الأمر الواقع من عام 1958 إلى 2003 .تبع هذا الانقلاب انقلاب آخر أطاح بعبد الكريم قاسم، وأعدم في انقلاب 8 شباط 1963.[1]

يحلم مانع السعدون "بدولة العرب العظمى، وتحقق ذلك لا يكون إلا بالحزب المطلق ، ولا مانع لديه اذا أريقت بعض الدماء في سبيل تحقيق الحلم الجبار ، وأنه يُبيح القتل وسجن مناضلي الأحزاب الأخرى باعتبارهم أعداء الأمة وأن الغاية تبرر الوسيلة المهم تحقيق الوحدة سلميا أو بالقوة و المهم لديه هو تحقيق الحلم الذي يعيد للعرب مجدهم الغابر كما أن الاختلافات في وجهات النظر أدت لتحميل كل حزب الآخر مسؤولية الفشل وما يقوم به الحزبان من الاعتقالات والتصفيات"[2]، كما تناولت الرواية الصراع السياسي في مصر من خلال شخصية "وجدي عزام"، وما تعرضت له عائلته الأرستقراطية في ثورة جمال عبد الناصر« وحين جاءت الثورة عزلت رجال الأحزاب ، وصادرت أراضي الملاكين ، وسرحت أباه من الوظيفة ، ووضعت أموال الاسرة تحت الحراسة».[3]إلا أن وجدي لم يكره جمال عبد الناصر، لوعيه أن الثورة واجب وطني، وأن لكل ثورة أخطاؤها وضحاياها.[4] وما يجب إدراكه أنه لبناء الأوطان ،تكون هناك حتمية لصراعات التي تنجر عنها خسائر قد يدفع ثمنها الأبرياء ،رغم ذلك فجمال عبد ناصر ،

---

[1] ينظر،حسين صالح السبعاوي،14 تموز 1958 في العراق ...ثورة أم انقلاب ،2016/06/15 ، سا20:18 https://beta.alkhaleejonline.net

[2] ينظر، الرواية ،ص.27.

[3] الرواية، ص،ص.97 /98.

[4] الرواية، ص.98 .

يشهد له التاريخ من وجهة نظر الروائي بزعامته ومواقفه الفذة ضد القوى الاستعمارية، فكان مساندا لثورة الجزائرية ماديا ومعنويا «استطاع أن يعيد الثقة إلى الأمة العربية والشعوب المستضعفة بنفسها وبقدراتها التحرر والتقدم وهو ما لم تستطعه الأحزاب اليمينية أو اليسارية »[1]. كما يرى الروائي أنه من واجبنا الافتخار بعباقرة أمتنا، فالمجتمع يتأثر بهم مما يتيح له التطور والتغير «تعلمت أن اجتنب عبادة الشخصية ، تعلمت كذلك أن أنوه بفضل عباقرة أمتي ... فبدونهم لا يتم التفاعل الكيميائي في المجتمع مما يؤدي إلى تغيير بنيته وتطويره».[2]

وقد كان رأي الروائي في الانتماء الحزبي، أن «الانتماء يكون للوطن، وليس للحزب، ورغم ذلك يعتبر الحزب منبر النضال، ولا تتم الديمقراطية إلا من خلاله، ولكن ما يعاب عليه هو الرؤية الضيقة، وأنانيتهم باعتبار مصالحهم ومصالح الحزب فوق مصلحة الوطن، مما يولد تهميش الآخرين».[3]

مما سبق نلاحظ أن الدول العربية حديثة الاستقلال، شهدت صراعات سياسية، أثناء محاولة إيجاد سبيل لتسيير وبناء مستقبل ديمقراطي من خلال التعددية الحزبية، وبالطبع هناك ما يعاب عليها كالتعصب والنظرة الضيقة للأمور، والأنانية وحب السلطة

[1] الرواية، .ص .98.

[2] الرواية ،الصفحة نفسها.

[3] ينظر، الرواية ،ص.99.

وما ينتج عنه من تقديم لمصالح الشخصية و مصلحة الحزب على مصلحة الوطن ، وعدم دراسة متطلبات المجتمع ومحاولة إيجاد حلول لمشاكله.

2-1-5-تمثل الصراع الحضاري في الرواية:

لقد حاولت حضارة الغرب " الاستعمار" التضليل و إبراز نفسها على أنها مخلصة ومراعية شؤون الدول المستعمرة، فقد أظهرت الاحتلال على أنه تحرير ، وافتعلت نزاعات بين الطوائف و الشعوب للهيمنة والسيطرة بحجة أنها ديمقراطية ، ونشرت سلوكيات الانحلال الخلقي كتعاطي الخمر وإباحة العلاقات غير الشرعية (الزنا) ونشر العري والفساد على أنها طريق للحرية و التقدم ، اعتبرتها قمة الحضارة والتفوق و وارتأت أنها ملزمة بتغير حياة الشعوب المتخلفة حسب اعتقادها وروّجوا لفكرة« جلب حضارة إلى البرابرة وبالتالي نشر الأنوار في كل مكان، واستُخدمت لإضفاء الشرعية على الفتوحات الفرنسية والانجليزية على السواء»[1] ،فكان مبررهم في الاستعمار هو جلب الحضارة لشعوب افريقيا المتخلفة ومن واجبهم (هم المتحضرون) مساعدتهم في التقدم والازدهار، و ذلك بفرض ثقافة الاستعمار على أنَّها الثقافة الوحيدة القادرة على نقل البلاد المستعمَرة إلى مرحلة الحضارة . «ونعلم أنّ الاستعمار هو سيطرة دولة قوية على دولة ضعيفة وبسط نفوذها من أجل استغلال خيراتها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وهي بالتالي نهب وسلب معظم لثروات البلاد المستعمرة ، فضلًا عن تحطيم كرامة شعوب

[1] ترفيتان تودوروف، أعداء الديمقراطية الحميمون، تر. متر غازي برو، بيروت، ط 1، 2015، ص.42.

تلك البلاد وتدمير تراثها الحضاري والثقافي»[1] والاستعمار الفرنسي للجزائر كان استعمارا استيطانيا عمد إلى محاولة ترسيخ ثقافته لضمان تبعية الجزائر لفرنسا حتى بعد الاستقلال (الاستعمار الثقافي).واستطاعت فرنسا الإبقاء على مصالحها الاستراتيجية في المنطقة، باعتمادها على خدامات الذين يحملون الثقافة الفرانكفونية، وما خلفته ضمن مشروعها الثقافي الاستعماري من تدمير أهم مقوم من مقومات المجتمع عن طريق مسخ الشخصية الثقافية الجزائرية وذلك بهدم مقومات المجتمع الجزائري كاللغة العربية، والدين الإسلامي، وتشويه التاريخ، من أجل جعل الجزائر فرنسية.

استند تمثل الصراع الحضاري في رواية "جرس الدخول إلى الحصة" على الثقافة فهي من المؤثرات التي تساهم في بناء المجتمعات ، فالمجتمع الجزائري تأثر بمخلفات السياسات الاستعمارية خاصة فيما تعلق بالجانب الروحي والثقافي تاركا بعض أثار السلوكيات الفرنسية والدخيلة على المجتمع الجزائري الناتجة عن الاحتكاك بين المجتمعين (الفرنسي والجزائري) أو تعليم أو معايشتهم فاكتسب الثقافة الفرنسية ، ومنهم من نشأ تنشئة إسلامية لكون البلاد مسلمة عربية فحافظ على الدين واللغة من خلال الدراسة في الزوايا والمساجد ومواصلة الدراسة في جامع الزيتونة والأزهر الشريف في البلاد العربية ، كما عملت جمعية العلماء المسلمين على الحفاظ على الدين الإسلامي

[1] راغب السرجاني ، مفهوم الاستعمار وأشكاله المتعددة، مدونة قصة الإسلام، تن 2017/8/8،سا: 9 و00د/https://islamstory.com/ar/artical/3408001

واللغة العربية ، فكانت ثقافتهم ثقافة عربية اسلامية ، كما أن للمجتمع الجزائري إرثا ثقافيا ثريا.

نلاحظ هناك تنوعا في بنية مجتمع الرواية ، الذي نتج عنه عدة رؤى في مجال نظرته لبناء الوطن وتحضره. وهذا ما نشهده في الرواية من صراع بين الشخصيات نتيجة لاكتساب ثقافات مختلفة حسب الظروف التي نشأت فيها ، وهذا ما نحاول معالجته في العناصر التالية الوقوف على الرؤية كل فئة للحضارة.

❖ **رؤية الذات المفرنسة:**

تنظر إلى التحضر بإتباع الأسلوب الغربي ، لأنّها مشبعة بالثقافة الغربية الفرنسية فهي تنظر إلى فرسنا نظرة انبهارية ، وهذا ما سعى إليه الاستعمار في سبيل ترسيخ ثقافته، وقد تجسد هذا الموقف في شخصية "محفوظ عمار" الجزائري ، فهو يحب الفرنسية لدرجة الهوس« يتقنها أكثر من أهلها.. إنه يحمل الفرنسية كل ما لديه من الإعجاب والانبهار والحب ،و يحمّل العربية كل مشاعر النقص واحتقار الذات»[1] نظرته احتقارية لشعبه حيث يقول:«شعوب متخلفة ستبقون إلى الأبد متخلفين ، هل تظنون أنفسكم بشرا مثل الأوربيين» [2]، فهو يرى نفسه أنّه من الأوربيين ومثلهم في التمدن والتحضر «ينتسب إليهم بالثقافة ، ونسب الثقافة أهم من نسب الدم »[3] ففي اعتقاده أن الانتماء الثقافي أهم من الانتماء العرقي ، فهو متعصب ثقافيا لفرنسا حيث« لا يمكن التحضر إلا بإتباع

[1] الرواية، ص.19.

[2] الرواية، ص.95.

[3] الرواية، ص.19.

النموذج الفرنسي »[1] ، وكما يرجع سبب التخلف إلى الدين واللغة العربية ، وهذا ما يوافقه فيه "حكيم بوعلام" الأمازيغي «كان رأي عمار وحكيم ... أن الدين كان معيقا للنهضة الاوربية ، ونهضة تركيا الحديثة . وهاجموا الزوايا زاعمين أنها تخرج أجيالا مرتبطة بالماضي لا الحاضر»[2]. كما أنهما يشتركان في كره أمرين « فكلاهما يكرهان الاسلام لأنهما يعتبران أنه سبب التخلف ويكرهان اللغة العربية لارتباطها بالإسلام و لأنها تكتب من اليمين إلى اليسار»[3]، لكن "حكيم" ذو تكوين عنصري عرقي، يمكن القول أنّه ممن: أثر الاستعمار على أفكارهم، واستعمالهم في سياسة فرق تسد ، فقد اعتنت بفئة القبائل لتعبئتهم ضد وطنهم وهم من يدعون بـ "غلاة البربرية" « يسمى غلاة البربرية الذين كانوا مستهدفين بالدرجة الأولى في شخصيتهم وثقافتهم من قبل المستعمر، من خلال زرع أساطير تاريخية باطلة ، ومحاولة إدماجهم ، وتنصيرهم وزرع الثقافة الفرنسية فيهم، باعتبارهم قريبين عرقيا إلى فرنسا على حد قولها ، فغلاة النزعة البربرية يدعون لاعتبار الأمازيغية اللغة الوطنية الأولى مع تفضيل اللغة الفرنسية على العربية عمليا »[4] ،وهذا واضح جدا في شخصية "حكيم بوعلام" ،فهو يؤمن أن التقدم وبناء الحضارة يكون بفضل العلم وتبني المناهج العلمانية ، فهو ملحد لا يؤمن بالله « نحن ندرس العلوم ، ولسنا في درس الدين ... لا اسم يذكر في حصتي إلا اسم العلم الذي له الفضل فيما وصلت إليه

---

[1] الرواية، ص.71.

[2] الرواية، ص.84.

[3] الرواية، ص.71.

[4] أحمد بن نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية، ط 2 دار الأمة، الجزائر،1997، ص. ص.35.36.

البشرية من تقدم» [1] ، فهو ينفعل ويغضب عندما يجد عبارة "بسم الله الرحمن الرحيم"«في مطلع كل سنة ينتفض حكيم بوعلام عند دخوله القسم ، إذ يجد عبارة"يسم الله الرحمن الرحيم" مكتوبة في أعلى السبورة...فإن حكيم ينتفض كالملدوغ أو الممسوس عند رؤيتها»[2] كما أنه يقول «المعربون و الاسلاميون فهم ظلاميون يعيشون في القرون الوسطى، ولابد من منعهم من إلقاء البلاد في الهاوية»[3]. بالنسبة إليه التقدم مرهون بالتخلص من المعربين و الإسلاميين، هم عين التخلف لتمسكهم بالدين، وأن الشعب مزال متخلفا« ولابد من نخبة مستنيرة تقوده هو و أمثاله»[4]، وما توصلنا إليه – مما سبق – أن الاستعمار قد ترك أثرا كبيرا على هوية الجزائريين، خاصة المثقفين بالفرنسية حيث نظرتهم للحضارة تجلت في الانبهار بما وراء البحر وهي أجدر باتباعها لتحقيق التحضر والتقدم ولا نقاش في ذلك سوى اتباع النموذج الأوربي في بناء حضارة الجزائر.

❖ **رؤية الذات المعربة :**

تجسد هذه الذات الاعتدال والتعايش مع جميع الفئات، والنظرة الواعية لمستقبل البلاد. بالاحتكاك و الاطلاع على أفكار الآخر دون العودة لبذرة الحقد المزروع ، كما ينظر إلى الذات بإيجابية لتحقيق حلم الحضارة، وجسدها الكاتب في شخصية البطل "عابد إمام" يقول :«فليس فينا من ينظر للعروبة على أنها عرق أو نسب بل

---

[1] الرواية، ص.15.

[2] الرواية، .ص 15 .

[3] الرواية ، ص.76.

[4] الرواية،الصفحة نفسها.

هي حضارة جمعت أعراقا كثيرة»[1] ، وهنا أراد القول مهما اختلفت الأعراق و الأنساب فنحن أبناء وطن واحد وتقدمه وتحضره يقوم على الوحدة والتفاهم، و تجمعه كلمة واحد، لا يبنى على أساس العنصرية بل على ما هو قائم في واقع المجتمع .

إن الوحدة الوطنية تولد وحدة أوسع ، ونقصد بذلك الوحدة العربية "التي تكون الحضارة العربية من خلالها مبنية على الرضى ومراعاة الخصوصيات والمصالح الأوطان برؤية صادقة و واقعية ، تعمل على بناء مستقبل عصري لا استعادة أمجاد الماضي فحسب، فالوحدة تضمن المساواة بين كل المواطنين بصرف النظر عن أعراقهم وأديانهم وطوائفهم[2] ، فيجب أن تبني روح الترابط، والمحبة،والانصهار في كتلة واحدة ،مهما فرقتها الظروف يجب أن نكون يداً واحدة ، نواجه بها المتربصين بالوطن ، ونعمل على بنائه فيقوم كل فرد بدوره رغم التنوع الثقافي فهم أفراد من هذا الوطن.

ويقول في مقام آخر، يجب أن لا نتبع أفكار الناس الذين يريدون شرا لهذه البلاد و الأمة العربية الإسلامية «هناك أناس تغلب فيهم قوة البناء، وآخرون تغلب فيهم قوة الهدم و كأنهما ينتميان إلى جنسين مختلفين وهما موجودان في كل أمة

[1] الرواية، ص.99.

[2] ينظر ، الرواية،ص.99.

وفي كل شعب وفي كل بلد»[1] ،فمن دور كل فرد وخاصة المعلم «مهمة المعلم ترقية قوة البناء في الأمة بزرع الحب والتسامح في النفوس»[2]، فهو القادر على بث الخير أو الشر في نفوس المتعلمين ، فعليهم أنّ يعلموا أن من يبني جيلا فهو يبني الوطن وكذا الأمة ، فلا يعطي رأيه للمتعلم دون مناقشة أو إعطائه حكما مسبقا على أناس، فيولد عندهم الحقد والكراهية ،كما هو موجود في السياسة وما يروج له من حقائق غير موجودة. ولمواجهة قوة الهدم فيهم ، يجب أن يعمل المعلم على تنمية الثقة في نفس المتعلم ، وحب الإنسانية، وأن يعمد إلى التحري عن الحقائق ما يبعده عن الزيف .

وما يسعنا قوله : لبناء حضارة أمة ما وجب العناية بالتعليم لإعداد جيل جديد، تُغرس فيه مبادئ وقيم و مفاهيم مكونةً ثوابت ومقومات لهويته ،عن طريق طرح الأفكار للنقاشات تجعله مقنعاً، لما تلقاه من آراء ليُميّز الصالح من الطالح، ويتَحقق ذلك بعدم إرغامه على تبني موقف أو ثقافة أساتذته ،وهذا بترجيح طريقة تقبل رأي الآخر وسعى لتحري الحقائق دائما ، من أجل خير للبلاد.

من خلال تحليلنا للرواية نشاهد عدة صراعات منها اللغوية ، الدينية ، التاريخية ، السياسية ، وهذا ما أدى إلى تباين في الرؤى حول بناء حضارة ، ويمكن إرجاع ذلك لما قام به المستعمر من محاولة تجريد الجزائريين من هويتهم .فقد تركت سياساته آثار،

---

[1] الرواية، ص،68.

[2] الرواية،الصفحة نفسها.

وسلوكيات وأنماط معيشية غريبة ودخيلة على المجتمع الجزائري،مما كان له أثر على خصوصيات الشخصية الجزائرية المتميزة بإسلامها وعروبتها ، وثقافتها الأمازيغية ، وتاريخها العريق ومصير المشترك مع لها من الأشقاء العرب،ومن بين أهم ما توصلنا إليه ، من كل ما سبق:

1. تشكل طبقة مفرنسة من النخبة ، ذات تكوين مستمد من المدارس الفرنسية متأثرين بقيم والثقافة الفرنسية.
2. من مخلفات الاستعمار اللغة الفرنسية، التي نتج عنها فئتان ثقافيتان، المعربون والفرنسيون.
3. سياسة التعريب المنتهج في التعليم، مما تطلب الاستعانة بأساتذة من المشرق العربي.
4. ظهور التفريق العرقي : عربي / بربري، وتفريق اللغوية مفرنس/ معرب، والتفريق الحضاري سلفي / حداثي.
5. ظهور جماعة غلاة البربرية ، جراء سياسة فرق تسد، واعتناء بتفرق بين العرب والبربر لإحداث اختلال وأزمات في بلاد الجزائر.
6. ظهور التطرف الديني ، الذي يهدد الأمة ويساهم في تدميرها من الداخل.
7. معاناة من ضعف التنشئة ، لظهور حكام جراء حتمية الظروف التاريخية ، وصعوبة التسيير بعد الاستقلال ، مما أدى لإبقاء بعض القوانين الفرنسية متعامل بها .

8. يجب المحافظ على ترسيخ مقومات ومبادئ الهوية من خلال تعليم التاريخ ودراسته وبحث عن حقائقه، لتجنب تزوير الذي حدث في الاستعمار و صمت عن بعض قضاياه غداة الاستقلال.

9. ظهور عدة ذوات مختلفة الثقافة في الجزائر ، الذات العربية ، الذات المفرنسة،الذات الامازيغية .

10. معاناة المنظومة التربوية من مشاكل،تتعلق أساسا بالمناهج وأولويات ما يجب إدراجه خصوصا ما يتعلق بالهوية ومقومات الأمة الجزائرية.

إن الروائي قد برهن على أن الصراعات الإيديولوجية التي انعكست نتائجها مباشرة على التلاميذ أدت إلى صراعات داخلية عندهم ما سينتج فردا مهزوز القيم،والملاحظ أن الروائي تعمد عدم إعطاء اسم صريح للثانوية ،بل أطلق عليها اسم "الثانوية الجديدة" ، ليشير إلى أن الصراعات التي تحدث في هذه المؤسسة المصغرة ما هي إلا انعكاس لما يحدث على مستوى باقي مؤسسات الدولة ،وليرمز من خلالها إلى مؤسسة أكبر وهي الدولة الجزائرية.

2- 2 الحوار الثقافي من خلال رواية "جرس الدخول إلى الحصة":

يشهد العالم اليوم تغيرات كثيرة جعلت من حوار الثقافات ضرورة لابد منها في عملية التواصل بين أفراد المجتمع الواحد أو بين المجتمعات الأخرى، لما للثقافة من دور بارز في تحقيق التعايش بين الشعوب وبالتالي تحقيق السلام في العالم كما يمكن أن يحدث العكس إن استغلت الثقافة في نشر العنف والتعصب والعنصرية داخل المجتمعات

أو بينها «فحوار الثقافات ليس ترفا فكريا زائدا، بل هو خاصية ضرورية لبناء عالم أقل عنفا وأكثر إنسانية وعدلا»[1]، عن طريق إدراك الذات ومحاولة فهم الآخر وتقبل ما بينهما من اختلافات وهذا ما سنحاول الوصول إليه ضمن عناصر هذا المبحث، من خلال تتبع علاقة الشخصيات مع بعضها في رواية **(جرس الدخول إلى الحصة)** وانعكاس هذه العلاقات على ثقافة المجتمعات التي تنتمي إليها تقاربا وتباعدا، حيث يعالجها "**خمار**" من خلال منظومة من العلاقات تنوعت بين الصداقة والجوار والمحبة والزواج، ولم يكن تركيزه على هذه العلاقات اعتباطا وإنما له دلالته الثقافية والحضارية.

2-2-1 علاقة الصداقة:

تكون العلاقات الرابطة بين الشخصيات السردية حاملة لدلالات عاكسة لطبيعة الرؤية الحضارية التي ترتكز عليها الرواية، ومن أبرز الروابط فيها الصداقة، حيث تضم الرواية علاقات صداقة تجمع بين الأنا الجزائرية ممثلة في شخصية "عابد إمام" بطل الرواية وبين الأنا العربية والآخر الغربي (الفرنسي).

ومن نماذج الصداقة البارزة في النص نجد علاقة "عابد" بزميله في المهنة الأستاذ المصري "وجدي عزام" أستاذ مادة الموسيقى المعين حديثا مكان الأستاذة الفرنسية "فرانسواز"، **«أأنت الذي كنت تعزف على البيانو؟**

-نعم

[1] محمد سعدي، دور الثقافة في بناء الحوار بين الأمم، سلسلة محاضرا الإمارات، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ط.1، 2012، ص.5.

_ وأين الأستاذة فرانسواز؟.

_ عينت بدلا عنها وقيل لي إنها سافرت إلى فرنسا»[1].

فبداية الصداقة بينهما قديمة تعود إلى سفر "عابد" لمصر لمواصلة دراسته الجامعية، وأول لقاء جمع بينهما كان بمناسبة ذكرى أول نوفمبر حيث يقول: «تعرفت بوجدي في سنتي الجامعية الأولى بمناسبة ذكرى أول نوفمبر. ألقيت بنادي الطلبة الجزائريين قصيدة أعجبته»[2] لتتوطد «العلاقة بينهما إلى صداقة متينة»[3].ورغم سفر وجدي إلى إيطاليا لدراسته الأوبرا إلا أن أسرة هذا الأخير أكرمته وعاملته كأنه واحد من أفرادها «عاملتني والده ووالدته كأنني أحد أبنائهما»[4].

وبقي عابد وفيا لصديقه رغم بعد المسافة، لتجمع بينهما الأقدار صدفة مرة أخرى ولكن هذه المرة بأرض الجزائر وداخل أسوار الثانوية التي يعمل بها عابد «وجدي! وفتحت ذراعي واحضنته وعانقته بحرارة»[5] فعمق الصداقة التي تجمعهما اتضحت من خلال فرحة عابد برؤيا صديقه وحفاوة استقباله له فدعاه للعيش معه في شقته وقدم له غرفته للإقامة فيها، ولكن وجدي رفض ذلك وأجابه بحزم «هذه غرفتك ولن أخرجك منها

---

[1] الرواية، ص.22.

[2] الرواية، ص .20 .

[3] الرواية، الصفحة نفسها.

[4] الرواية، ص.20.

[5] الرواية، ص،21 .

فلا تحاول»[1] احتراما من "وجدي" لخصوصيات صديقه وعدم التعدي عليها وقام باختيار غرفة أخرى من الشقة للمكوث بها.

قدوم "وجدي" للجزائر كان في إطار سياسة التعريب التي انتهجتها الجزائر بعد الاستقلال إذ «سمع بالصدفة أن الجزائر بحاجة إلى أساتذة موسيقى فاتصل بالسفارة ووقع عقدا وجاء مباشرة»[2]، قدومه المباشر دليل على التسهيلات التي منحتها الجزائر للأساتذة العرب للمساهمة في عملية التعريب بسبب «العجز الحاصل في عدد المعلمين المعربين الأكفاء، سواء كانوا جزائريين أو من أقطار عربية أخرى»[3]. وتعيينه في الثانوية لم يكن مرحبا به في بادئ الأمر إذ رفض المدير الإمضاء على قرار تعيينه بدعوى عدم وجود مناصب شاغرة « الأكاديمية أخطأت بتعيينك هنا»[4]، ولكن قبل به على مضض في «انتظار وصول الأستاذ الفرنسي الذي وعدت به الأكاديمية»[5]، إن موقف المدير سببه ما يروج من إشاعات من طرف «أصحاب المصالح والمرتبطون بالأجهزة الفرنسية ممن يعملون على إبعاد الجزائر عن العروبة والإسلام وجعلها فرنسية اللسان والروح»[6]،

---

[1] الرواية ص.37.

[2] الرواية، ص 21.

[3] محمد المنجي الصيادي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، سلسلة أطروحات الدكتوراه الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط.5، مارس 1995، ص.150

[4] الرواية، ص 33.

[5] الرواية، الصفحة نفسها.

[6] الرواية، ص 35.

ومضمون الإشاعة هو عدم أهلية هؤلاء الأساتذة المشرقيين إذ «ليسوا أساتذة متخصصين في بلادهم بل منهم الإسكافي والجزار والخباز وعامل المصعد»[1].

وبقدر ما كان هذا الموقف مؤلما وصادما لـ "وجدي" بقدر ما أحزن صديقه "عابد"، فحاول التدخل لدى المدير بحكم العلاقة الطيبة التي تجمعهما، حيث بادر قائلا: «لا تقلق واترك لي هذا الموضوع سأسويه مع المدير»[2]، لكن "وجدي" رفض ذلك وقال معترضا بشدة: «إياك أن تفعل أرفض أن أعمل مع مدير لا يحترمني»[3]، فرضح "عابد" لطلبه كي لا يسيء لكرامة صديقه، متمنيا بقائه في العمل، حيث أسر قائلا:« لكنني رجوت في سري ألا تجد الأكاديمية أستاذا آخرا لنبقى معا في الثانوية»[4]. لتتحقق أمنية "عابد" بعد تأكد المدير من أهلية الأستاذ "وجدي" وسماعه عزفه والاعتذار منه «هل تقبل اعتذار عجوز أحمق أعماه الحكم المسبق ولم يحسن التصرف»[5] فتقبل وجدي الاعتذار بلباقة «حاشا أن تكون أحمقا ما فعلته إلا ما رأيته في مصلحة مؤسستك.»[6] فتوطدت العلاقة بين المدير ووجدي ليضع تحت تصرفه شقة الأستاذة "فرانسواز" وسيارتها. فرح عابد بهذا القرار كثيرا «هل تعرف أن شقة فرانسواز هي الملاصقة لشقتي في الطابق

---

[1] الرواية، الصفحة نفسها.

[2] الرواية، ص 34

[3] الرواية، الصفحة نفسها.

[4] الرواية، ص.43.

[5] الرواية، ص، ص.45/ 46.

[6] الرواية، ص 46.

الأول، أصبحت جاري إذن أرجو أن تحسن معاملتي فالله أوصى بالجار»[1]، فاجتمع بذلك رابط الصداقة والجوار ليوطد أواصر الأخوة بينهما، ومع الزيارات المتتالية لبيت المدير "آكلي" وخال عابد الأستاذ " لعروسي" بدأ وجدي بالتعرف على عادات وتقاليد الجزائريين والتعرف على شوارع العاصمة وأزقتها أيضا ليقرب شهر رمضان بينهم أكثر «كنا نطبخ معا نفطر معا نتسحر معا»[2]، فاشتراكهما في الديانة سهل عليهما توطيد علاقتهما وأطال عمرها.

كما تمر أي علاقة بين طرفين بهزات عنيفة بين الفنية والأخرى ولعل أكبر الهزات حدة تعرض "وجدي" للحبس المؤقت إثر وجود جثة امرأة مجهولة الهوية في شقته، وكان من قدم البلاغ للشرطة صديقه "عابد" « خرجت في العاشرة مباشرة من المنزل فإذا بي أجد باب شقة وجدي مفتوحا»[3]. دخل عابد شقة صديقه بعد ضرب الجرس وقرع الباب ومناداة وجدي دون أن يحصل على رد منه «و إذا بي أفاجأ في الصالون بامرأة ممدده على الأرض لفت نظري شعرها الأشقر الملطخ بالدماء»[4] هول هذا المنظر جعل عابد يتصرف بتلقائية «توجهت دون تفكير إلى مركز الشرطة القريب من السكن وأخبرتهم بما رأيت فحضروا وسجلوا إفادتي»[5] ليستدرك عابد الموقف و يتوجه للثانوية بحثا عن صديقه

---

[1] الرواية، الصفحة نفسها.

[2] الرواية، ص .96.

[3] الرواية، ص 107.

[4] الرواية، الصفحة نفسها.

[5] الرواية، الصفحة نفسها.

وجدي لإعلامه بما حدث لكن دون جدوي، ليعود للشقة فيجده موقوفا من طرف الشرطة «فدمعت عيناي وعجزت عن السيطرة عليهما»[1] هذا الحزن صاحبه الشعور بالعجز «شعرت بالعجز وأنا أرى صديقي يعتقل وهو غريب بعيد عن أهله ولا أستطيع أن أصنع شيئا»[2]. كما لم يفارقه الشعور بالذنب لإبلاغه الشرطة بوجود الجثة،« لو انتظرت عودته لاستطعت أن أجد معه مخرجا»[3]. فالصديق في مفهوم عابد يجب أن يساعد صديقه مهما حدث« إن صدقتنا بلا حدود»[4]، ليرد عليه "آكلي" من خلال خبرته وتجربته في الحياة أن« "الصداقة المثالية حدودها الشرع والأخلاق والقانون»[5] فالصديق الحقيقي هو من يقف إلى جانب صديقه ليصحح أخطائه أو يتجنبها لا أن يكون شريكا له فيها.

كما أن "عابد" لم يبلغ عن الجريمة لاقتناعه ببراءة صديقه ظنا منه أنه في القسم وحتى وجدي كان مقتنعا أن ما قام به صديقه هو الصواب، فجعل يواسي صديقه «وبدلا من أن أشجعه شجعني قائلا لا تقلق عليّ فالله معي»[6]، فثقته نابعة من إيمانه ببراءته وأن الله سيظهر الحق. والمواقف الصعبة تكشف للإنسان معدن من حوله إذ أدى انتشار خبر الجريمة إلى انقسام الأساتذة إلى قسمين« كثرة كاثرة تعتقد ببراءته وقلة قليلة تجرمه»[7]

---

[1] الرواية، ص 108.

[2] الرواية، ص .108.

[3] الرواية، الصفحة نفسها.

[4] الرواية، الصفحة نفسها.

[5] الرواية، الصفحة نفسها.

[6] الرواية، الصفحة نفسها.

[7] الرواية، ص. 110.

وعبرت الأستاذة الفرنسية "مارتا دانيال" عن رأي القسم الأول بقولها « إن أصابعه سحرية ليست من عالمنا هذا، هذه الأصابع تبعت الحياة فيما حولها ولا يمكن أن تقتل»[1] فهذا التناقض ـ بعث الحياة وأخذها ـ واضح لا يقبله العقل.

تكررت زيارة عابد لصديقه حاملا معه ما يحتاجه من ألبسة وكتب والأهم من ذلك هو حمله حب وتضامن بقية الأصدقاء والتلاميذ لينتهي التحقيق ببراءة وجدي فالضحية صديقة "فرانسواز" جاءت لزيارتها وتصادف وصولها مع وجود 3 لصوص كانوا بصدد سرقة الشقة فارتبكوا عند رؤيتها فضربها أحدهم على رأسها ليغمي عليها وتدخل في غيبوبة فظن الجميع أنها ميتة وتكتمت الشرطة عن خبر بقائها على قيد الحياة لاستكمال التحقيق وضمان عدم هروب المجرمين، ولولا إبلاغ عابد عن الجريمة لكانت ميتة [2] وبذلك ساهم عابد في إنقاذ المرأة وبالتالي إثبات براءة صديقه التي لم تكن ليتحقق لأن "وجدي" لم يستطيع إثبات مكان وجوده ساعة الجريمة. كما حظي وجدي بمعاملة طيبة من محافظ الشرطة «أشكرك على ما فعلته من أجلي وعلى المعاملة الحسنة التي تلقيتها مدة استضافتكم لي »[3]، ليتأكد وجدي من حب الجزائريين للمصريين والعرب عامة وأن ما لقيه من سوء معاملة من بعض الجزائريين هي حالات شاذة.

إن وقوف الصديقين مع بعضهما في المواقف الصعبة مستمر عبر المتن الروائي، نراه عند إصابة "عابد" بوعكة صحية أدخلته المستشفى «من حسن الحظ أنني فتحت

---

[1] الرواية، الصفحة نفسها.

[2] ينظر الرواية، ص .130.

[3] الرواية، ص .133.

الباب لوجدي قبل أن يغمى علي ونقلت بسرعة إلى المستشفى»[1] فتناوب "وجدي" و"عصام" على المبيت معه ليلا للاعتناء به، وفي هذا الموقف نوع من التأكيد على شهامة الأصدقاء في تحملهما أعباء ما تفرضه علاقتهم من تعاون وتآزر والتزام، وهذا ما جعل "عابد" يشبه صديقيه "وجدي "وعصام " بالفارسين الشرقيين [2]، فالشرقي لطالما عرف بوفائه وحسن معاشرته مع الإخوة والأصدقاء. وكما يعرف الصديق وقت الضيق فقد كان للفرح نصيب من العلاقة إذ جعل "وجدي" "عابد" شاهدا على قرانه مع محبوبته "فايزة" «ووقعت أنا وعصام كشاهدين على العقد»[3] كما رافق وجدي عابد عند تقدمه لخطبة "نوارة" ابنة "آكلي" « سهرت تلك الليلة عند آكلي وكان وجدي معي.. طلبت منه يد نوارة»[4] .

ونلاحظ أن الكاتب تخير العلاقة بين الصديقين(الجزائري والمصري) لبعث رسالة مضمونها العلاقة الحميمة العلاقة التي جمعت بين الجزائر ومصر منذ القدم وما « مساندة مصر للثورة الجزائرية ماديا ومعنويا وإعلاميا وفنيا »[5] إلا دليل ذلك ، فجعل مناسبة اللقاء بينهما ذكرى (أول نوفمبر) وما يحمله من رمزية للجزائريين والعرب عموما، كما مرت العلاقة بتحديات صعبة تخلص منهما الصديقان عن طريق مساندة أحدهما

[1] الرواية، ص. 213.
[2] ينظر الرواية، ص. 118.
[3] الرواية، ص. 241.
[4] الرواية، ص. 257.
[5] الرواية، ص. 242.

للآخر ونجاح صداقتهما نابع من احترام كل طرف لخصوصيات كل بلد وعاداته وتقاليده، والتعايش مع ما بينهما من اختلاف لأن ما يجمعهما أكبر مما يفرقهما.

لم يقف الكاتب عند حدود مصر بل كوّن لـ "عابد" صدقات طيبة مع زميله في الثانوية الأستاذ السوري "عصام النوري" الذي سانده في الكثير من أزماته كالاعتناء به عندما أصيب بوعكة صحية ودخوله المستشفى. وقد تعمد الكاتب عقد مقارنة بين هؤلاء الأصدقاء (عابدو وجدي وعصام)، ومن أبرز الاختلافات التي نقف عندها "الخبرة المهنية" إذ يوضح عابد ذلك بقوله «كل منهما مبرّز في مادة اختصاصه لا يلحق به أحد وأنا مستجد في مادتي ومازلت في بداية الطريق»[1] وفيه إشارة من الكاتب لوضع الجزائر بعد الاستقلال التي مازالت تخطو خطواتها الأولى في معركة البناء بالمقارنة مع شقيقتيها مصر وسوريا، كما فيه تلميح لمدى انتشار اللغة العربية في الجزائر فسياسة التعريب مازالت في أول الطريق. بالإضافة إلى العلاقة الطيبة التي جمعت "عابد" بالأستاذ العراقي "كاظم أصلان" الذي عبر له عن ثقته به وحبه له وللجزائر في رسالة بعثها له بعد عودته إلى بلده يقول عنها "عابد" « بدأ كاظم رسالته بإداء ثقته بي فأنا أمثل الجزائر التي يحبها »[2] ، هذا الحب كان متبادلا إذ يرد عليه عابد « كنت كنت أحبه كما يحبني»[3] .

وبذلك جسد "عابد" من خلال تصرفاته صورة (الجزائر) وعلاقتها الطيبة مع أشقائها من البلدان العربية كتأكيد للصلة الوطيدة بين الأقطار العربية وسر استمرارها،

---

[1] الرواية، ص.99.

[2] الرواية، ص .215.

[3] الرواية، ص .218.

ونجاح علاقة هؤلاء الأصدقاء قام على«استيعاب المعنى الحقيقي للصداقة وقيمها الحضارية الذي يتجاوز الميولات الشخصية والحسابات البراغماتية»[1] هذا التقارب كان هدفه التأكيد على وجوب قيام الوحدة العربية عن طريق تجسيدها على أرض الواقع.

2-2-2 علاقة المحبة:

من العلاقات الاجتماعية التي أخذت حيزا مهما في الرواية (علاقة المحبة) والتي مثلتها التجربة التي جمعت بين الأنا الجزائرية "عابد" والآخر الفرنسي "جانين" على أرض (الأنا)، وأول لقاء جمعهما كان مكانا خاصا بالآخر (الكنيسة) بمناسبة حفل زفافٍ «العروسان المحتفل بزواجهما طبيبان يعملان في الجزائر سوري ولبنانية» [2]، فجمعت مقاعد الكنيسة بين الحبيبين (عابد /جانين) التي جلست إلى جانبه فسحرته بجمالها حيث يصرح قائلا «جَلست في الكرسي الفارغ على يساري صبية لفحني عطرها النفاذ،ولفت نظري شعرها الذهبي الطويل»[3]، بدأ استراق النظر إليها ليتبين ملامحها،« التقت عينانا، عيناها الخضراوان وعيناي السوداوان، أحسست فجأة بتيار كهرومغناطيسي يسري في داخلي»[4] ما أصابه بذهول فلم ينتبه لانتهاء مراسم الزفاف إلا بتنبيه عصام له حاملاً معه أمنية تبدوا مستحيلة «وددت لو رأيتها ثانية ولكنني لا أعرف عنوانها، ولا أعرف حتى

---

[1] فطيمة بن ربيعي، نموذج ما بعد الكولونيالية في رواية (فضل الليل على النهار) لـ "ياسمينة خضرة"، تعليمات، مج.8، ع.2، ديسمبر 2019، ص. 188.

[2] الرواية، ص .63.

[3] الرواية، الصفحة نفسها.

[4] الرواية، ص 64.

اسمها» [1]. فكان اللقاء بينهما شكلاً من أشكال «التبادل الثقافي والحضاري بين الشعوب في كل المشرق والمغرب » [2]، فاجتمع في موقف اللقاء بينهما الإسلام بسماحته (حضور "عابد" مراسيم الزفاف داخل الكنسية ووفق مراسيم الديانة المسيحية) والمسيحية بطقوسها، والشرق والغرب (فعابد يمثل الشرق بمميزاته وجانين تمثل الغرب .....)، والماضي (الجزائر، فرنسا).

ليتكرر مشهد التبادل الثقافي عندما قرر "عابد" متابعة دراسته الإنجليزية بالمعهد الإفريقي الإنجليزي «سجلت فيه رغم عدم احتياجي للغة الإنجليزية في بحثي»[3]، ومن خلال احتكاك "عابد" بالأوروبيين هناك استطاع التخلص من الأفكار المسبقة الجاهزة عنهم «وفي هذه الغرفة بالذات بدأ احتكاكي الحقيقي بالأوربيين كنت في الماضي أنظر إليهم نظرة شك معتبراً أنهم جواسيس يضمرون لنا العداء والحقد والشر» [4]، ولكن هذه النظرة العامة تغيرت عنده، حيث اكتشف من خلال الحوار معهم «أن هناك أناسا تغلب فيهم قوة البناء، وآخرون تغلب فيهم قوة الهدم .. وهما موجودان في كل أمة وفي كل شعب وفي كل بلد» [5]، ففي كل أمة نجد فئات من الناس تسعى ليعيش هذا العالم في سلام، كما نجد في المقابل فئات أخرى تتلذذ بنشر الدمار والخراب في العالم للوصول إلى

---

[1] الرواية، ص.64.

[2] سالم معوش، صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ص 09.

[3] الرواية، ص 67.

[4] الرواية، الصفحة نفسها.

[5] الرواية، ص 68.

مبتغاهم. لذا على الإنسان أن يُعمل عقله في تقييم الأمور بموضوعية ومحاولة الغوص في حقيقتها، وهذا ما جعل شخصية "عابد" (الشرقية) تقر باستعجالها في قبول الحكم المتوارث عن الطرف الآخر في معادلة الحضارة (الغرب)، فعادة ما .... وهذا ما استنتجته الأنا بعد الاحتكاك بالآخر الغربي حيث يصرح "عابد" قائلا أن :«كره الغربيين واعتبارهم أعداء وجواسيس أخطر من الانبهار بهم، فالمتهم قد يفيق يوما من انبهاره أما من انغرس الكره في قلبه وتجدرت البغضاء في روحه فيتحول إلى مريض نفسي بالشك و الريبة و من الصعب علاجه »[1]، لقد شكلت هذه الأفكار بداية انفتاح الذات على الآخر، و كان نتيجته قيام علاقة الحب بين "عابد" و"جانين" رغم ما بينهما من اختلافات، في محاولة لإيجاد روابط تجمعهما، وكان اللقاء الثاني تحقيقا لأمنية عابد السابقة حيث اجتمع بها هذه المرة تحت غطاء ثقافة أخرى(الثقافة الإنجليزية)، حين رأى "جانين" صدفة في غرفة تعلم اللغة الإنجليزية إذ اتضح أنها زميلته في الصف «هل تدرسين هنا؟ . – نعم، وجلست في المقعد المقابل» [2]، واتضح أن انتسابهما للمعهد كان لنفس الهدف وهو ما شرحه عابد في قوله «أدرس اللغة الإنجليزية لهدف ثقافي هو اكتساب المعارف وزيادة معرفتي باللغة العربية التي أُدرِسُها فبالمقارنة أعرف خصائص لغتي وخصائص اللغات الأخرى »[3] تحضيراً منه للقيام بدراساته العليا في الأدب المقارن، وهو نفس الهدف الذي رمت إليه "جانين" إذ أكدت أن هدفها معرفي ثقافي أيضا وهو«

[1] الرواية، ص.68.

[2] الرواية، الصفحة نفسها.

[3] الرواية، ص 70، ص71.

إنجاز بحثها في دكتوراه عن طرق تعليم الفرنسية للأجانب»[1]، فلقائهما لم يكن مبنيا على مصلحة معينة أو كان باتفاق مسبق ولا حتى لعداء كامن، وإنما كان بهدف رفع المستوى العلمي والمعرفي لكل طرف، وهذا ما ساهم في نجاح هذا التقارب، ليحدث الانجذاب بينهما معلنا تقارب حضارتين مختلفتين "أحسست أنني ضعيف أمام هذه الأميرة حفيدة شارلمان و أحسست أو ربما خيل إلي أنها لا تسطيع مقاومة وسامة حفيد عقبة و يوغرطة و هارون الرشيد »[2]، في إشارة من الكاتب للتقارب والتحالف الذي جمع بين الخليفة هارون الرشيد (الخليفة العباسي) و شارلمان(امبراطور الإمبراطورية الرومانية)، إذ يمثل هذا الثنائي نموذجا للتقارب بين الشرق والغرب فصداقتهما بنيت على الاحترام المتبادل مع الحفاظ على مصالح مملكتيهما[3]، كما جعل الكاتب شخصيتي "عابد و"جانين" استمرارا لإرث الأجداد من أجل بيان أن تقارب الحضارات ليس أمرا مستحيلا.

وقد زاد الإعجاب بين "عابد" و"جانين" مع توالي الحصص إذ يقول: «عاملتني جانيين بود وعاملتها بالمثل » [4]، ومع ذلك كان يتملّكه بين الفنية والأخرى هاجس الاختلاف ما جعله يتخيل صورة الأستاذ "جاك لوبتي" الفرنسي (زميله في الثانوية وصديق جانين) يسخر منه « لا تطمع في جانين هي ليست لك، إنها لي أنا فهي من قومي وجنسي وكل منا يفهم

---

[1] الرواية، ص 71.

[2] الرواية، ص 70.

[3] ينظر أحمد أمين، هارون الرشيد، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د. ط، 2014، ص. ص. 128 .129.

[4] الرواية، ص 74.

الآخر جيّدًا» [1]،فهو يجسد في هذا الموقف صورة الآخر الذي يرفض إمكانية قيام بينه وبين الشرقي لاختلاف الهوية والانتماء. و ما عزز هذه الفكرة في ذهن "عابد" اختلاف الميول، فجانين رسامة أما هو فشاعر « لو أنني أرسم لكانت بيني و بين جانين لغة مشتركة فالرسم لغة عالمية ،أما الشعر فأنا أكتب باللغة العربية التي لا تفهمها جانين »[2]،لكن هذا الخوف بددته "جانين" عند دعوتها له للاحتفال بافتتاح معرض الرسم المقام بالمركز الثقافي الفرنسي و بروز لوحاتها « ما رأيك في الاحتفال معي بافتتاح المعرض»[3]، فرح عابد جداً بالدعوة خاصة عندما أكدت له أن الدعوة خاصة به وحده ليُفاجَىء "عابد" أن مكان الدعوة هو مطعم "الخيمة" المختص بالأطباق الجزائرية التقليدية، وأنها طلبت طبقاً تقليدياً جزائرياً و هو "كسكس باللحم " أما الخمر فهي لا تشربه «أنا لا أشرب الخمر أبداً و عائلتي من أنصار مكافحة المسكرات»[4]. فهي بذلك تظهر تقبل ثقافة عابد وتقاليده الخاصة بالطعام مع عدم تخليها عن ثقافتها عندما أصرت على دفع فاتورة الطعام والتناوب على دفعها لاحقا ما جعل عابد يزداد إعجابا بها إذ أن « العلاقة لا تستمر بين اثنين إن كان أحدهما يتحمل الأعباء المادية وحده، وكلاهما موظف محدود

[1] الرواية، ص 78.

[2] الرواية، ص 103.

[3] الرواية، ص 104.

[4] الرواية، ص 105.

الراتب » [1]، كل ذلك كان في جلسة اعترف فيها عابد بحبه لجانين « كل ما أعرفه أنني أحبك أنت سواء أكنت جميلة أم لو تكوني»[2].

لتتوالى اللقاءات بينهما سواء في المعهد أو في النزهات حيث تولى عابد مهمة الدليل السياحي ليعرفها بالمعالم التاريخية والثقافية للجزائر العاصمة، كالقصبة، جامع كاتشاوه، المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية في قصر خداوج العمياء، مقام سيدي عبد الرحمان، ساحة الشهداء، فنظرَت إلى هذه المعالم نظرة الفنان معلنة إعجابها بها.

كما أهداها عابد قصيدة باللغة العربية مع ترجمتها للفرنسية مجيبا عن تساؤلها «هل كنت أحبُك لو لم تكوني جميلة؟»[3] ففوجِئت بالقصيدة معلقة « ما أرق وأعذب ما قلته، إنك شاعر وفنان حساس»[4]. ليختم اللقاء بحصول "جانين" على وعد من "عابد" لتعليمها اللغة العربية « عدني أن تساعدني في المستقبل على تعلم العربية »[5] وبالتالي التمكن من الاقتراب من الهوية اللغوية لعابد ،لتكافئه في لقاء آخر برسم صورته، معلنة معها حبها له، لتكون الزيارة الموالية متحف الفنون الجميلة بالحامة « فوجئت جانين بالروائع الموجودة فيه و بآثار عمالقة الفن العالمي النى يحتوي عليها»[6]، كما لم يخف عابد جهله بمعروضات هذا المتحف فهو « يغطي ستة قرون من تاريخ الفن و يحتوي على أعمال

---

[1] الرواية، ص 106.

[2] الرواية، الصفحة نفسها.

[3] الرواية، ص 121.

[4] الرواية، الصفحة نفسها.

[5] الرواية، ص. 122.

[6] الرواية، ص. 134.

أصلية للفنانين الأوائل للمدارس الإيطالية و السويسرية و الهولندية و الفلاماند و غيرها، إلى جانب أعمال الفنانين الجزائريين و الفرنسيين من المدارس الكلاسيكية و الواقعية والتكعيبية والرمزية والاستشراقية»،[1] فكانت معروضات المتحف مجسدة لتلاقي ثقافات وحضارات مختلفة، مؤكدة تقبل الطرفين لبعضهما وانجذابهما لاهتماماتهما، كأداة لتعميق معرفة أحدهما بالآخر واكتشافه أكثر. حيث تكررت الخرجات في شوارع العاصمة وأزقتها في محاولة من "عابد" تعريف "جانين" ببلده وثقافته، واتضح له أن إعجابه بها لم يكن لجمالها وأناقتها فقط بل «بذكائها وثقافتها وفنها أيضا» [2] كما لم تتخذ جانين جهل عابد لثقافتها الغربية معيار للحكم عليه لأنها« هي أيضا تجهل الكثير عن ثقافتي العربية و تتشوق للاطلاع عليها»[3] ،كما زار الثنائي جبال الشريعة في العطلة الشتوية فأهداها "عابد" ثوبا بوسعاديا بيتيا أما هي فاشترت له قبعة أوروبية، فكانت الهدايا معبرة عن ملامح الهوية الثقافية كل بلد، كما ترمز لتبادل الثقافي بينهما وقد ارتدى "عابد" تلك القبعة في زيارة قادتهما الى منطقة "تلاغيلاف" بجبال جرجرة «كنت أنيقا فيها وأعجبني شكلها في المرآة مع بدلتي الزرقاء »[4]، فأثار قرب مظهره من المظهر الأوروبي زهوا في نفسه «أحسست أنني أصبحت أقرب إلى جانين»[5] هذا المظهر الغربي جعله يتعرض لموقف

[1] الرواية، ص.134.

[2] الرواية، ص 137.

[3] الرواية، الصفحة نفسها.

[4] الرواية، ص.148.

[5] الرواية، الصفحة نفسها.

حرج بسبب انتقاد أستاذين فرنسيين «للتعريب و بومدين والشرقيين والمصريين»[1] أمامه لأنهم« افترضوا أنني ما دمت مرافقا لمواطنتهم وأعتمر قبعة فأنا أقاسمهم طروحاتهم السياسية والتربوية»[2]، فارتداء القبعة ومرافقة فرنسية حسبهم دليل على انسلاخ "عابد" عن ثقافته و تنكره لها ما جعله يرفض ارتداءها مرة أخرى ليضيف عابد مبررا « قومي لا يحبونها ويعتقدون أن من يلبسها يخرج عن جلده ويفقد شخصيته ويصبح أوروبيا » [3]، ورغم أنه لا يتفق مع هذه الفكرة إلا أن اهتمامه بمشاعر قومه و شعور الانتماء لهم جعله يتخلى عن لبسها فالمرء مجبر على احترام حدود ثقافة المنظومة التي ينتمي إليها ، في دليل منه على انتمائه لها واحتوائها له، كما أظهرت "جانين" أنها ليست مستعدة لتقبل ثقافة عابد كما هي فقد قامت بتقصير وتعديل الثوب البوسعادي الذي أهداه لها «هل تراني بوسعيدية أصيلة ؟ البوسعديات لا يلبسن أثوابا فوق الركبة» [4]، لتبدي استعدادها أن تطيله سنتمترا فقط من أجله، وهي رسالة صريحة بأن تنازلها وتقبلها ثقافة لن يكون إلا بمقدار ما تطيل به ثوبها البوسعادي الذي قصّرته.

ومن التحديات التي وقفت عائقا أمام هذه العلاقة الزيارة المفاجئة التي قامت بها أم عابد و أخوه بالتزامن مع زيارة جانين له في شقته ، وفي مقارنة سريعة عقدها عابد بين مظهر المرأتين (أمه/حبيبته) بَيّن أنهما «تنتميان إلى حضارتين مختلفتين في النظرة إلى

---

[1] الرواية، ص.148.

[2] الرواية، الصفحة نفسها.

[3] الرواية، ص. 204.

[4] الرواية، ص. 190.

الجسد، حضارة العري و حضارة الحجاب »[1]، و في جلسة استجواب من الأم لابنها رجته مستعطفه أن لا يتزوج محبوبته الفرنسية« برضاي عليك يا بني لا تتزوج برومية»[2]، إن رفض الأم ليس مبنيا على مبدأ أخلاقي بل كان حضاريا عبرت عنه الأم بقولها «ليست من ثوبك دينها ليس دينك ،وعاداتها ليست عاداتنا»[3] لتضيف مبررة أن المجتمع لن يتقبل هذه الفروقات «سيتحدث الناس عنك و عنا بالسوء»[4] ، فالأم مازالت محتفظة في ذهنها بالماضي الاستعماري للفرنسيين والدليل على ذلك الإشارة إلى جانين بلقب الرومية .لينهي "عابد" النقاش بوعدٍ قدمه لأمه بأنه سعيد التفكير في أمر زواجه من جانين.

أما التحدي الثاني الذي أصاب العلاقة فنجده عند طلب "عابد" يد "جانين"، حيت حاول في مراسم طلب يدها أن يجمع بين الثقافة الأوروبية والجزائرية فقام بإرسال باقة أزهار مرفقة ببطاقة عليها طلب الزواج، ووقف تحت شرفة شقتها منتظرا الجواب بمصاحبة فرقة الزرنة، إذ نراه يهتف وسط الجموع «مجنون بحبك، أرجو أن تكون هذه الطريقة الأوروبية مناسبة لطلب يدك، هل توافقين على الزواج»[5]، فعابد حاول طلب يد محبوبته وفق الطريقة الغربية بإرسال الطلب مع باقة أزهار وإرفاقه بأنغام فرقة موسيقية تعزف مقطوعة معينة، وانتظار الجواب تحت شرفتها، هذا التقليد الغربي حاول "عابد"

---

[1] الرواية، ص. 158.

[2] الرواية، ص. 160.

[3] الرواية، ص.160 .

[4] الرواية، الصفحة نفسها.

[5] الرواية، ص 174.

إضفاء لمسة جزائرية عليه بالاعتماد على فرقة "الزرنة" والرقص على أنغام جزائرية. هذا الموقف أصاب "عابد" بجرح شديد عند انتشار هذا الخبر في الثانوية «سرت شائعة في الثانوية بأنك رقصت على أنغام الزرنة في شارع العربي بن مهدي تحت شرفة امرأة فرنسية»[1]، إذ شعر أنه بتصرفه هذا جعل محيطه يطعن في أخلاقه ووطنيته«وأدركت جسامة ما فعلت من غير تروٍ»[2] لأن هذا الفعل غير مقبول عند مجتمعه إن صدر من عامة الناس، فكيف وهو مثال الإنسان المثقف والأستاذ القدوة.

ومن المواقف التي شكلت نقطة انعطاف في هذه العلاقة، الزيارات الفجائية من الأهل و الأقارب لعابد، وهو الأمر الذي رفضته جانين و انتقدته بشدة، ففي المرة الأولى زارته أمه و أخوه ، و المرة الثانية زاره أقاربه دون سابق إنذار« لا يمكنني قبول هذا الوضع ،هذه المرة الثانية التي تذهب مشاريعنا أدراج الرياح بسبب الناس الذين يسقطون علينا من السماء دون إنذار»[3]، فالأهل والأقارب بالنسبة لها مجرد أناس لا تربطهم به روابط عائلية، في إشارة منها لرفض بعض القيم الاجتماعية و الدينية المميزة للمجتمع الجزائري كصلة الرحم « هي تريدني وحدي دون أهلي و مجتمعي»[4]، ليقودها النقاش مع عابد في هذا الموضوع إلى أن اختلاف أسلوب الحياة بين مجتمعيهما سببه التطور الكبير الذي شهدته أوروبا بعد النهضة، فتقول:« كنا مثلكم في الماضي و لكن التطور فرض

---

[1] الرواية، ص.174.

[2] الرواية، ص. 198.

[3] الرواية ،ص.180

[4] الرواية، ص .181.

علينا أساليب جديدة في المعيشة و وأنتم تسيرون في طريقنا، ستتفتت الأسر الكبيرة، و تنشر دور المسنين سريعا في بلادكم و تصبح جزء من مؤسساتكم»[1].

وتوالى المثبطون لزواج "عابد" و"جانين"، إذ زار "عابد" عمه ـ بإيعاز من أمه ـ كما زارت "جانين" أمها ليخوض كل طرف معركته في سبيل إنجاح هذا الزواج المختلط إذ «لابد أن يتنازل كل من الطرفين عن الكثير من الأعباء الاجتماعية والتقاليد ليلتقيا في منتصف الطريق»[2]، فحبها يقف في مواجهة فروقات تتعلق بالهوية الاجتماعية. رغم أن عابد في بداية علاقته بجانين عقد مقارنة بينهما من عدة نواحي عنونها « بيننا إرث الماضي بأمجاده وأحقاده»[3]. ويمكننا ـ انطلاقا مما سبق ـ تصنيف مجالات المقارنة كما هو موضح في الجدول التالي:

[1] الرواية، ص .188.

[2] الرواية، ص.208 .

[3] الرواية، ص.122.

الجدول رقم(2): مقارنة بين الأنا(عابد) والآخر (جانين).

مجال المقارنة	عابد	جانين	السبب
جغرافيا	– يقف على الضفة الجنوبية من البحر المتوسط.	– تقف على الضفة الشمالية	تباعد جغرافي
	– ابن مدينة بوسعادة واحة الصحراء المنبسطة على مد النظر.	–ابنة مدينة بيزانسون المرتمية في حضن الغابات والجبال المتعرجة صعودا وهبوطا في قمم وسفوح ووديان.	
	– من بلد الشمس الساطعة طيلة العام.	– من بلد السحب والأمطار.	
العرق	أسمر، أسود الشعر والعينين.	بيضاء، شقراء، خضراء العينين.	جنسين مختلفين
تاريخيا (إثر المعارك العدوانية بين حضارتيهما)	– سليل يوغرطة، هارون الرشيد، طارق بن الزياد، صلاح الدين، سليمان الحلبي، الأمير عبد القادر، المقراني وكل المجاهدين.	–سليلة شارلمان، شارل مارتن، فيليب الثاني، نابليون، كليبر، بيجو وكل جنيرالات فرنسا.	عداء تاريخي (يفصل بينهما بحر من الدماء والدموع)

دينيا	مسلم، سني ينتمي للحضارة العربية الإسلامية	مسيحية كاثوليكية تنتمي للحضارة الغربية المسيحية.	اختلاف الانتماء الديني
فنيا	– يحمل حِكم امرئ القيس، المتنبي، الحصري، القيرواني، محمد العيد آل الخليفة.	– تحمل ريشة ميشال أنجلو، دافينشي، رونوار، وتستلهم "ميوز" ربة الجمال في جبل الأولمب.	ميولات فنية مختلفة

ومن خلال هذا الجدول يتضح لنا مدى الاختلاف بين شخصيتي "عابد" و"جانين " فلا يجمعهما حدود جغرافية ولا ماض مشترك ولا انتماء ديني واحد وحتى فنيا لكل منهما ميولاته الخاصة المرتبطة بانتمائه.

ورغم كل هذه الاختلافات إلا أن علاقة المحبة استطاعت تخطيها، ولكنهما وقفا عاجزين أمام التخلي أو التنازل عن هويتها الاجتماعية « كان بالإمكان أن نعيش سعيدين لو لم ننتمي لمجتمعين مختلفين»[1] فالحب الذي يجعل الإنسان يتنكر لأهله وأصله وعادات وتقاليد مجتمعه لن يعيش طويلا ويبرر عابد لنفسه ولجانين خيار إنهاء علاقتهما باختيار

[1] الرواية، ص .230.

الرسام "نصر الدين دينه" لبوسعادة للمكوث بها « لدفء شمسها ودفء قلوب أهلها»[1] فكيف له أن يتنكر لها وهي مسقط رأسه ومُقام أهله وأحبته. كما احتج بدفاع الكثير من أفراد المجتمعات المتقدمة عن قضايا المجتمعات النامية، فهل يعقل أن يهرب من قضيته « إنه مجتمعي الذي علمني ورفعني إلى مرتبة مثقف فلن أركله وأتخلى عنه »[2] لترد عليه بقولها :«كان الحب أقوى من اختلافنا ،لكن انتماءاتنا وقناعاتنا بها أقوى من أن تجعله يستمر»[3] ، لتنتهي القصة بينهما بسفر "جانين" إلى فرنسا لإكمال دراستها الجامعية وينشغل "عابد" بقضايا أهله ومجتمعه وبلده للمساهمة في معركة بنائه.ورغم نهاية علاقتهما إلا أن جانين قامت بإرسال لوحة للأمير عبد القادر كهدية له مبدية تعلقها بالجزائر واحترام رموزها «أحببت الأمير والجزائر وسأظل أحبهما »[4] ، فهذه الهدية تحمل عدة دلالات لأنها تخص شخصية جزائرية تحظى باحترام الجزائريين والعرب وحتى الفرنسيين وهو الأمير عبد القادر ،الفارس الشاعر، ومؤسس الدولة الجزائرية لترمز تلك اللوحة إلى «القوة والتسامح والأصالة والتفتح »[5] الذي عرف عن الأمير، معلنة بذلك دعوة للانفتاح على الآخر ،ليقوم عابد بتعليق اللوحة في صدر قاعة الأساتذة دون

---

[1] الرواية، ص. 230.

[2] الرواية، الصفحة نفسها.

[3] الرواية، ص.237

[4] الرواية، ص.256.

[5] الرواية، ص.255.

اعتراض من أحد في إشارة إلى وجوب احترام الماضي والاحتفاء به والتنبيه إلى أن المستقبل مرهون بمدى التسامح والتقارب بين الجزائريين وبين غيرهم من الشعوب.

فتجربة الحب بين الأنا(عابد) والآخر (جانين) لم تكلل بالزواج لعدم قدرة كل طرف التخلي أو التنازل عن مقومات الهوية الإجتماعية لكل طرف، وبذلك أثبت الكاتب أن زواج الحضارات لن ينجح إلا إذا تقبل كل طرف الآخر كما هو بعاداته وتقاليده.

2-2-3 علاقة الزواج

من العلاقات المجسدة للحوار الثقافي في الرواية و المبرزة نجاحه أو فشله، علاقة الزواج، لما لهذا الرابط من قدسية عند الشعوب ، وهذا ما جسدته الأنا الجزائرية ممثلة في شخصية "فايزة نجار" (أستاذة الفلسفة في الثانوية الجديدة) و الأنا العربية المجسدة في شخصية "وجدي عزام" المصري (أستاذ الموسيقى بنفس الثانوية) حيث أن لقائهما لم يكن اعتياديا، فقد حدث داخل أسوار الثانوية عندما تقدم وجدي للعمل بها فاصطدم بمشكل اللغة، فالعاملة المكلفة باستكمال ملفه لم تكن تتقن العربية، ليستنجد بالأستاذة "فايزة" و زميلتها فكان جواب فايزة عنيفا وصادما « ومن أخبرك أننا نعمل مترجمات »[1]، ردة الفعل العنيفة من فايزة لم يكن سببها كره المصريين كما كان يعتقد وجدي حيث تسائل: «لماذا تكرهون المصريين؟ »[2]، في سؤال وجهه لزميلة فايزة ،فأجابته مبررة بأن تصرف فايزة

[1] الرواية، ص .38.

[2] الرواية، الصفحة نفسها.

كان بسبب تعرضها للعنف من طرف زوجها ليلة زفافهما رغم أنها« كانت تميل إليه و يميل إليها »[1] ، ليتضح لاحقا لـ "وجدي" أن "فايزة" تشترك معه في عدة نقاط منها :

- أن كلاهما ضحية زواج فاشل شكل عقدة نفسية من الجنس الآخر، فهي ضحية زوج عنيف وظالم أما هو فضحية زوجة انتهازية.
- كما يجمعهما الفن، فوجدي أستاذ موسيقى يتقن الشرقية منها والغربية، أما فايزة فتنتمي إلى أسرة « عريقة في الفن، أبوها من هواه التمثيل المسرحي. وابنه محي الدين عضو في فرقة المسرح الوطني»[2].

وما قرب بينهما التدريبات الخاصة بحفله ذكرى أول نوفمبر المقاومة في الثانوية، ثم ثقة فايزة المطلقة ببراءة وجدي في حادثة اتهامه بقتل المرأة الفرنسية «أبلغه سلامي واقتناعي وثقتي ببراعته»[3] ما أسعد وجدي فأبدى تأثره برأيها: «بَلّغ فايزة تأثري بثقتها في ودفاعها عني »[4]، لتعتذر فايزة عن تصرفها المسيء في أول لقاء بينهما فيرد عليها وجدي «أرجوك ألا تعتذري فأفضل الصدقات هي التي تبدأ بالخصام »[5] ما يوحي أن التقارب بينهما كان بطيئا.

---

[1] الرواية، ص. 39.

[2] الرواية، ص .94.

[3] الرواية، ص .110.

[4] الرواية، ص .118.

[5] الرواية ،ص.140.

من أبرز الأحداث التي أصابت العلاقة بتوتر هو تعرض فايزة لنوبة هلع شديدة بعد حضورها مع وجدي فيلما سينمائيا، اتضح فيما بعد أنه يدور حول «رجل يعامل زوجته بقسوة بالغة»[1]، ما أعاد لفايزة ذكريات الليلة المشؤومة ، فخرجت من القاعة مسرعة مرددة «أنتم الرجال كلكم سفاحون»[2]، فجعلت حكمها على الرجال عامة رغم أن المتسبب به رجل واحد ، ما جعل وجدي يدرك أنه أمام تحدٍ صعب «فايزة ما تزال مريضة و بحاجة إلى علاج»[3]ليضيف « أعرف أن علاجها عندي سأعالجها»[4] فراهن بحبه لها إذ أن الحب هو ما سيعيد لها ثقتها بنفسها وتشفى من عقدتها.

لتعتذر "فايزة" منه بعد أن عادت لرشدها مجددة ثقتها به. لتكرر موقف عنف الرجل ضد المرأة أمامها مرة أخرى عندما كانت بصحبته وجدي في أحد شوارع العاصمة، لكن هذه المرة تشجعت فايزة وواجهت الرجل مدافعة عن وجدي والمرأة فقد «استطاعت أخيرا أن تتحرك وتهاجم وتواجه المعتدي»[5] فكان هذا الموقف دليلا واضحا عند وجدي على شفائها «شفيت فايزة يا عابد، شفيت تماما ولم تعد تهاب أحد»[6] ، وبذلك استطاع وجدي تخليصها من عقدة الخوف من الرجال عن طريق كسب ثقتها به، وصدق مشاعره نحوها لتكلل علاقتهما بالزواج.

---

[1] الرواية، ص.176.

[2] الرواية، الصفحة نفسها.

[3] الرواية، ص. 177.

[4] الرواية، الصفحة نفسها.

[5] الرواية، ص .224.

[6] الرواية، الصفحة نفسها.

نجاح علاقتهما يعود لعدة أسباب :

- السبب الأول مساندة وجدي وصبره على حالتها «تحمل شراستها ليعالجها بعد أن أدرك طيبة قلبها وأحبها»[1]، و كذلك حب فايزة له نابع من أنها «لقيت في كتفه التفهم و الرعاية و الأمان والحنان »[2]، ففايزة تمثل الجزائر الجريحة التي لقيت مساندة من اخوتها العرب في حربها مع المستعمر الفرنسي وفي معركة البناء بعد الاستقلال .
- والسبب الثاني الذي ساهم في نجاح العلاقة الاحترام المتبادل لمقومات هوية كل منهما إذ كانت فايزة تنزعج في بداية علاقتهما من افتخار المصريين بأنفسهم و بلدهم ليرد عليها وجدي «نحن المصرين نعتبر مصر أم الدنيا »[3] مثلما يعتبر الجزائريون بلدهم «لؤلؤة المتوسط و إفريقيا أو عروس الدنيا »[4] و أن هذا الافتخار دليل على حب الوطن ، و أن ما يجمعهما هو القومية المشتركة «من الآن مصر بلدك و الجزائر بلدي ، وانتماؤنا مشترك»[5]، ما جعل اختيار مكان الإقامة بعد الزواج سهلا وهو ما صرح به وجدي لصديقه عابد: «هي مستعدة أن تعيش معي

---

[1] الرواية، ص. 240.

[2] الرواية، الصفحة نفسها.

[3] الرواية، ص .219.

[4] الرواية، ص. 220.

[5] الرواية، الصفحة نفسها.

في مصر و أنا مستعد أن أعيش معها في الجزائر »[1]، بذلك شكل هذا الثنائي مثالا عن القومية العربية و زواجهما دليل على قدرة الدول العربية الالتحام و التزاوج بين ثقافة كل بلد لبناء حضارة عربية إسلامية. باعتبار أن «الوحدة العربية باتت مطلبا عربيا مهما» [2].

ويمكن القول أن علاقة الزواج نجحت في الرواية لأن الكاتب أراد إبراز فكرة وجوب قيام وحدة عربية تضمن التطور والازدهار للبلدان العربية التي أنهكها الشتات.

وفي الأخير يمكن القول أن الكاتب قدم من خلال روايته نماذج عن الحوار الثقافي بين الأنا الجزائرية و الأنا العربية وحاول إثبات إمكانية نجاحها من خلال علاقات الصداقة وعلاقة الزواج، ليثبت أن الجزائر تنتمي للأمة العربية رغم محاولات الاستعمار طمس هويتها، ليسهل عليه ضمها لمستعمراته حتى وإن منحها الاستقلال الشكلي، كما ركز في علاقة المحبة على الأنا الجزائري والأخرى الفرنسية ناقلا محطات الصراع للجزائر في محاولة منه بيان أن على الجزائريين فتح علاقات جديدة مع فرنسا(العدو القديم) بشرط الاحترام المتبادل لثقافة كل دولة، مع عدم نسيان الماضي أو التنكر له وهذا ما أكدته محطات علاقة البطلين على مدار متن الرواية.

والملاحظ من خلال ما لمسناه في رواية (جرس الدخول إلى الحصة) أن المرحلة التي يعيشها مجتمع الرواية (السبعينات) ولّدت حبكة يتجاذبها التصادم الثقافي من جهة

---

[1] الرواية، ص. 241.

[2] هاني الهندي، الحركة القومية العربية في القرن العشرين (دراسة سياسية)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط.2، أكتوبر 2015، ص.31.

بين ذوات مختلفة (العربية، المفرنسة، الإسلامية، الأمازيغية) مع بروز الفروق الفكرية والثقافية بينهما كان لها تأثير بارز على الأحداث التي مرت بها الجزائر لاحقا. كما ولّدت من جهة أخرى تحاورًا بين الذات الجزائرية والعربية، أو الذات العربية والآخر الفرنسي في محاولة لإيجاد سبل تعايش بينهما في ظل فكرة تعايش الحضارات.

خاتمـــــــــــــــة

خاتمة:

إن تتبع الصراع الثقافي في الرواية الجزائرية ليس بالأمر الهين، لأنه يتعلق بمرتكزات الهوية الوطنية التي حاول المستعمر الفرنسي جاهدا طمسها، فكان لزاما على الروائيين الجزائريين أن ينقلوا حيثيات هذا الصراع ضمن متونهم الروائية، وبمعالجة عناصر دراستنا – المتواضعة– والتغوص في إشكالاتها التي تطرحها، توصلنا إلى مجموعة من النتائج أبرزها :

1. مسألة الصراع الثقافي تتجاذبها مجالات عدة ومنحي متنوعة من حياة المجتمعات، أبرزها مجال الهوية الثقافية.
2. جمع مفهوم الهوية بين دلالات العمق والتميز والتفرد، خاصة عند احتضان هذا المصطلح من طرف علماء النفس وعلماء الاجتماع، فأصبح لها وظيفة ديناميكية تمكن الفرد من التوازن والبقاء والاستمرارية داخل مجموعته.
3. للهوية القدرة على التغير تساعدها على إيجاد توازن جديد كلما تغيرت الظروف المحيطة بها.
4. لا يمكن للهوية أن تتشكل من عنصر واحد سواء كان لغة أو دينا أو تاريخا أو ثقافة، بل هي محصلة اجتماع كل هذه العناصر.
5. عمدت الخطابات الكولونيالية إلى تصوير المجتمع الجزائري متبنية الإيديولوجية الكولونيالية، رغم أنها حاولت الظهور عكس ذلك، من خلال إبراز القيم الإنسانية

التي حملها هذا المستعمر، ولكن لم يلبث أصحاب هذا التوجه أن قاموا بالتغني بفضائل المستعمِر محرضين إياه على استغلال أكبر قدر من ثروات هذه البلاد.

6. حملت الرواية ما بعد الكولونيالية على عاتقها مهمة الرد على الخطاب الكولونيالي من أجل تعزيز الهوية الوطنية، والهوية القومية العربية والإسلامية.

7. من أهداف الرواية ما بعد الكولونيالية بيان خصوصية المجتمع الجزائري وما يحمله من قيم إنسانية وأخلاقية تميزه عن غيره من المجتمعات.

8. أظهر الروائي عبد الله خمار من خلال روايته **(جرس الدخول إلى الحصة)** الصراعات التي عاشها المجتمع الجزائري بعد الاستقلال (لغوية، دينية، تاريخية، سياسية..) والتي أدت إلى تباين الرؤى حول كيفية بناء مجتمع ما بعد الاستقلال.

9. بيّن الروائي أن المرحلة التي يعيشها مجتمع الرواية (السبعينات) ولّدت حبكة يتجاذبها التصادم الثقافي من جهة بين ذوات مختلفة (العربية، المفرنسة، الإسلامية، الأمازيغية) مع بروز الفروق الفكرية والثقافية بينهما كان لها تأثير بارز على الأحداث التي مرت بها الجزائر لاحقا.

10. كشف الكاتب عن إمكانية التحاور بين الذات الجزائرية والعربية، أو الذات العربية والآخر الفرنسي في محاولة لإيجاد سبل تعايش بينهما في ظل فكرة تعايش الحضارات.

11. اتخذ الكاتب (الثانوية) كفضاء لأحداث الرواية ليرمز به للجزائر، وما الصراعات التي دارت في هذا الفضاء إلا انعكاس للواقع الذي مرت به الجزائر.

خاتمة

وختاما، يمكن القول أن الرواية الجزائرية المعاصرة اشتغلت على موضوع الهوية بشكل لافت، خاصة بعد الاستقلال، لبيان ما تركه المستعمر من آثار واضحة على بنية المجتمع الجزائري، كما بينت أن الصراع الثقافي في المجتمع الجزائري هو وليد الاضطرابات المتعلقة بالهوية الوطنية ومقوماتها.

هذا ويبقى مجال البحث مفتوحا أمام الدارسين للإضافة ولإنارة جوانب أخرى في الموضوع ومعالجة أفكار الرواية ورؤى مؤلفها.

الملاحـــــــــق

الملحق:



سيرة مختصرة

ولد عبد الله خمّار في دمشق عام 1939 بحي السويقة"حي الجالية الجزائرية" من أبوين ينتميان إلى أسرتين معروفتين بحب العلم والأدب في بسكرة وطولقة. درس في دمشق وتحصل على شهادة أهلية التعليم الابتدائي عام 1959 ثم البكالوريا في 1960 وليسانس الأدب العربي 1964. علّمَ في المدارس الابتدائية أثناء دراسته الجامعية ثم انتقل إلى التعليم الثانوي كأستاذ ثم عين مديراً لثانوية الصنمين في محافظة درعا فمديراً لدار المعلمين في مدينة درعا ثم مديراً للتربية فيها.

بدأ العمل في الجزائر عام 1967 كأستاذ في ثانوية عائشة فالثعالبية فالإدريسي ثم انتقل إلى معهد تكوين أساتذة التعليم المتوسط من 1975 إلى 1993 ليعود إلى التعليم الثانوي في ثانوية عمر بن الخطاب وعين مفتشاً للتربية والتكوين لمادة الأدب العربي عام 1995 ليتفرغ للكتابة بعد تقاعده عام 1999.

الشهادات:

- ليسانس في الأدب العربي من كلية الآداب بجامعة دمشق . نوفمبر 1964.
- ليسانس في اللغة الإنجليزية من جامعة الجزائر .فبراير 1978

أنشطة أخرى:

أ . الترجمة:

عمل مترجماً كتابياً في بعض المؤتمرات الدولية والإقليمية والمحلية منها منظمة عدم الإنحياز وفي منظمة الوحدة الإفريقية.

ب . الصحافة:

عمل محرراً في جريدة كفاح العمال الاشتراكي في دمشق بين عامي 63 – 64 .

ومحرراً في مجلة ألوان في الجزائر 1972 – 1973 .

الإنتاج التربوي والأدبي :

ا-الأعمال التعليمية:

1- " فن الكتابة: تقنيات الوصف "، نشر مشترك مع دار الكتاب العربي بالجزائر، نوفمبر 1998. وهو نتاج تجربة عملية في تدريس تقنيات التعبير الكتابي لتلاميذ معهد تكوين أساتذة التعليم المتوسط .

2 – " تقنيات الدراسة في الرواية: الشخصية "، نشر مشترك مع دار الكتاب العربي بالجزائر، ديسمبر 1999 .

الجزء الثاني"العلاقات الإنسانية "، نشر مشترك مع دار الكتاب العربي بالجزائر، أفريل 2001. وهما نتاج تجربة تدريس مادتي "التعبير" و"تقديم العروض" .

3-الأجزاء الثلاثة من تقنيات الدراسة في الرواية:" المواضيع الاجتماعية" ، " مواضيع الحرية وحقوق الإنسان" ، "**المواضيع الثقافية**" وذلك في نشر خاص على الأنترنت في انتظار نشرها مطبوعة. 2005

II- الرواية:

1- رواية "جرس الدخول إلى الحصة: أوراق مدرسية وعاطفية"، نشر على حساب المؤلف، ديسمبر، 2002، الجزائر.

2- رواية "كنز الأحلام"، صدرت عن دار القصبة بدعم من وزارة الثقافة، 2009، الجزائر.

3- رواية "حب في قاعة التحرير" . نشر خاص على الأنترنت في انتظار نشرها مطبوعة، 2005.

4- رواية " القاضية والملياردير" . صدرت عن المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية "ENAG" بدعم من وزارة الثقافة، 2014، الجزائر.

5- رواية "سرّ دار القصبة". صدرت عن المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية "ENAG" بدعم من وزارة الثقافة، 2014، الجزائر.

6- رواية "العرس المشهود". نشر خاص على الأنترنت في انتظار نشرها مطبوعة، 2017.

III- الشعر:

1- المجموعة الشعرية "أغاني المحبة للأم والمدرسة"، نشر على حساب المؤلف، سبتمبر، 2003، الجزائر.

* طبعة جديدة صدرت عن دار القصبة بدعم من وزارة الثقافة، 2009، الجزائر.

2 - المجموعة الشعرية:"محطات عاطفية في رحلة العمر"، نشر على حساب المؤلف، 2004، الجزائر.

* طبعة جديدة صدرت عن دار القصبة بدعم من وزارة الثقافة، 2009، الجزائر.

IV – المسرحية:

1- مسرحية "فندق الأحلام الوردية". صدرت عن المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية "ENAG" بدعم من وزارة الثقافة، 2013، الجزائر

2- مسرحية "هموم الكاتب بوعلام". صدرت عن المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية "ENAG" بدعم من وزارة الثقافة، 2013، الجزائر.

3- مسرحية "عُزاب مع سبق الإصرار". صدرت عن المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية "ENAG" بدعم من وزارة الثقافة، 2014، الجزائر.

4- مسرحية "عطلة السيد الوالي". صدرت عن المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية "ENAG" بدعم من وزارة الثقافة، 2014، الجزائر.

5- مسرحية "حسناء من كوالا لمبور".صدرت عن المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية "ENAG" بدعم من وزارة الثقافة، 2014، الجزائر.

6- مسرحية "طارت السُكنة". نشر خاص على الأنترنت في انتظار نشرها مطبوعة، 2014.

7- مسرحية "الزينة وزوج خطّابين". نشر خاص على الأنترنت في انتظار نشرها مطبوعة، 2014.

ملخص الرواية

جرس الدخول إلى الحصة (أوراق مدرسية وعاطفية)كاتبها جزائري عرّفها بالمواضيع الثقافية "عبد الله خمّار" عدد صفحاتها 259 صفحة ، مقسمة على احدا

عشرا فصلاً يحمل كل فصل عنوانا ، نشرت في أكتوبر 2002 على نفقة المؤلف في مطبعة إيناغ في الجزائر العاصمة .

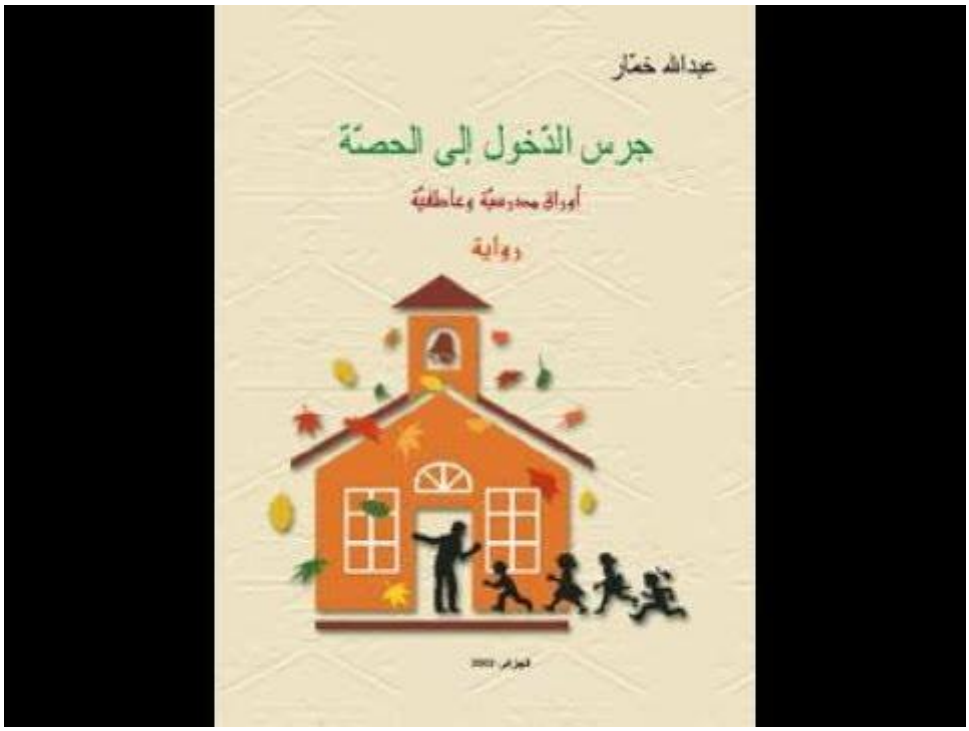
وقعت أحداث الرواية في احدى ثانويات الجزائر العاصمة خلال حول كامل (1972-1973)فهي مذكرات يومية لكاتب عند عمله أستاذ بالثانوية ، متخذا شخصية عابد إمام ، كما صرح عن سبب كاتبة الرواية الذي كان بطلب من صديقه من اجل بحث له لاستكمال دراسات العليا لكنه اشتغال بالأمور أخرى ، قرر نشرها بعد تقاعده حينما عثر عليها في أدراجه لاستفادة منها ، ود اهدى هذا العمل إلى الاسرة التربية والتعليم.

شخصيات الرواية حقيقة متمثلة كلها في أساتذة بالاختلاف جنسياتهم من الجزائر والعرب والأجانب عدد الشخصيات الرئيسية 20 عشرون معنونة في بداية الرواية.

تكونت علاقات بينهم في خضم المعاملات اليومية منها علاقات مهنية والمتمثلة في علاقة الاساتذة بالإدارة الجزائرية ومشاكلها و التلاميذ ، وأما العلاقات الشخصية من تقارب كالصداقة والمحبة لبعض وتنافر كالكره لبعض الأخر ، حيث ظهرت صراعات متجلية في الاحداث التي جرت داخل وخارج الثانوية لاختلاف طباعهم وتوجهاتهم الايديولوجية وثقافتهم ، و انتمائهم الوطني والقومي واللغوي أي اختلاف في هوياتهم.

كما لا تخلو الرواية من القصص العاطفية ،وأيضا تناول اراءه حول مناهج اللغة العربية وأسلوب التدريس وعلاقة الاستاذ بالتلميذ من خلال طرحه لشخصية الأستاذ الاسلامي والأستاذ السلطوي والأستاذ الديمقراطي.

كما تعكس الرواية حقبة ما بعد الاستقلال وما عايشته الجزائر فما يخص إعادة بناء شخصيتها وهويتها بكل ايجابيات وسلبيات خاصة في مجال التعليم والتعريب والصراع القائم بين الاساتذة المفرنسين والمعربين .



قائمة المراجع و المصادر

قائمة المصادر و المراجع

المصادر و المراجع:

أولا : المصادر

1-عبد الله خمّار، رواية جرس دخول إلى الحصة (أوراق مدرسية وعاطفية)، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية IMAG ،الجزائر، 2002.

ثانيا : المراجع بالعربية

1-أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي ، ج.10، ط.1،1998

2-أبو قاسم سعد الله ، دراسات في الادب الجزائري الحديث ، دار الرائد للكتاب الجزائر، ط5، 2007

3-أحمد منور، **الأدب الجزائري بلسان فرنسي**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط.2 ،2017 .

4-أحمد أمين، هارون الرشيد، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د. ط، 2014.

5-أحمد بن نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية، ط 2 دار الأمة، الجزائر، 1997.

6-أحمد منور ، ثقافة الازمة مقالات ، الوكالة الافريقية لإنتاج السينمائي الثقافي ،ط 1، الجزائر ،2009.

7-اسماعيل قيرة وآخرون، مستقبل الديمقراطية في الجزائر، ط .1 بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ،2002.

8- سالم معوش، صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت.

9-الطاهر وطار، اللاز، موفيم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.

10- عبد الرحمان ابن خلدون ، المقدمة، تح علي عبد الواحد الوافي، دار الشعب، القاهرة،ط1، 1960.

11- عبد الرحمن ياغي،البحث عن إيقاع جديد في الرواية العربية، دار الفارابي ،بيروت،ط1999،1 .

12- عبد القادر فضيل ، اللغة العربية ومعركة الهوية في الجزائر ،دار جسور للنشر والتوزيع، الجزائر،ط 1 ، 2013 .

13- عبد الله الركيبي ،الفرانكفونية مشرقا و مغربا ،دار الكتاب العربي ،الجزائر ،2009.

14- عبد المجيد حنون،صورة الفرنسي و الفرنسية في الرواية المغاربية ، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع ،ط2013،2.

15- عرعار محمد العالي، ما لا تذروه الرياح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.

16- فراس السواح ، دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني ، دار علاء الدين ، سورية ،ط ،2002 .

17- مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية ، تر.عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، ج.1 ، ط.3 ، 1986 .

18- محمد الزحيلي ، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس اليه، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية .

19- محمد الطمار ، تاريخ الادب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دط ، دس.

20- محمد المنجي الصيادي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، سلسلة أطروحات الدكتوراه الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط.5، مارس 1995.

21- محمد سعدي، دور الثقافة في بناء الحوار بين الأمم، سلسلة محاضرا الإمارات، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ط.1، 2012.

محمود قاسم ، الأدب العربي المكتوب بالفرنسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،د ط ،1996.

22- مخلوف عامر، الرواية والتحولات في الجزائر، دراسة نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق ،2000.

23- مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، دار الامة، ط.2، الجزائر، 2007.

24- نعمة دهش فرخان الطائي ، مقاربات سوسيولسانية، دار المنهجية بغداد ، ط 1، 2016.

25- هاني الهندي، الحركة القومية العربية في القرن العشرين (دراسة سياسية)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط.2، 2015.

ثالثا :المراجع المترجمة

1-إدوار سعيد، الثقافة والامبريالية، تر. كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط.4 ،2014.

2-أليكس ميكشيللي ، الهوية ، تر ،علي وطفة ، دار الوسيم ، دمشق ، ط. 1، 1993 .

3-بيل أشكروفت وغيرها، الرد بالكتابة النظرية وتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، تر. شهرت العالم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط.01، 2006.

4-بيل أشكروفت، جاريث جريفيث، هيلين تيفين، دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية ، تر. أحمد الروبي وآخرون ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط.1، 2010.

5-ترفيتان تودوروف، أعداء الديمقراطية الحميمون، تر. متر غازي برو، بيروت، ط 1، 2015.

6-جان بول سارتر، عارنا في الجزائر، دار القومية للطباعة والنشر، د. ط.

7-جوناثان تيرنر، بناء نظرية الإجتماع،تر،محمد سعيد فرح، منشأة المعارف ، الاسكندرية ،ط2 ،2000 ،ص.87.

8-فضيلة يحياوي، الراوية والمجتمع الكولونيالي في الجزائر، ما بين الحربين، تر. عبد الحميد سرحان، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية،2007.

9-كاتب ياسين ، رواية نجمة، تر،ملكة أبيض عيسى.

10- مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ، تر، عبد الصبور شاهين ، دار الفكر دمشق، ط.4، 2000.

11- مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر. حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر والتوزيع،2007 .

رابعا :المعاجم والموسوعات

1-إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط.4 ،2004، باب (الهاء).

2-أبو الفضل جمال الدين إبن منظور، **لسان العرب**، دار الحديث، القاهرة، مج9 باب (الهاء)، مادة (هـ.و.ي).

3-جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج.2، 1982، باب (الياء).

4-علي بن محمد الشريف الجرجاني، **معجم المعاني**، تج محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة .

5- .Edition1984 " **Petit Larousse en couler**"

خامسا: الرسائل الجامعية

1- أحمد بن داود،المقاومة الثقافية لاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب، أطروحة دكتوراه ، قسم التاريخ و الاثار،كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية ،2016-2017.

2- أغامير محمد، صورة الجزائري في مخيال الآخر لدى الأدباء الفرنسين في القرن التاسع عشر، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب و اللغات والفنون، جامعة وهران ،2014/2013،

3-آلاء عدنان أبو سيد ، دراسة في إشكاليات الهويات الثقافية في أعمال أمين مخلوف ، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة الاردن،2006.

4- جبور أم الخير ، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيو نقدية ، أطروحة دكتوراه قسم اللغة العربية و آدابها ، جامعة وهران ،2010 / 2011.

5-جوادي هنية، المرجعية الروائية في روايات واسيني الأعرج "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش" أنموذجا، رسالة ماجستير، تخصص أدب عربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، 2007/2006.

6- سامية سي يوسف ، اللغة و حضور الأنساق الثقافية في الخطاب الروائي ، رواية "ألواح البحر" لمرزاق بقطاش أنموذجبا ، مذكرة ماجستير ،تخصص دراسات لغوية و الأدبية ،كلية الآداب و اللغات ، جامعة البويرة ،2016/2015.

7-عبد القادر رحيم ، بنية النص السردي في روايات إبراهيم سعيدي ، أطروحة دكتوراه ، تخصص أدب عربي ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة بسكرة ،2016/2015 .

8-عبدو رابح ،جماليات السرد عن وانيسي الأعرج روايات بحر الشمال ، البيت الأندلسي ،كتاب الأمير نموذجيا ،أطروحة دكتوراه ،تخصص أدب جزائري ، كلية الآداب و الفنون ، جامعة وهران ،2017/2016

9- فطيمة بن ربيعي، صورة بلاد المغرب في كتابات الروائيين في القرن التاسع عشر "موباسان" و"لوتي " و"جيد" أنموذجا، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، تخصص آداب أجنبية ،جامعة البليدة، 2017/ 2018 .

10- لخضر جوادي ، معايير انفتاح الادب الجزائري المكتوب بالفرنسية على الكتاب المدرسي في مرحلة المتوسط ، مذكرة الماجستير ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة ،2015/2014.

10- وافي حليمة، صورة الفرنسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، أطروحة دكتوراه ، تخصص الرواية و النقد الجديد، كلية الآداب و اللغات و الفنون، جامعة سيدي بلعباس ، 2017/2006.

سادسا: المجلات والدوريات

1-إبراهيمي أسماء، العلاقة بين الثقافة والهوية، مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية ، جامعة المسيلة ،مج.7 ،ع. 14 ، 2018.

2-أحمد حسين عبد السادة، اللغة وأثرها في ترسيخ الهوية الوطنية، مجلة أوراك للعلوم الإنسانية، العراق، مج 12، ع.2، جامعة مثنى، 2019..

3-بومدين صالح، رواية "اللاز" لطاهر وطار أو المسكوت عنه في تاريخ الثورة، مجلة البحوث والدارسات الإنسانية، جامعة سكيكدة، ع.13، 2016.

4-الجمعي بن حركات، الصراع الإيديولوجي في رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، ع.12، 2017.

5-الحبيب مصباحي، تمثلات الذات و الآخر في الرواية الجزائرية، مجلة إشكالات، المركز الجامعي لتمنراست، ع.1، ديسمبر 2012.

6-حسان رشدي، ظاهرة الرواية الجزائرية الجديدة مساءلات الواقع والكتابة، رواية فوضى الحواس لـ "أحلام مستغانمي" عينية.

7-حسنية عزاز، اللغة العربية في الجزائر بين التعريب والفرنسة، مجلة عود الند ،ع.8 ،2018.

8-خليف هوارية ، نشأة الرواية المكتوبة بالفرنسية وإشكالية الهوية والانتماء ، مجلة الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة ، جامعة سيدي بلعباس ،ع 2، جوان 2017 .

9-رابح لونيسي ،الصراعات الداخلية للثورة الجزائرية في الخطاب التاريخي الجزائري، مجلة إنسانيات (المجلة الجزائرية في الأنتروبولوجيا والعلوم الاجتماعية)،جامعة وهران،2004.

10- رشاد عبد الله الشامي، إشكالية الهوية في إسرائيل، عالم المعرفة، الكويت، 1997 م

11- رويدي عدلان، خطاب الثورة في الرواية النسائية الجزائرية من سلطة الالتزام و هاجس التجريب "زهور ونيسي" و "أحلام مستغانمي" نموذجيا، مجلة العلامة، جامعة ورقلة، ع. 06، جوان 2018.

12- زغمو محمد، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد و الشعوب، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ،كلية العلوم القانونية والإدارية ، جامعة الشلف ،ع .4، 2010.

13- زيدي الخداوية ،اللغة العربية وترسيخ الهوية الوطنية في ظل التعدد اللغوي ،الممارسات اللغوية ،مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر ،جامعة تيزي وزو، ع.15، 2012 .

14- سامية عزيز،عمر حمداوي ، دور المجتمع المدني في المحافظة على الهوية الثقافية ، مجلة علوم الانسانية والاجتماعية ، عدد خاص الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري.

15- شهلا العجيلي، أدب الشعوب التي تحررت من الاستعمار كتابة الضحية، النص الروائي نموذجا، النقد الثقافي والدراسات ما بعد الكولونيالية، المؤتمر الثالث للبحث العلمي في الأردن، الجمعية الأردنية للبحث العلمي، 2007/11/17.

16- شويني علي ، مقومات الهوية مولود قاسم نايت بلقاسم ، مجلة مشكلات الحضارة ،جامعة الجزائر ، مج. 7،ع.2 ،2018 .

17- صوافي بوعلام، محددات الأنا و الآخر في المتن الروائي الجزائري الجديد، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، كلية الآداب و الفنون ، جامعة وهران ، 2015/2014 .

18- الطيب بودربالة، صورة الجزائر في الرواية الفرنسية الحديثة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الوادي، مطبعة منصور الوادي،ع.2-3، الجزائر، مارس 2010.

19- عبد القادر فيدوح، تمثلات الكلونيالية الجديدة في رواية "2084 حكاية العربي الأخير"، مجلة أنساق، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، مج.2ع.1، فبراير 2018.

20- عبد الله البريدي، اللغة هوية ناطقة، كتاب المجلة العربية،الرياض،ع.197.

21- عبد الله بوراي ، اللغة العربية وإشكاليات الهوية ، المؤتمر الدولي الثامن للغة العربية، دبي، يوم 2015/5/8 ، 09:00-12:30 .

22- علالي محمود، وصف المركز العسكري بالجلفة من خلال كتاب "صيف في الصحراء" للكاتب أوجين فرومنتان، مجلة أنسة للبحوث والدراسات، جامعة الأغواط، ع.10، 2014.

23- علي جعفري، الواقعية في الرواية الجزائرية بين الوظيفة الفنية والأبعاد السياسية من خلال رواية "اللاز"، مجلة التواصل في اللغات والآداب، جامعة عنابة، ع.43، سبتمبر 2015.

24- فتيحة كركوش، إشكالية بناء الهوية النفسية الاجتماعية، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة بليدة 2،ع.16، سبتمبر 2014 .

25- فريدة بشيش، البرامج التعليمية الاستعمارية الفرنسية ودورها في سلب هوية الطفل الجزائري، مجلة كلية التربية،جامع الازهر،ع.177،ج.1،يناير،2018.

26- فطيمة بن ربيعي، نموذج ما بعد الكولونيالية في رواية (فضل الليل على النهار) لـ "ياسمينة خضرة"، تعيليمات، مج.8، ع.2، ديسمبر 2019.

27- قردان الميلود، الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية من منظور الاستشراق الروسي، مجلة الجسور، مركز جامعي تيبازة، مج 03، ع11 ، سبتمبر 2017 .

28- كريمة محمد كربية ، اللغة والهوية ، مجلة الآداب ، الرياض ، مج 27 ،ع.1 ، جامعة الملك سعود ،2015.

29- لبيد عماد، المحاولات الفرنسية لطمس الهوية الجزائرية إبان الاحتلال (1962/1830)، محاضرة مطبوعة، الجزائر، د ت.

30- ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس2013.

31- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آيادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8 ،2005، باب(الياء)، فصل (الهاء).

32- مجدي عز الدين، نقد الكلونيالية من منظور إدوار سعيد، مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي لدراسات الاستراتيجية، ع.12، 2018 م.

33- محمد بوعزة، تشكّل الهوية في ظل المواجهة الكولونيالية، مجلة تبيُّن للدراسات الفكرية والثقافية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ع.26، خريف 2018.

34- محمد قدوسي، النظام السياسي من خلال معطى الشرعية استمرارية التطور أم تقطعات، مجلة إنسانيات مركز البحث في الانثولوجيا الاجتماعية و الثقافية ،العدادان .14/ 15، ماي، ديسمبر،

35- محمود خضر الخربوطلي ، إشكالات الوضع الراهن في العالم العربي في ضوء فكر ما بعد الكولونيالية في إفريقيا ، النقد الثقافي ودراسات ما بعد الكولونيالية ،المؤتمر الثالث للبحث العلمي في الأردن ، الجمعية الأردنية للبحث العلمي ، 17/ 2007/11 .

36- مديحة عتيق، ما بعد الكولونيالية، مفهومها أعلامها أطروحتها، مجلة دراسات وأبحاث ،جامعة الجلفة ، مج7،ع.18، 31 مارس 2015.

37- لمرزيق قطارة، حياة وأعمال محمد ديب، مجلة الخطاب ومخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزوز ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ع1 ، ماي،. 2006

38- مصطفى النشار، جدل الهوية والاختلاف في الفلسفة الهيلينية، بحث محكم، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، 2ماي2016.

39- مغربي زين العابدين، وجع الكولونيالية واستعادة الكينونة المنسية رواية "أشياء تتداعى" تشينوا أتشبي، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة سيدي بلعباس، مج. 11، ع. 1 مارس 2017.

40- منى بشلم ،أشكال توظيف التراث الشعبي في الرواية الجزائربة ، مجلة منتدى الأستاذ ،جامعة قسنطينة ،ع.20 ،جوان 2017 .

41- مهدي محمد القصاص ، علم الاجتماع الديني ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة ،2008.

42- نصيرة زيتوني ،واقع اللغة العربية في الجزائر ،مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)،مج.27 (10)، 2013.

43- نوال بن صالح ، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية و ثورة التحرير صراع و الهوية ، مجلة المخبر أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري ، جامعة بسكرة ، ع 7، 2011 .

44- هدى درنوني، زينب شنوف، القطيعة الأبستمولوجيا لمفهوم الهوية، مجلة السراج، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة بسكرة ،ع.3 ،2017.

45- هنية جوادي، السرد و تشكل الهوية قراءة في رواية البحث عن العظام للطاهر جاووت ، مجلة المخبر، ع.13 ،2017.

سابعا : المراجع الالكترونية :

قائمة المصادر و المراجع

1. نصر محمد عارف ، الثقافة مفهوم ذاتي متجدد، إسلام أون لاين،2019/11/06، https://islamonline-net

2. https://www.oudnad.net/spip.php?article1950

3. راغب السرجاني ، مفهوم الاستعمار وأشكاله المتعددة، مدونة قصة الإسلام، تن 2017/8/8،سا:9و00د/https://islamstory.com/ar/artical/3408001

4. رولان رياض مشوح ،هويتك، جريدة البناء يومية سياسية قومية اجتماعية، https://www.al-binaa.com.

5. سليمان عميرات ، الشخصية الجزائرية بين الاصالة و العصرنة ، **مدونة سليمان عميرات**،2020/06/27،سا:22.13، http://slimaneamirat.simplesite.com/432335374

6. عماد حاتم ،الغزو الثقافي الغربي الممهد والمتوافق مع الاستعمار الحديث في الوطن العربي،مجلة الكترونية الآداب ،ع.3-4، 1مارس 1982 ،ص 62. http://al-adab.com .

7. عمار رقبة الشرفي، نص خطبة النصر بمسجد "كتشاوة" للإمام محمد البشير الإبراهيمي،مكتبة جزائرية،ت.ن 2019/7/5 ،15:28، https://shamela-dz.net

8. ابراهيم العريس ، نجمة لكاتب ياسين (الجزائر يوم كانت بعيدة المنال)،جريدة الالكترونية الحياة، الاحد 4 سبتمبر 2016، https://langue-arabe.fr

9. حفناوي بعلي ، الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية(الذات المعلومة و أسئلة الحداثة)، جامعة عنابة، مقارنة في خصوصية الأدب العربي الحديث، www.scibd.com

10. محمد ابراهيم ، الادب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية، مركز الدراسات والابحاث العلمانية في العالم العربي، 2016/12/13. www.ssrcaw.org

11. محمد الأمين مقراوي الوغليسي، قصة الصراع الايديولوجي في الجزائر، مجلة البيان الالكترونية ،ع. 388، ت.ن 8/8 /2019.

12. ينظر،حسين صالح السبعاوي،14 تموز 1958 في العراق ...ثورة أم انقلاب ،2016/06/15 ، سا20:18. https://beta.alkhaleejonline.net

فهرس الأشكال والجداول

قائمة الأشكال و الجداول:

قائمة الأشكال :

رقم الشكل	عنوان الشكل	الصفحة
01	**رسم بياني لمستويات الهوية الثقافية**	**38**
02	مخطط **يمثل كيفية تشكل الهوية الثقافية لمجتمع ما**	**40**

قائمة الجداول:

رقم الجدول	عوان الجدول	الصفحة
01	طبيعة الصراع اللغوي في الجزائر	115
02	مقارنة بين الأنا(عابد) والآخر (جانين).	170

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ-ز
1-الصراع الثقافي في الرواية الجزائرية.	16
1-1مفهوم الهوية ومقوماتها.	16
1-1-1مفهوم الهوية:	16
✓ لغة	16
✓ اصطلاحا:	18
- الهوية في الفلسفة.	19
- الهوية في علم النفس.	20
- الهوية في علم الاجتماع.	21
1-1-2 مقومات الهوية:	23
✓ اللغة.	24
✓ الدين.	28
✓ التاريخ.	31
✓ الثقافة.	34
1-2 الصراع الثقافي في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.	41

فهرس المحتويات

1-2-1 الخطاب الكولونيالي المضامين والأهداف.	41
✓ الاستعمار وسياسة طمس الهوية.	41
✓ مضامين الخطابات الكولونيالية.	44
✓ أهداف الخطاب الكولونيالية.	50
2-2-1 الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.	52
✓ ظروف نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.	52
✓ مضامين الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية .	57
3-1 الرواية الجزائرية ما بعد الكولونيالية.	78
1-3-1 نظرية ما بعد الكولونيالية .	78
2-3-1 مضامين الرواية الجزائرية ما بعد الكولونيالية.	83
✓ توظيف التاريخ.	83
✓ علاقة الأنا بالآخر.	89
✓ الهوية.	97
2- تجليات الصراع الثقافي في رواية جرس الدخول إلى الحصة.	102
2-1 تمثل الصراع الثقافي في رواية جرس الدخول إلى الحصة.	103
2-1-1 تمثل الصراع اللغوي في الرواية.	104
2-1-2 تمثل الصراع الديني في الرواية.	117

فهرس المحتويات

2-1-3 تمثل الصراع التاريخي في الرواية.	129
2-1-4 تمثل الصراع السياسي في الرواية.	136
2-1-5 تمثل الصراع الحضاري في الرواية.	141
2-2 الحوار الثقافي من خلال رواية جرس الدخول إلى الحصة.	149
2-2-1 علاقة الصداقة.	150
2-2-2 علاقة المحبة.	159
2-2-3 علاقة الزواج.	173
خاتمة.	180
قائمة المصادر والمراجع.	191
قائمة الأشكال و الجداول.	207
فهرس المحتويات.	208